

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي والنقد بعنوان :

بين الشعر العربي الفصيح

و

الشعر الشعبي السوداني

(دراسة موازنة)

إعداد الطالبة : تهاني محمد ناصر بورصلي

إشراف : الأستاذ الدكتور بلة عبد الله المدني

٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

،،،،، الاستهلال،،،،،

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم تنزيله:

(كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

(الآية ٣ من سورة فصلت)

،،،،،الإهداء،،،،،

إلى روح والدي الطاهرة إلى أمي رعاها الله وأمد في أيامها

إلى أبنائي محمود، محمد، وفاق

إلى رفيق دربي والد ابنائي نروجي الأستاذ /حميدة محمود/ المحامي

إلى التي كانت أمي بعد أمي . شقيقتي أستاذة /مكة/ المحامي

إلى كل من يتحدث العربية في وطني السودان

،،،،، شكر وعرفان ،،،،،

الحمد لله حمداً كثيراً وافراً لكبير نعمته وجزيل عطائه والصلاة والسلام على عبده وخاتم رسله
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

وبعد

يقول النبي الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) أخرجه
أبو داود في باب شكر المعروف حديث رقم (٤١٧٧)

وأخرجه الترمذي في باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم (١٨٧٧)

أزجي كثير شكري ووافر تقديري لكل من أعانني ووقف مساندا وداعما لفكرة البحث وأيضا
الشكر لكل من أبدى تحفظا على الفكرة، لأنه أعطاني الدافع لكتابة البحث.

الشكر أولاً للأستاذ الدكتور بلة عبد الله المدني الذي أشرف على هذا البحث لتعاونه الكبير
وتفهمه لطبيعة البحث .

الشكر أجزله للأستاذ الدكتور أبشر عوض محمد أديس مدير معهد بحوث ودراسات العالم
الإسلامي الذي دعم وساند هذا البحث وكان خير معين بالوقت والجهد في إخراجه إلى حيز
الوجود بعد أن كان مجرد فكرة.

وأنى مطايا شكري عند باب الأستاذ الدكتور عمر محمد الحسن شاع الدين بجامعة أفريقيا
العالمية الذي قدم العون والنصح والتصويب.

والشكر موصول للأستاذ محمد الفاتح أبو عاقلة بجامعة السودان المفتوحة الذي قدم المعونة في
مجال الشعر الشعبي وامدني بالمراجع في هذا المجال.

والشكر أجزله للأستاذ تاج السر محمد علي الذي صوّب وأعان وساعد وقدم المشورة والعون فجزاه
الله خيرا.

الشكر موصول لأسرة مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية المركزية والعاملين بمكتبات جامعة الخرطوم ،أسرة مكتبة معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ،مكتبة السودان ، والشكر لأسرة المكتبة المركزية بجامعة الخرطوم ولأسرة مكتبة الشنقيطي ،والشكر موصول لأسرة مركز عبد الكريم ميرغني الثقافى.

الشكر زرافات ووحداً لأفراد أسرتي وعلى رأسهم شقيقتي الكبرى الأستاذة مكة والتي وضعت اللبنة الأولى لهذا البحث والشكر أيضاً لابنها محمد جلال الذي ساعدني بجهوده في مجال الحاسوب وشبكة الإنترنت والشكر لأمي جزاها الله عني كل خير وأمد في أيامها فقد رعت واعتنت بابنائي في فترات غيابي والشكر لأفراد أسرتي الصغيرة ،أبنائي وزوجي ردّ الله غربته.والشكر أيضاً لأفراد أسرتي الكبيرة أشقائي وشقيقتي.

الشكر أخيراً لأخي الصغير وابن عمي مكي بابكر ناصر الذي قام بطباعة البحث بصبر وتفان دون كللٍ أو ملل.

جزاكم الله عني جميعاً كل خير.

الباحثة

المقدمة

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)

صدق الله العظيم. (الآية ١٠٣) سورة النحل

كرم الله سبحانه وتعالى اللغة العربية بأن اختارها لتكون الوعاء الذي يحمل كلامه جل وعلا والمتمثل في القرآن الكريم، وفي هذا تكريم لا يوازيه تكريم آخر كما أنه اختار نبيه (صلى الله عليه وسلم) من الأمة العربية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إن الرب رب واحد وإن الأب أب واحد وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم وإنما هي لسان فمن تكلم العربية فهو عربي). (ذكره المتقي الهندي نقلاً عن ابن عساكر في كنز العمال حديث رقم (٣٧١٣١)) ومن هنا يمكن تعريف الأمة العربية، بأنها الأمة التي تتحدث اللغة العربية، وتتخذ من الثقافة العربية ثقافة لها وليست عرقاً معيناً، وكل من تكلم العربية فهو عربي.

كما قلنا في تعريفنا للعربية بأنها لغة وثقافة فهي بالتالي يمكن أن تكتسب بعدة طرق كالتعلم والإختلاط ومن ذلك، التزاوج والمصاهرة بين العرب والأجناس الأخرى فيصبح الهجين الناتج من هذا التزاوج عربياً وذلك بتخليه عن لغته الأصل واتخاذ اللغة العربية كلغة أم. وإذا عدنا إلى تاريخ العرب العدنانيين نجد أنهم قد انطبق عليهم هذا التعريف فالعدنانيون عرب مستعربة نتجوا من المصاهرة التي تمت بين إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وقبائل جرهم العربية القديمة التي كانت تسكن في إقليم الحجاز وهذا ما حدث لشعوب البلاد التي فتحها العرب المسلمون في مناطق مصر والسودان وشمال أفريقيا حين اختلطوا بسكان هذه البلاد وتزاوجوا معهم فاصبح الناتج عربياً .

أسباب اختيار الموضوع :

كان اختياري لموضوع الدراسة ناتجا من اهتمامي بالشعر الشعبي، هذا الاهتمام لفت نظري إلى اوجه الشبه الكبيرة التي تجمع بين الشعر العامي أو (الشعبي) وبين الشعر الفصيح في الأغراض من جهة وفي المعاني والصور والأخيلة من جهة أخرى . أيضاً يوجد تشابه في القوافي والأوزان على الرغم من أن الشعر الشعبي لا يلتزم الدقة في هذه الناحية إلا أنه له قواعد وأصول لا يمكن تجاهلها.

ويكمن الإختلاف بين النوعين في أن لغة الشعر الشعبي لغة غير معربة بمعنى أنها لا تخضع لقواعد اللغة الفصحى حيث تحرر الشعراء الشعبيون من الإعراب وقد تمثلوا في هذا الاتجاه قول الشاعر العربي القديم:

وجردت فنى من الإعراب كما يجرد السيف من القراب

وقد لاحظت الباحثة في معرض اطلاعها العام على بعض أوجه الشبه بين الشعر الفصيح والشعر السوداني، مما شكل دافعا قويا للقيام بهذا البحث ومن ذلك :
أولاً:

قول بنونة بت المك نمر في مرثيتها لأخيها عمارة :

أسد ببشة المكر قمزاتو متطابقات

وببشة هذه أرض أسود في شبه جزيرة العرب

وسبق أن ذكرتها الخنساء في قولها :

من أسد ببشة يحمي الخيل ذي لبد من أهله الحاضر الأدنين والبادي

وقول الحارث في مسدار الصيد:

ناس ابن الذريح ضربوا المثل بجناهن

من كل الهوام سيدي الحسن يبراهن

وابن الذريح هو دون شك قيس بن ذريح، مجنون لبنى الذي طبقت شهرته الآفاق.
ثانياً :

أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم التي أوردها المادحون كانت صحيحة بنص الكتب التي تتحدث عن شمائل النبي عليه الصلاة والسلام، ربما عرفها الشعراء الشعبيون عن طريق الدروس الدينية التي كانت تلقى في المساجد أو عن طريق الطرق الصوفية التي كانت منتشرة منذ القدم مع العلم أن بعض هؤلاء الشعراء كانوا أميين يجهلون القراءة والكتابة. والمطلع على هذا البحث سيلاحظ أن الباحثة قد استعانت بكلمات بعض الأغنيات كشواهد في بعض المباحث - بخلاف المبحث المخصص للشعر الغنائي- وما ذلك إلا للإرتباط الشديد بين الشعر والغناء .

والعلاقة القوية بين الشعر والغناء إلى درجة عدم التفريق بينهما أمر ظاهر في أقوال الأدباء وكتاباتهم، حتى في الأزمنة التي كان فيها الشعر ينشد لنفسه دون أن يتغنى به ويظهر ذلك

في قول المتنبي :

**إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
وغنى به من لا يغني مغردا**

**وما الدهر إلا من رواة قصائدي
فسار به من لا يسير مشمرا**

فروض البحث :

- ١- هل يوجد تشابه بين الشعر العربي الفصيح و الشعر الشعبي السوداني؟
- ٢- وإذا كان هناك تشابه فما طبيعته؟
- ٣- هل هذا التشابه في الأساليب؟ أم الصور أم الأغراض والمعاني؟
- ٤- وإذا كان هناك من ينازع في وجود تشابه بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي فما هي أدلته وبراهينه ودفعاته؟
- ٦- كيف نستطيع أن نجزم أن العرب الذين دخلوا السودان كانوا رعاة فقط يبحثون عن الماء والمرعى ولم يكن فيهم فئة حملت معها تراثهم الشعري سواء أكان مدوناً أم محفوظاً في صدورهم خاصة وأن الشعر هو ديوان العرب؟

الدراسات السابقة:

- بدأ الاهتمام بدراسة الأدب الشعبي منذ فترة ومن الدراسات التي تناولت الأدب الشعبي:
- ١- مصطفى إبراهيم طه ،رسالة ماجستير بعنوان(الأدب الشعبي عند الشايقية) مقدمة لمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ،جامعة الخرطوم، سنة(١٩٦٧) .
 - ٢- فرح عيسى محمد ،رسالة ماجستير بعنوان (الإبداع في الشعر الشعبي مثال تطبيقي الشاعر عثمان ود جماع البطحاني)معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ،جامعة الخرطوم ،سنة (١٩٨٨).منشورة.
 - ٣- نصر الدين سليمان علي فضل الله،رسالة دكتوراة،بعنوان(الشعر الشعبي عند الشايقية وانعكاساته الاجتماعية)كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية ،جامعة النيلين ،سنة (٢٠٠٣) منشورة.

أهم الصعوبات التي واجهت الباحثة :

هناك صعوبات واجهت الباحثة وأهم هذه الصعوبات،قلة التوثيق للشعر الشعبي .وقد لاحظت الباحثة أن معظم التوثيق يدور حول موضوعات بعينها وشعراء بعينهم لم يختلفوا كثيراً إلا في بعض المراجع التي لم يتكرر فيها الشعراء وربما يعود ذلك لأنهم يأخذون مادتهم من مراجع واحدة،ولذا اضطرت الباحثة إلى اعتماد التوثيق الشفاهي في بعض الأحيان.كما أن هناك

اختلافاً وتضارباً في نسبة بعض الشعر لقائله وأحياناً تكون الرواية بطرق مختلفة كما أن الدواوين العامية قليلة جداً ولا تتوفر في مكتبات الجامعات إلا ما كان من مكتبة معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم.

هيكل البحث :

يتكون البحث من أربعة فصول ويتكون كل فصل من أربعة مباحث قامت الباحثة بتقسيم محتوى القصائد إلى عناصر حتى تتمكن من تحديد أوجه الشبه والاختلاف.

الفصل الأول: المدح ويندرج تحت هذا الفصل أنواع المدح المختلفة

المبحث الأول: المدائح النبوية الشعبية وعلاقتها بالمدائح النبوية الفصيحة ، أوجه الشبه بينهما

المبحث الثاني: المدح العام وأوجه الشبه بين المدح الشعبي والمدح الفصيح .

المبحث الثالث : الفخر

المبحث الرابع : الرثاء

الفصل الثاني : الوصف

المبحث الأول : وصف البطولة الحربية ، (الحماسة)

المبحث الثاني: وصف الطبيعة

المبحث الثالث: وصف الصيد.

المبحث الرابع: أغراض أخرى

الفصل الثالث: الشعر الفصيح والشعر العامي حول المرأة

المبحث الأول: الغزل بنوعيه العفيف والحسي

المبحث الثاني: الغزل العذري

المبحث الثالث: النسيب

المبحث الرابع: الشعر الذي يتناول المحارم من النساء، كالأم والزوجة

الفصل الرابع: من أشكال الشعر الشعبي،

المبحث الأول : دوبيت الهمبارة وعلاقته بشعر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

المبحث الثاني : المسدار وعلاقته بالشعر العربي القديم.

المبحث الثالث : المجارة أو المجادعة وعلاقتها بالأنماط الشعرية العربية، كالمحاورات الشعرية، النقائض

المبحث الرابع: الشعر الغنائي العربي والشعر الغنائي الشعبي

النتائج والتوصيات.

الفهارس الفنية .

قائمة المصادر والمراجع.

منهج البحث:

انتهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي .

حدود البحث:

لم تحدد الدراسة حدود زمانية معينة للدراسة وإن كانت قد ركزت على الشعر العربي القديم الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي. وفيما يتعلق بالشعر الشعبي فقد شملت الدراسة الشعر الشعبي حتى وقتنا الحالي مما وجدته الباحثة متاحا.

مصطلحات البحث :

الشعر الشعبي : يقصد به الشعر العامي.

الغُنا : أيضاً يقصد به الشعر العامي.

الشعراء الشعبيون: يقصد بهم شعراء العامية السودانية.

الشعراء العرب :ويقصد بهم شعراء الفصحى.

رسم الكلمات بين الفصحى والعامية:

هناك اختلافات بين رسم الكلمات بين اللغة الفصحى واللغة العامية وما ذلك إلا نتيجة لتعدد اللهجات العربية التي تولدت منها العامية السودانية

غنى له مثلاً تكتب : غنىلو

تشرفن به : اتشرفنبو

به : بيهو

له : ليهو

منه : منو

قبحها : قبحا

التنوين : احياناً يكتب نون ملحقة في اواخر الكلمات مثلاً:

يوماً : يومن

هم : هن

بهم : بيه

التمهيد

دخول العرب السودان

العروبة في السودان :

عرف العرب بلاد السودان منذ القدم بحكم الجوار الجغرافي إذ لا يفصل بين السودان وبلاد العرب سوى الممر المائي الضيق المعروف باسم البحر الأحمر . وكان من الطبيعي أن تكون هناك صلات تجارية بين الجانبين - على الأقل - حيث أن البحر الأحمر من البحور السهلة التي لا توجد فيها عوائق تعوق عملية الملاحة بين الجانبين .

هذا وقد قام العرب بهجرات كثيرة نحو الغرب من بلادهم منذ القدم أي قبل ظهور الإسلام بوقت طويل ولعلنا نجد الآثار العربية واضحة في الأسماء على الجانب الغربي من البحر الأحمر فمثلاً كلمة (سوبا) ربما هي تحريف لكلمة سبأ وهي كلمة أرمية قديمة كما أننا نجد مثلاً في الحبشة نظائر في اليمن مثل (اوم) التي ذكرت في النقوش السبئية للدلالة على حرم بلقيس أو أحد هياكل القمر⁽¹⁾.

لذا فمن المستغرب أن يربط المؤرخون أثر العروبة في بلاد السودان بالإسلام . والواضح أن هذا الأثر امتد إلى قرون مضت قبل ظهور الإسلام وذكر ماكمايكل آثار العروبة في بلاد الحبشة في عصور ما قبل الإسلام فقال : (وكانت عبادة الشمس قبل ميلاد المسيح معروفة في جنوبي بلاد العرب ، وبين عرب حمير الذين استعمروا شمال الحبشة وهذه العبادة ظلت آثارها باقية في (تلميس) (الكلابشة) * حتي زمن جستنيان وهذا مما يدل على وجود صلة ما بين حمير وبلاد النوبة في تلك العصور)⁽²⁾.

ومن هنا كان التأييد لفكرة قدم العروبة في السودان ومن الخطأ ربط انتشار العروبة في السودان بسقوط مملكة دنقلا العجوز - التي وقفت بين العرب و بلاد السودان كسدٍ منيع

(1) عبد المجيد عابدين ، تأريخ الثقافة العربية في السودان ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٥٣ ، ص (٨)

(2) المرجع السابق نقلا عن ماكمايكل ، ص (٩)

*منطقة أثرية جنوب أسوان

والواقع أن انتشار العروبة في السودان قديم والرأي القائل بانتشار العروبة بعد قيام دولة عربية إنما هو خلط للسياسة بالعروبة .

والراجح أن السودان قد عرف الجنس العربي قبل ظهور الإسلام بعدة قرون فهؤلاء المهاجرون حملوا معهم ثقافتهم الجاهلية وعاداتهم القديمة كما أنهم حملوا لهجاتهم التي كانوا يتحدثون بها في موطنهم بل أبعد من ذلك احتفظوا بتقسيمهم القديم عرب الشمال (عدنانيون) وعرب الجنوب (قحطانيون) .

قسم المؤرخون عرب السودان إلى مجموعتين كبيرتين : (١)

المجموعة الجعلية الدنقلاوية وهي تقابل في التقسيم القديم المجموعة العدنانية أو العرب المستعربة وسكن هؤلاء على جانبي النيل في السودان الشمالي واختلطوا بالسكان الأصليين من زنوج وحاميين ونشأ مزيج جديد من السكان وأهم قبائل هذه المجموعة . الجعليون الميرفاب ، الشايقية ، الرباطاب ، المناصير ، الجموعية ، الركابية وقد ابتعد بعضهم عن النهر غرباً نحو سهول كردفان كالبديرية والجوامعة والقريات أو نحو سهول البطانة كالبطاحين .

أما المجموعة الثانية وهي المجموعة الجهينة فتقابل القحطانيين في التقسيم القديم فهم شأنهم شأن نظرائهم في التقسيم القديم لم يختلطوا كثيراً بالسكان المحليين وإنما حافظوا على بداوتهم وسكنوا البوادي في النصف الشرقي من السودان في البطانة كرفاعة والشكرية ومنهم من سكن النصف الغربي مثل قبائل فزارة ودار حامد وبني جرار ومجموعات البقارة والحرر والكبابيش والمحاميد .

والمتنبع لهذا التقسيم يلاحظ أن عرب الشمال قد اهتموا بالزراعة وكونوا الممالك (أنظمة حكم) واهتموا بالتعليم وهم المسيطرون في الغالب .

وأما الآخرون فهم رعاة في الغالب الأعم ولم يكن لهم نظام حكم واضح إلا ما كان من شيوخ العشائر و القبائل .

(1) راجع عبد المجيد عابدين ، تأريخ الثقافة العربية في السودان ، ص (٣٠)

بين العامية والفصحى :

عندما نزحت القبائل العربية إلى السودان قديماً كانت تحمل لغتها بلهجاتها المختلفة والثابت أن اللغة لها مستويات مختلفة فهناك اللغة الرسمية وهي لغة الدولة التي تتم بها المكاتبات وهنالك لغة التعليم التي يتم بها تلقي التعليم وهنالك اللغة العامية أو الدارجة التي يحدث بها الناس بعضهم بعضاً واللغة العربية شأنها في ذلك شأن كل اللغات . وقد يتبادر إلى الذهن أن العرب قديماً كانوا يتحدثون اللغة الفصحى في جميع حالاتهم في شعرهم وفي أسوقهم ومنازلهم وهذا ليس صحيحاً تماماً فقد كانت اللغة العربية لهجات مختلفة اختلافاً كبيراً عما هي عليه وقد تبتعد هذه اللهجات أو تقترب من الأصل ولكن توحدت كل اللهجات تقريباً على لغة قریش قبل الإسلام تمهيداً لظهور الإسلام . هذا التوحد على لغة قریش جاء لأنها كانت تسكن حول الحرم و للحرم مكانة كبيره في نفوس العرب كما أنهم كانوا يملكون المال والنفوذ وكانت تقام عندهم الأسواق التي ينشد فيها الشعر وتعلق فيها المعلقة على جدران الكعبة . لذا كان لزاماً على الشاعر الذي يريد أن ينشد الشعر في هذه الأسواق أن ينشده بلهجة قریش حتي ينال التقدير الذي يستحقه .

أما بعد الإسلام فهي اللغة التي نزل بها القرآن وهذا تكريم لهذه اللهجة وشهادة بأنها أفصح اللهجات.

لما زادت الهجرات العربية بعد ظهور الإسلام إلى السودان كان من الطبيعي أن يعرف المسلمون الجدد -أي سكان السودان – كان لا بد لهم أن يعرفوا هذه اللغة لأنها لغة العبادة . لذا احتجزت أول الأمر في نطاق التعبد والتلاوة نسبة لقلّة المتعاملين وضعف الروابط القومية واشتداد القبليّة وصعوبة الاتصال بين الجماعات المنتشرة في أجزاء السودان الواسعة كل ذلك لم يتيح لها حرية الإنتشار والتعبير .^(١)

ومن المعروف في قوانين اللغات أن اللغة السائدة هي لغة المنتصر الذي يتفوق بالثقافة والحضارة فتغدو اللغة السائدة هي لغة السكان وقد تتعايش اللغات جنباً إلى جنب كما يحدث في السودان حيث تعيش اللغة العربية بجانب اللهجات المحلية الكثيرة، مثلاً اللهجة النوبية في الشمال واللهجات البجاوية في الشرق ولهجات الفور المختلفة في غرب السودان ويرى بعض الباحثين أن اللغات الأفريقية يمكن حصرها في أربع مجموعات هي :

(١) انظر عبد المجيد عابدين، تأريخ الثقافة العربية في السودان ،ص (٨-١٣)

مجموعة اللغات السودانية ويمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات هي :

- ١- اللغات السودانية القديمة ، ولغات الماندينجو والمبارة ولغات تمتد مناطقها من كردفان إلى مصب نهر السنغال ولغات تنتشر في المناطق الواقعة بين نيجيريا والسودان .
- ٢- مجموعة اللغات السامية وهي لغات مهاجرة جاءت من بلاد العرب وأهمها اللغات السامية الحبشية ولهجاتها واللغة العربية ولهجاتها .
- ٣- مجموعة اللغات الحامية .
- ٤- مجموعة لغات البانتو وحدودها الشمالية نيجيريا .

وتتمثل في السودان مجموعة اللغات الثلاثة : السودانية والحامية والسامية أما المجموعة الرابعة فهي موجودة في السودان وممثلة في لغات سكان جبال النوبة .^(١)

الاختلافات بين اللهجات العربية في السودان :

هنالك اختلافات متعددة بين اللغة العربية واللهجة العامية السودانية ولكن إذا تأملناها يمكن حصرها في الآتي :

١- تخفيف الهمزة^(٢)

آثرت كثير من اللهجات العربية الحديثة التخلص من الهمزة لأنها حرف ثقیل النطق يخرج من أقصى الحلق وذلك بالإبدال أو الحذف وهذا شائع في اللهجات القديمة فمثلاً نقول يا (سماعيل خوي) بدلاً من (إسماعيل أخي) .

وكذلك تحذف الهمزة إذا جاءت متطرفة نحو (سما - جفا - غدا) أو تحذف إذا جاءت في وسط الكلمة (المرأة - المرة) أو تبدل نحو (سأل) (سعل) وقد تقلب واواً إذا جاءت مع الهمزة على الواو (يؤانس - يؤاخذ) (يوانس - يواخذ) وقد تقلب لاماً وتدغم في لام التعريف وهذا الإبدال قديم حكاه الكسائي والفراء قالوا (ومن العرب من يقلب الهمزة لاماً فيقول اللحم في الأحمر والرض في الأرض وكأن أهل هذه اللغة نكبوا عن تحريك هذه اللام فقلبوا الهمزة من جنس اللام)

(١) عبد المجيد عابدين، تأريخ الثقافة العربية في السودان، ص (١٣)

(٢) عون الشريف قاسم، محاضرات في العامية السودانية، معهد الدراسات الإضافية جامعة الخرطوم، ص، (٧)

٢- أما القاف فلها ثلاثة صور في النطق في اللهجة السودانية : (١)

تنطق كنطق الحرف **g** في اللغة الانجليزية وهو النطق الأصيل في لهجاتهم والغالب عندهم .
وتنطق كنطق الكاف في عدد من الكلمات . قتل – كتل فهو نطق قديم فقد رويوا لشاعر تميم قوله:

ولا أأكل لكدر القوم كد نضحت ولا أأكل لباب الدار مكفول

ويطلق عليها القاف المعقودة وقد انتقلت مع الهلالية وأحلافهم من القيسين إلى أقطار مختلفة .
ويظهر أن القاف الفصيحة لم تكن تنطق كما ننطقها نحن اليوم فقد ورد في وصف القاف في المصادر القديمة بأنها شديدة مجهورة في حين نجد القاف الفصيحة اليوم شديدة مهموسة .
والقاف في النطق القديم تشبه القاف التي ينطقها أهل السودان وصعيد مصر وأكثر أرياف الجزائر والدليل على ذلك . أن هناك الفاظاً وردت بالقاف والجيم مثل المجداف – والمقداف .
وتنطق مشوبة بالغين في حالات معينة .

٣- الترقيق والتفخيم في اللهجة السودانية : (٢)

المغس – المغص مرض يصيب البطن

الختوة – الخطوة

خبط - خبت

متبخ – مطبخ

غمد – غمض

(١) عون الشريف قاسم ،محاضرات في العامية السودانية،نص (٨)

(٢) المرجع السابق ،الصفحة نفسها

٤- التسكين في اللهجة السودانية : (١)

الملاحظ أن معظم اللهجات العربية اليوم قد تخلصت من الإعراب والتزمت الوقوف على الساكن وهذا أمر يرجع إلى جذور بعيدة في التأريخ فاللغات السامية في معظمها غير معربة أما الآشورية والبابلية والفصحى فهن معربات .

وقد تخلصت اللهجة السودانية من التقاء ساكنين بأن حذفت أحدهما مثل (عند) وهي عبارة عن:

ع + كسرة + نون ساكنة + دال ساكنه فاصبحت (عن)

وكذلك قلت اصبحت (قت)

التنوين في اللهجة السودانية :

٥- التنوين المقصود هنا هو النون التي تلحق بأخر الكلمات تلازمها الفتحة وليس تنوين إعراب . وهو يلزم اللهجة السودانية في كثير من حالات الكلام العادي أو الشعر أو النثر الدراجي في نحو قولهم :

إن وردن بجيك في أول الواردات (مرنن) مو نشيط إن قبلن صادات

بلدك (بعيدن) جبده

(ساقطين) تصحي الليل مع الفجراوي .

ولا نجد لهذا التنوين نظيراً في اللهجات العربية الحديثة إلا ماكان في العامية الأندلسية والتنوين في العامية السودانية يدل على التأكيد ولا يدخل على الأعلام والمعارف .

وفي السودان يقال للسؤال عن الشخص منو بضم الميم وكسر ها ويقال مني للمؤنث ومنن بضم الميم وكسر ها للجماعة يقولون (المرق منو) يعني من الذي خرج

(المرقنت مني)

ومن ذلك قول شاعر من غسان :

أتوا داري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا صباحاً

(١) عون الشريف قاسم ،محاضرات في العامية السودانية،ص (٧)

٦- تغيير الحروف : نجد بعض القبائل مثل البديرية والجوامعة تميل إلى إحلال الهمزة محل العين والهاء فتقول مثلاً (أبد الرحمن) بدلاً عن (عبد الرحمن) كما أنها تحل الخاء محل الغين (خبيشات) بدلاً عن (غويشات) وكذلك يميل معظم سكان السودان إلى إبدال الضاد مكان الذال مثلاً يقولون (كضاب) بدلاً عن كذاب) ويقولون (الضهر) بدلاً عن (الظهر) .

٧- تغير الحركات الإعرابية : (كالضمة والفتحة والكسرة) ومثاله ميل الكبابيش والبقارة إلى كسر علامة التانيث بدلاً عن الفتحة يقولون (خمسي) (ستي) بدلاً عن (خمسة)(سته) (فاطني) بدلاً عن (فاطمة) وهذا المثال سائد عند قبيلة الشايقية فتجدهم يقولون كريمي بدلاً عن (كريمة) .^(١)

٨- حذف بعض الحروف (ود) (بت) (ولد) (بنت) (شافا) بدلاً عن (شافها) .

(٩) بعضهم يرجع إلى مدلول الكلمة فكلمة (فكي) هي في الأصل (فقية) فبعد أن كانت تدل على العالم المتفقه في الدين أصبحت تعني صاحب التعاويذ والدجال غالباً وتجمع على (فقراء (فكياً) . بينما ترمز كلمة شيخ إلى المعني الأصلى للكلمة فالشيخ هو الصوفي الصالح مثلاً " الشيخ البرعي " " الشيخ المكاشفي " . وكلمة حوار في اللغة تدل على صغير الناقة ولكن تم استخدامها لتعني تلميذ الشيخ وتجمع على حيران .

نلاحظ مع هذه الفروقات أن اللهجات العربية تتفق مع العامية في مسائل أساسية أهمها : -

١- أوزان الكلمات : فالمتأمل يجد توافقاً كبيراً بين أوزان الكلمات العربية واللهجات السودانية كالأفعال وأسماء التصغير والنسب والجموع . فالماضي والمضارع هنا وهناك واحد في الصيغة والتصغير كذلك (وليد) (بنية) (سكيرة) تصغيراً (لولد) (وبنت)(وسكرة) . مع تغيير بسيط هو استخدام الكسرة بدلاً عن الضمة .^(٢)

(١) عبد المجيد عابدين ،تأريخ الثقافة العربية في السودان،ص (١٨)

(٢) المرجع السابق ،ص (١٩)

٢- إستخدام واو النسب فهم ينسبون (دنقلاوي) إلى دنقلا و(حفاوي) إلى حلفا وهكذا وهي صيغة صحيحة والملاحظة التي يجب إيرادها هنا أن هناك صيغة لنسب مستخدمة في السودان لا نجد لها نظيراً في اللغة العربية فهم ينسبون بأضافة الف وباء (رباطاب) (مرغوماب)(جميعاب) وهي صيغة مأخوذة من اللغة البجاوية .

٣- وقلما نجد في تركيب الجملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر والأدوات المستخدمة في الجملة اختلافاً بين اللغتين فمن يسمع المثل السوداني (الخيل تجقلب والشكر لحماذ) لا يجد غرابة في التركيب ولا يكلفنا نقلها إلى الفصحى إلى كثير وهو مثل يضرب لمن لا يبذل جهداً وينال الشكر . فحماد هذا لم يفعل شيئاً بل يركب مستريحاً على ظهر الخيل المسرعة وفي النهاية هو من ينال الشكر وليست الخيل .

٤- كذلك لا اختلاف في مادة اللفظ فقد يختلف اللفظ ولكنه يختلف في المعنى فمثلاً كلمة (فكي) بالرغم من اختلاف اللفظ إلا إنها تدل على الشخص الذي يكثر من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن) على الرغم من اتهامه أحياناً بالدجل والشعوذة .

٥- وهناك كلمات تتطابق مع نظائرها في الفصحى لفظاً ومعنى مثل كلمة (حردان) فحرد الرجل بفتح الحاء غضب وحردان تعني غضبان^(١)

وقد وردت في الحديث الشريف الفاظاً واردة في اللهجة السودانية فمثلاً كلمة (تلتلة) وهي الحركة بعنف يقولون فلان تلتلوة إذا الجؤوه لأن يتحرك في غير وقت الحركة مثلاً يقال فلان صار في تلتلة أي إملاق و إزعاج قال أحدهم

الله يتللت التلت الشلوخ تلاتلي^(٢)

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه : أنه أتى بسكران أو شارب خمر فقال تلتلوه ومزمزوه

(١) عبد المجيد عابدين ،تأريخ الثقافة العربية في السودان، ص (٢٠)
(٢) د. ابشر عوض محمد ادريس،اللهجة العامية في الحديث والأثر،مطبعة دبی ،ص (٧٤)

قال أبو عمرو: وهو أن يحرك ويزعزع ويستنكه حتى يوجد منه الريح ليعلم ما شرب وهي التلتلة والمزمزة بمعنى واحد وجمع التلتلة ثلاثل وهي الحركات. قال ذو الرمة يصف بعيراً:

بَعِيدُ مَسَافِ الْخَطْوِ غَوْجٌ شَمْرَدُلُ تُقَطِّعُ أَنْفَاسَ الْمَهَارِيِّ تِلَاتِلُهُ

والغوج هو الذي فيه لين والشمردل هو الطويل

وجاء في المعجم الوسيط التلتلة الشدة والجمع ثلاثل.

وقال الزمخشري : التلتلة من قولهم فلان يتلثل فلان إذا عنف بسوقه .

وقد نجد الفاظاً غريبة لا يعرفها إلا أهل اللهجة وحدهم وهذه غالباً الفاظ تسلت إلى اللهجة من جيرانها الأفريقيين وقد دخلت في لهجة وامت سائر اللهجات مثل كلمة (كورك) يقال الولد (كورك) أي بكى وصاح . وقد جاءت إلى السودان الأوسط من الغرب . والغريب أن كلمة خشاف المستعملة في السودان هي ذات أصل فارسي وهي ذلك النوع من الطعام الذي يصنع عادة في رمضان ولا ندري كيف وصلت إلى السودان ربما حملها معهم العرب من بلادهم بعد أن انتقلت إليهم من جيرانهم الفرس .^(١)

ذكرنا أن اللغة العربية قد دخلت في صراع مع اللغات المحلية الموجودة كاللغة النوبية ولغة البجا " التبدوية " وانتصرت اللغة العربية عليها ولكن هذه اللغات لم تختف تماماً وإنما بقيت آثارها شاهدة على وجودها إلى يومنا هذا . فمثلاً من آثار اللغة النوبية بعض أدوات الزراعة مثل الشادوف والكدنكة والواسواق كلها الفاظ نوبية لأن العرب كانوا رعاة لا عهد لهم بالزراعة وأدواتها فلم يستطيعوا أن يجدوا بديلاً لهذه الأسماء لذلك بقيت واستخدموها كما هي . وهناك ألفاظ أخرى نوبية في حياتنا اليومية مثل " الويكة " و " الآبري " " الربيت " ...

ونجد آثار " التبدوية " في حياتنا اليومية وربما وصلت إلينا عن طريق العرب الذين دخلوا السودان من بوابته الشرقية وتتمثل هذه المفردات . في " العنقريب " وهو سرير بسيط الصنع يصنع عادة من اللبق المحبوك . و " الفندك " وهو أداة تستخدم في المطبخ لسحن البهارات ونصف الشفاه الغليظة بالشلايف .

(١) عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص (٢١)

(٢) عون الشيف قاسم، محاضرات في العامية السودانية، ص (١٤٠)

وقد اضطر العرب الذين آثروا الاستقرار على حياة البداوة إلى استعمال بعض الألفاظ البدوية في غير معناها الأصلي لتواكب المتغيرات الحيوية الجديدة مع مراعاة التقارب في المعاني .

فالدیس : وهو الغابة المتلبدة ،استعمل بمعنى الشعر الكثيف .

والزغردة : هي في الأصل الأصوات التي ترددها الإبل في جوفها واستعملت بمعنى الأصوات التي تطلقها النساء في الفرح .

وأطلقوا كلمة الضمير على الخصر النحيل وهي من الضمور أو النحول .

كما أنه توجد كلمات يونانية في العامية السودانية في أسماء الأطعمة مثل الملوخية واليامية وهناك ألفاظ تركية من تأثير الاستعمار التركي فكل الألفاظ التي تنتهي بالمقطع (خانه) هي كلمات تركية مثل : (الشفخانة – الأجزخانة – الأدبخانة) وتعني بيت الشفاء وبيت الدواء وبيت الأدب ومن الأدوات الطاجن و المغنطيس .

وكلمة باشكاتب وكل الكلمات التي تنتهي بالمقطع باشي (يوزباشي) (حكيمباشي) . والكلمات التي تنتهي بالمقطع(جي)مثل المطبجي – السفرجي – المكوجي – الكهربي – الجزمجي).

الخلاصة :

ونلخص من هذا إلى أن العامية السودانية هي نتاج للغة العربية بلهجاتها المختلفة وكما رأينا فاللغة العربية ليست لهجة واحدة وإنما لهجات متعددة حملها معهم العرب الذين هاجروا إلى السودان . ونحن لانستطيع أن نلغي وجود تأثير اللغات المحلية القديمة التي كانت موجودة في السودان مثل النوبية والتبداوية ولا ننكر الأثر الموجود في اللغة من اللغات الأفريقية الموجودة ولا من التركية الغازية .

إذاً انصهرت كل هذه اللغات لتكون لغة ذات قوام سوداني خالص .

(١) عون الشريف قاسم ،محاضرات في العامية السودانية ص (١٤)

توطئة

تعريف الأدب الشعبي :

هنالك تعريفات متعددة للأدب الشعبي، فقد قال المفكر الفلكلوري بول سيبو (إن الأدب الشعبي لأي أمة هو أدب عاميتها التقليدي ، الشفاهي ، مجهول القائل أو المؤلف المتوارث جيلاً بعد جيل)^(١)

وذهب آخرون إلى أن الأدب الشعبي هو أدب العامية سواء أكان شفاهياً أم مكتوباً أم مطبوعاً ، وسواء أكان مجهول المؤلف أم معروفه متوارثاً عن السلف السابق أو أنشأه معاصرون معلومون لنا^(٢).

وشبيه بهذا التعريف تعريف آخر يقول :

(الأدب الشعبي هو الأدب العامي قديماً كان أو حديثاً ، مسجلاً كان أو مروياً شفاهة ، مجهول القائل أو معروفه).

وهناك تعريف آخر يهتم بالمضمون إذ يري هؤلاء " إن الأدب الشعبي لابد له أن يعبر عن دواخل الشعب وأحاسيسه كما يجب أن يكون متوارثاً والعبرة من التوارث ، أن كل جيل يضيف إلى هذا الأدب شيئاً يتوافق مع متطلبات عصره سواء أكان في اللغة التي تتغير باستمرار أم في القيم التي ربما تطرأ عليها بعض المتغيرات^(٣)

أما تعريفنا فهو:

نتفق مع التعريف الأخير مع إضافة ، " وأنه يحتمل الحذف والإضافة بما يتناسب مع متطلبات الزمان والمكان .. "

(١) أحمد رشدي صالح ، الأدب الشعبي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ، ص (٩)

(٢) دكتور حسين نصار ، الشعر العربي ، ص (٩)

(٣) مصطفى إبراهيم طه ، رسالة ماجستير ، بعنوان الأدب الشعبي عند الشايقية ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، سنة ١٩٦٧ ، ص (٥)

ليصبح التعريف على هذا النحو :

" الأدب الشعبي هو أدب الشعب العفوي ، المتميز بالجماعية ،المعبر عن أحاسيس الشعب ووجدانه، المؤلف بلغة الكلام العامية، الذي لا يخضع لقواعد اللغة الفصحى ، لمؤلف مجهول أو معروف ، المتوارث بالرواية الشفوية جيلاً إثر جيل والذي يحتمل الحذف والاضافة بما يتناسب مع متطلبات الزمان والمكان "

الفصل الأول (المدح)

المبحث الأول : المدائح النبوية

المبحث الثاني : المدح العام

المبحث الثالث : الفخر

المبحث الرابع : الرثاء

المبحث الأول

المدائح النبوية

على قمة نتاج المدح في الشعر الشعبي يتربع المدح النبوي حيث عكف الشعراء على مناقب الرسول الكريم وأوردوها في كلمات حلوة وإيقاعات رصينة وهذه الإيقاعات ليست بالكثيرة وهي محصورة في إطار ضيق حتى أن السامع لا يكاد يفرق بين مدحة وأخرى إلا إذا دقق السمع لموضوعات المدائح وقوافيها .

وإذا عدنا إلى بديات المديح في السودان نجد أنه ولد أولاً تحت ظلال الطرق الصوفية التي دخلت إلى السودان في عهد السلطنة الزرقاء وبعدها .. فقد كانوا ذوي أذواق مختلفة ولهم مناهج ومذاهب خاصة في سلوكهم ، والمتتبع لشعراء المدائح يلاحظ أن أغلبهم من الشمال والوسط وقلما نجد مديحاً في غرب السودان أو شرقه والسبب في ذلك كما يقول قرشي حسن : (وقد تكون هذه الظاهرة مدعاة للتساؤل ولكن لا غرابة لمن يعرف طبيعة سكان هذه المناطق فهي مناطق متخلفة وشبه مقفولة ومحرومة من نور العلم لسنوات طويلة في حين أن شمال السودان بحكم جواره بمنابع الثقافة العربية قد أبصر النور منذ مروي وسنار . والخرطوم ملتقى لرسائل الثقافة من دمشق وبيروت والقاهرة وبلاد المغرب ..)^(١)

والراجح أن من أوائل من قال شعر المديح هو الشاعر النقر من منطقة قوز بدر بنواحي شندي وأيضاً الشاعر علي ود حليب من قبائل الشايقية ويضاف إليهما علي ود قدورة المدفون برهد الدندر وهو من قبائل الجموعية .^(٢)

ولابد للدارس لشعر المديح النبوي أن يذكر الشعر الصوفي أو القصيد بالرغم من أن التصوف مدرسة قائمة بذاتها ولها أصولها وقواعدها . إلا إن التصوف يعتبر الرافد الأهم في شعر المديح النبوي والشعر الصوفي تدور معانيه في العشق الألهي أو مايسمونه بعلم الحقيقة ويميل شعراء الصوفية إلى الرمزية في شعرهم وقد نظم المريدون شعرهم الصوفي في تمجيد كبار أولياء الصوفية والأقطاب . أما المديح النبوي فقد اقتصر على مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) بشكل خاص .

(١) قرشي محمد حسن ، مع شعراء المدائح ، الجزء الأول ، الدار السودانية للكتب ، ١٩٧٨ ، ص (١٦)

(٢) المرجع السابق ، ص (١٦)

تبدأ المدحة عادةً بالصلاة والسلام على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويستخدم المادح كلمات مثل بديتو ثنيت أو أول بداي وقد تبدأ المدحة بكلمات لتوبيخ النفس على التقصير مثل قولهم: " عيب شبابي الماسرح " أو " عيب شبابي الما وني " وهي كلمات تعبر عن إحساس الشاعر بالتقصير في حق دينه وهو قد بلغ مرحلة الشباب وتجاوزها .

وتبدأ كذلك المدحة بمدح الذات الالهية وتختتم بالصلاة على النبي التزاماً منهم بالتوجيه النبوي الذي يدعو إلي بدء الأعمال جميعاً بالصلاة والسلام على النبي وختمها كذلك لأن الله أكرم من أن يقبل الصلاة في البداية والنهاية ولا يقبل ما بينها من عمل، كما درج المادحون على ذكر أسمائهم في خواتيم المدحة .

عناصر القصيدة في المديح النبوي:

العنصر الأول :

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

يقول ودسعد* : (١)

على نبيك ماحي الضلال
وأسقيننا من صافي الزلال
العاشقين ماحي الضلال

صل يا حي ذوالجلال
أدخلنا في ظل الظلال
نجلس على عالي التلال

أما أب شريعة* فيقول: (٢)

على خير الوجود سيدي
ودود ألف نفور صيدي

صلاة الله ذي الأيدي
يا من رفع السما بأيدي

ويقول أيضاً: (٣)

والآل وأصحابو الأخياري
وراجي العون من الباري

على النبي صل يا باري
متميم باكي يا كباري

(١) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح النبوية ، الجزء الثاني، ص (٣٦٩)
* أحمد ود سعد، ولد بقرية السعداب بالقرب من المسلمية في عام ١٨٥٤، كان مثقفاً، واسع الاطلاع ورعاً، وصوفياً متقشاً رافق مولد الثورة المهدية وصورها بأبلغ تصوير بعد سقوط المهدية هاجر إلى قرية الولي وبقي بها حتى وفاته في عام ١٩١٩

(٢) المرجع السابق، ص (٥١٥)

(٣) المرجع السابق، ص (٥١٩)

* هو أحمد بن أحمد بن شريعة ولد في العام ١٢٦٩هـ بقرية سيال ود خاطر الشكري من ضواحي مدينة رفاعه تلقى تعليمه الأولي في خلاوى القرآن بمسجد الشريف ود الأبيض من قرى مركز رفاعه، كان زمالاً وعمره لم يتجاوز الثلاثة عشر سنة كتب الشعر في تمجيد الثورة المهدية

وحاج الماحي * يقول : (١)

الهي صل على الخيارا محمد الجانا بالبشارة
ثنيت بي خاتم الرسالة محمد الآتي بالندارة

ويقول أيضاً:

اللهم صل على النبي المعمور صلاة بعد الطافو بالمعمور

وكما ذكرنا أن المدحة تبدأ بالصلاة على النبي ود سعد يذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ماحي الضلال وهو يأمل أن تشملته شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

والصلاة على النبي إنما هي مفتاح للخيرات ويظهر الأثر الصوفي في كثرة الصلاة . وكل المداح يصلون صلاة لاعدد ولا حصر لها على النبي صلى الله عليه وسلم لمعرفةهم الوثيقة بأن الصلاة على النبي فيها خير كثير .

كما أكثر الشعراء العرب أيضاً من الصلاة على النبي .

يقول البوصيري * : (٢)

مولاي صل وسلم دائماً ابداً على حبيبك خير الخلق كلهم

يقول البرعي اليماني * (٣)

عليك صلاة ربي ما تبارت صبا نجد نسيماً أو رخاء
صلاة تبلغ المأمول فيها صحابتك الكرام الأوفياء

(١) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح النبوية، الجزء الأول، ص (١٨٣) ،
* حاج الماحي من فطاحل شعراء المديح النبوي ،ينتمي إلى قبيلة الجعليين ولكنه ولد ونشأ وعاش في ديار الشايقية في الكاسنجر كان أمياً يجهل القراءة والكتابة ويعترف بذلك في قوله:
ما جريت قلم وما خطيت سطور

ولد في العام ١٧٩٤ وتوفي ١٨٦٩

(٢) يوسف بن إسماعيل النبهاني، المجموعة النبهانية في مدح خير البرية، الجزء الأول دار المعرفة بيروت ، ص (١١٢)

*البوصيري هو امام المديح النبوي شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الأبوصيري توفي سنة ٦٩٦ هـ

(٣) النبهاني ، المجموعة النبهانية، ص (١٢٥)

*البرعي اليماني، هو الإمام عبد الرحيم البرعي اليماني من أهل القرن الخامس الهجري

وفي الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) مانقل في المواهب اللدنية عن زيد بن أرقم (رض) قال خرج عمر "رضى الله عنه" في خلافته ليلاً يحرس فرأى مصباحاً في بيت فإذا بعجوز تنفث صوفاً وتقول (١)

على محمدٍ صلى الأبرارُ صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنتَ قواماً بكى الأسحار ياليت شعري والمنايا أطوار

تعني النبي (ص) فجلس عمر يبكي ثم قام فسلم عليها ثلاثاً وقال لها أعيدي على قولك فأعادته بصوت حزين فبكى عمر وقال لها وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت : وعمر فاغفر له يا غفار

العنصر الثاني

الشوق للنبي صلى الله عليه وسلم
يقول حاج العاقب* (٢)

شوقي للشفيع في الملا كاشف الكرب والبلا
أبتدا العبيد فصلاً جاب قصيدتو مؤصلاً
بعدها فقال الصلا والسلام على المرسلا

نلاحظ إستخدامه لكلمة ابتداء وكنا قد ذكرنا أن المدحة قد تبدأ بها.

يقول ود تميم* (٣)

الشوق للرسول الماحي في السهوة أم رخام يا صاحي
صح الراوي للإصلاح قال لي يا غلامو كن صاحي

والسهوة أم رخام هي حجرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها. واطلق الاسم على المدينة المنورة وسميت كذلك لأنها مشيدة بالرخام وتسمى أيضاً أم قلل .

(٢) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح النبوية، ص، (٥٦)

*محمد حاج العاقب من قبيلة الجعليين العباسية ولد بقوز بدر ضواحي شندي عام ١٧٠٤ حفظ القرآن وسمي البرعي الصغير لفرط حبه للنبي صلى الله عليه وسلم توفي عام ١٧٧٩

(٣) المرجع السابق، ص (١٠٤)

*أحمد ود تميم من الجعليين العالياي ولد بالمديرية الشمالية في عام ١٨١٥ وانتقل إلى منطقة الحوش إحدى مناطق النيل الأزرق كان من حملة القرآن الكريم ،توفي بأم درمان في عهد المهديّة في عام ١٨٨٦

يقول صالح الأمين* (١)

شوقك شواني يا
سالك يا ذوالكرم
أيضاً ثنيت النـم
فوق صاحب العلم

نلاحظ أنه استخدم كلمة ثنيت وقد ذكرنا أن المدحة قد تحتوي على مثل هذه الكلمات.
ودحليب* (٢)

شوقي لي بدر الكمال التـم
بسم الله في أول شروع النـم
أب عرقاً خفي الطيب والجلاد في الشم
بالرزق العباد في كل يوم يرحم

يعبر كل هؤلاء المادحين عن شوقهم لزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) في حب ولوعة ظاهرة في أشعارهم فكأنما هو محب أضناه البعد وآلمه الفراق عمن يحب وهم يعبرون عن عظيم تقديرهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) فتارة هو كاشف البلا ومرة هو الشفيـع .
هذا وقد سبق شعراء الفصحى في التعبير عن أشواقهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) وهذا عبد الرحيم البرعي اليماني يقول: (٣)

نحنُ لذكره طرباً وشوقاً
ومالي لا أحنُ إلى حبيبٍ
فيمسينا تساقينا الصَّلَاةُ
ثملتُ براحِ مدحته انتشاءً

يعبر البرعي عن شوقه هو وأصحابه وقد ذابوا حنيناً كأنما شربوا خمراً ويستنكر عدم إحساسه بالحنين إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسي* : (٤)

ولولا اشتياقي أن أراك بمقلتي
لما كنتُ أشتاق الغدير ونجد

(١) قرشي محمد حسن ، مع شعراء المذائح النبوية ، ص (١٢٩)

ولد صلح حاج الامين في عام ١٨٢٥ في العهد التركي، شغل المجتمع السوداني بروائع قصائده النبوية ويقال إنه كتب الشعر وعمره ثلاثة عشر سنة .

(٢) المرجع السابق ، ص (١٥٣)

* على ود حليب، أول من كتب قصائد المديح من شعراء الشايقية وهو استاذ حاج الماحي ولد في العام ١٧١٩ ضاع معظم شعره بوفاة منشديه والشعر في اسرته قد يكون وراثيا فقد كان أبناء الشاعر واحفاده يكتبون الشعر توفي العام ١٧٧٤ .

(٣) ابو يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية، ص (١٢٢)

(٤) المرجع السابق ، ص (٤٣٨)

والقاضي أبو عبد الله محمد العطار* (١) :

أهدتُ لنا طيبَ الروائحِ يثربُ فهبُّوبها عند النسيمِ يطربُ
رقتَ فرقَ من الصبابةِ والأسى قلبٌ بنيرانِ البُعادِ يعذبُ
شوقاً إلى أسنى نبيِّ حُبِّه كُنزَ النجاةِ فنعمَ هذا المطلبُ

العنصر الثالث :

نسب النبي صلى الله عليه وسلم

عبد الرحيم البرعي الكردفاني* يصل نسبه إلى عدنان : (٢)

العدناني مفتاح الجنان
يا من بيك أمانى من شر الزمان
جاهك لي ضمانى في الدارين حماني

ويذكر نسبه إلي قريش في قوله : (٣)

اللهم صل على النبي القرشي صلاة بعد الطافو بالعرش
باللوح والقلم والكرسي والعرشي مولاي بالجنان العالية والفرش

ويذكر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الأبو صيري في الهمزية نسبه : (٤)

وبداً للوجود منك كريمٌ من كريمٍ أباه كرماءُ
نسبٌ تحسب العلا علاه قلَّدتها نُجومها الجوزاءُ
حبذا عقدٌ سوددٍ وفخارٍ أنتَ فيه اليتيمةُ العصماءُ
هاشميٌ له العفافُ آذارُ وله الحُسْنُ والجمالُ رداءُ

(١) أبو يوسف النبهاني ، المجموعة النبهانية في مدح خير البرية ، ص (٤٣٨)

*أبو عبد الله محمد بن جابر العطار مؤلف كتاب نظم الدر في مدح سيد البشر

(٢) عبد الرحيم البرعي الكردفاني ، ديوان مصر المؤمنة، جمع وتحقيق أحمد وقيع الله (٢١)

هو الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ وقيع الله البرعي تيمنا والكردفاني مولدا و نشأه وموطنا المالكي مذهباً الكاهلي نسباً- توفي في عام ٢٠٠٥ ودفن بمسجده بالزربية بالقرب من أم روابة في كردفان.

(٣) عبد الرحيم البرعي ، ديوان رياض الجنة ونور الدجنة ، مطبعة جامعة الخرطوم، ص (٢٥٤)

(٤) أبو يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية ، ص (٧٧)

ويذكر ود سعد صحة نسبه وبراءته في قوله : (١)

نسبو العريف الفاح	مبرأ من سفاح
من حوا صفاح في	صفاح لي آمنة الرباح

وقد أكد ود سعد صحة نسبه وذلك لأنه كانت في الجاهلية انكحة متعددة أبطلها الإسلام بعد ظهوره

ويقول البرعي اليماني : (٢)

قد تحرى كرائمًا من كرامٍ	ما ابتغى قط في حماهم بغاءً
بصحيح النكاح دون سفاح	فهو نعم النكاح ونعم الرفاء

اتفق المادحون على براءة نسب النبي صلى الله عليه وسلم من السفاح وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان .

وحاج العاقب يصل نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان : (٣)

من بعد يا أخوي الصفا	بوريكم نسب المصطفى
البرضى من ذنبو العفا	اليابا قول أمشي الهفا
محمد القرشي الشريف	المصطفى أب كمأ عفيف
في الحشر يوم الناس تقيف	لولا العصات كانت تقيف
عبد الله عبد المطلب	قول هاشم الما بنغلب
سيماهم الكر في الحرب	مالن بلا النافوخ ضرب
عبد مناف بن قصي	ابن كلاب يا سادة سي
مرة كعب بن لؤي	ابن غالب الكوى خصمو كي

(١) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح النبوية، الجزء الثاني، ص (٢٤٨)

(٢) أبو يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية، الجزء الأول، ص (١٢٥)

(٣) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح النبوية، الجزء الثاني، ص (١٢١)

فهر ومالك قد أتى	والنضر بعد كنانة
جزيمة مدركة يافتى	والياس مضر كن مدركة
نزار ومن بعده معد	عدنان به تم العدد
من ها هنا ذا المعتمد	لى آدم اختلفوا العمد

(سى) كلمة تدل على الاعجاب وهي كقولهم الله درك ولم يتجاوز حاج العاقب عدنان في النسب الشريف وقد اختلف العلماء في بقية النسب الذي يصل لآدم عليه السلام.

ويقول البرعي اليماني في نسبه صلى الله عليه وسلم: (١):

حلّ شيئاً ادريس نوح وإبراهيم	نور ومن اتاه العداء
ثم عدنان ناله ومعد	ونزار وهكذا نجباء
معدّ الخير وابنه الياس والمدركة	من كل رفقة ما يشاء
وجزيمة كنانة ونضر والمالك فهر	وغالب اللواء
ثم كعب ومرة وكلاب	وقصي وكلهم كرماء
ثم بدر البطحاء عبد مناف	هاشم شيبه الفتى المعطاء
وابو المصطفى الحلال *	عبد الله و الكلّ سادة نبلاء
هكذا المجد والجدود فنادوا	الخلق أين الأشباة والأكفاء

نلاحظ أن حاج العاقب قد بدأ النسب من النبي (صلى الله عليه وسلم) وانتهى إلى أجداده وحدث العكس عند البرعي اليماني وقد بدأ النسب من الأجداد وانتهى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وعلى ذلك فهو :

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نزار بن معد بن عدنان .

هذا السرد المتسلسل يدل دلالة واضحة على المعرفة الوثيقة للسيرة وإذا وضعنا في اعتبارنا ان التعليم في السودان قد بدأ في الخلاوى وهي لا تُدرّس القرآن فقط وإنما تُدرّس السيرة النبوية واللغة العربية ومبادئ الحساب فهذا ربما يفسر لنا الأمر.

(١)/ابو يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية، الجزء الأول ، ص (٢١٥)
*الحلال: السيد المطاع

العنصر الرابع :

صفات النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه

يقول ودميم : (١)

ورسول الرحمة	نبي الشفاعة
ذكرها ابن هالة	أوصافو التي
مربوع القامة	هاك منها عشرة
والشعر وفرة	وعظيم الهامة
وما بين اللمة	ما بين الجملة
وكحيل المقلة	ومساوي الشحمة
فاق جيدو الدمية	وكثيف اللحية
ورحيب الراحة	فوق كتفو الشامة

ود حليب : (٢)

لو بریم لو مقرمدا	شعرو سابل مسندا
نور جبینو بیوقدا	حاجبو نون قارف الندا
عبقو للطیب فحلا	قامتو سمحة معدلا
فاق یوسف وأجملا	لونو صافی النور جلا

ويقول أب شريعة : (٣)

لا أجعد لا السبط	رقيق المسربة
معتدل الخلق	وجسمو مشربا
نعم المقربة	وجميل الأرنبه
من بعد المغرب	ردت له الشمس

(١) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح، الجزء الأول، ص (١٣٦)

(٢) المرجع السابق، ص (١٦٠)

* ابن ابی هالة كان وصافا ورد ذكره في الشمائيل المحمدية

(٣) قرسي محمد حسن، مع شعراء المدائح، الجزء الأول، ص (١٤٢)

وعن هذه الأوصاف الجسمانية جاء في كتاب الشمائل المحمدية للترمذي هذا الحديث الذي رواه ابن أبي هالة وكان وصافاً " كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربع وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، إن انفرت عقيقته فرقها ، وإلا فلا ، يجاوز شعره شحمة أذنيه ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب ، سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ، أقني العرنين ، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية سهل الخدين ، ضليع الفم ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية ، في صفاء الفضة - معتدل الخلق ، بادن متماسك ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعريجري كالخط ، عاري الخدين والبطن مما سوي ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، شثن الكفين و القدمين ، سائل الأطراف أو قال شائل الأطراف ، خمسان الأخصمين - مسيح القدمين ، ينبو عنها الماء ، إذا زال زال قلعا ، يخطو تكفؤا ويمشي هونا ، ذريع المشية ، إذا مشى كأنما ينحط من صلب وإذا التفت التفت معاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدر من لقي بالسلام) .

(١) الامام ابي عيسي محمد بن سورة الترمزي ، الشمائل المحمدية ، تحقيق سيد عمران ، دار الحديث القاهرة ، ص (١٥)

* فخماً مفخماً : عظيماً معظماً في الصدور والعيون ، المشذب هو الطويل البائن مع نقص في لحمه ، العقيقة هو شعر الرأس الذي على الناصية ، أزج : مقوس الحاجبين ، سوابغ في غير قرن : كاملان حتى كادا يلتقيان ، عرق يدره الغضب : يصيره الغضب ممثلاً دماً - أشم : الشمم ارتفاع قسبة الأنف مع استواء أعلاها - ضليع الفم : واسع وهي صفة محموده عند العرب - دقيق المسربة : الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة - الدمية : الصورة المتخذة من عاج وخلافة - رحب الراحة : واسع الكفين دليل على الجود - البادن : السمين المعتدل - أنور المتجرد : مشرق العضو الذي تجرد عن الشعر أو الثوب - اللبة : موضع الثقرة فوق الصدر شائل الأطراف : طويل الأصابع - خمسان الأخصمين : شديد تجافيهما على الأرض - مسيح القدمين : أملس القدمين - يمشي هونا يعني برفق ووقار وسكينة - ذريع : يرفع رجلة بقوة - يسوق أصحابه معناها يقدم أصحابه ويمشي خلفهم .

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

يقول الشيخ أحمد حاج مصطفى* : (١)

يصل الأقارب ويفقد الجيران	أخلاق الرسول أحمد عظيم الشأن
يغضب في الاله في نفسو ماغضبان	قالت عائشة أخلاقه القرآن
يجلس في الأكل مع الرق والصبيان	ما قابل مسينة إلا بالإحسان
ستار لليتامى ويغني للفقرا	يرفا الثوب ويرقع ويخسف النعلان

في نون والقلم أوصفو الرحمن

ويقول ود تميم (٢)

كلو كان محمود	متواضع وفعلك
وترقع المقدود	تحلب بيداك
والمراضى تعود	تتبع للجناز
تجعلو مريود	والمسكين في قومك
ياسيدي من الجوع	تعصب للحجر

او قوله :- (٣)

يألف ويألفو في الربعة	كان حلیم ولین الطبعة
واليوم قدروة بالسبع	شهرين جوفو خالي الشبعة

يقول ودحليب: (٤)

أب طريقاً ساهلا	الشفوق الماهلا
يرحم أب جيبا خلا	كفو للعطا باهلا

(١) د. الطيب أبو سن ، الشعر الشعبي عند الرباطاب ، مكتبة الفلاح ، جامعة أم درمان الأهلية ، ص (٢٥)
*ولد أحمد حاج مصطفى بمنطقة أمكي عمودية عتمور بالرباطاب في مطلع القرن الماضي وتوفي في خمسينياته
بدأ شعره بالغزل ولكنه انتقل إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم وبرع فيه واقتصر عليه
(٢) قرشي محمد حسن ، مع شعراء المدائح النبوية ، الجزء الثاني ، ص (٨١)
(٣) المرجع السابق ، ص (٨٣)
(٤) المرجع السابق ، ص (١٥)

ويقول الإمام البوصيري في وصفه (صلى الله عليه وسلم) : (١)
واملاً السمع من محاسنِ
يُمليها عليك الإنشاد والإنشاء

كُلُّ وصف ابتدأت به أستوعب	أخبار الفضل من ابتداء
سيّد ضحكة التبسم والمشى	الهيونا ونومه الإغفاء
رحمة كُله وحزم وعزم	ووقار وعصمة وحياء
كرمت نفسه فما يخطر السوء	على قلبه ولا الفحشاء
معجز القول والفعال كريم	الخلق والخلق مُقسط معطاء

ويقول النبهاني في وصفه (صلى الله عليه وسلم) : (٢)

كان يكفيه من عشاء غداء	وعشاء به يكون اكتفاء
كان مثل المسكين يجلس للأكل	بلا متكأ ولا اتكاء
كان يرضيه كُل طعم حلال	ولديه المحبوبة الحلواء
كان خير الأنام خلقاً	فلا الغش ملّم به ولا الفحشاء
كان من ساءه حبا وأبدى	الغذر حتى ظن المسيء المساء
كان عن قدرة سموحاً	صفوحاً ليس من الناس مثله سماء
كان يرضى بالفقر زهداً	ويُعطي الوفرة حتى يستغني الفقراء
كان بالخير يسبقُ الريح	جوداً أين منه الجنوب والحرياء
كان خير الشجعان في كُلّ حرب	كُلّهم عند بأسه جبناء

(١) أبو يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية في مدح البرية، الجزء الأول، ص (٨٦)
(٢) المرجع السابق، ص (٢٧٤)

أدى المسجد دوراً كبيراً في إيصال السيرة إلى الناس في شكل دروس دينية كما قامت الطرق الصوفية بدور كبير أيضاً، وكان التلقي في الغالب سماعياً .

العنصر الخامس :

معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

معجزات الميلاد :

يقول ود تميم : (1)

يوم وضوع الهادي الأتانا جات لأمو الحور من جنانا
بالملائكة بيوتهم ملانا حارسا من أصحاب الكهانة

يقول ود سعد : (٢)

جا سيدي الرسول من أمو يا عيسى مختوناً ومدهوناً بالأنوار مكسي
فاض النهر وانظفت نار الفرس والسما بالجنود مليت حرس

يقول حاج الماحي : (٣)

من أبيه في آمنة بان الظهور
لأمو جا الموضوع بانت الأمور
حاضرات نسا وبضع من حور
نقياً من دم طاهراً مطهور
خر ساجداً للاله شكور
فاحت الرياح منو والبخور

ويقول البوصيري في معجزات ميلاده صلى الله عليه وسلم : (٤)

ليلة المولد الذي كان للدين سرور بيومه وازدهاء

(١) قرشي محمد حسن ، مع شعراء المدائح النبوية ، الجزء الثاني ، ص (١٠١)

(٢) المرجع السابق ، ص (٤١٥)

(٣) المرجع السابق ، ص (٢٨١)

(٤) ابو يوسف النبهاني ، المجموعة النبوية الجزء الأول ، ص (٧٨)

وتتالت بشرى الهواتف أنْ قد وُلد الهدى وحقّ الهناء
وتداعى إيوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء
وغدا كُلّ بيتٍ نار وفيه كُرْبَة من خمودها بلاء
وعيون للفرس غارت فهل كان كنيرانهم بها إطفاء

اما في معجزة شق جبريل لصدره صلى الله عليه وسلم
يقول حاج العاقب : (١)

صدرك بلا مشقة جبريل له شقا
في الغار دخل حقا ليك الكريم وقا
شوقنا ليهو المكمل

ويقول البوصيري : (٢)

شقّ عن قلبه وأخرج منه مضغة عند غسلها سوداء
ختمته يُمنى الأمين وقد أودع ما لم تُداع له أنباء

اما عن معجزاته الاخرى :

١- يقول حاج العاقب : (٣)

إن وطا للحجار تخضع تلين وتموع
في الرملة إن مشى مابان لي أثر ووضوع
نطقتلو الغزالة البقبل المرجوع
قالت ليهو أبناي ماتوا من الجوع

(1) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح النبوية، الجزء الثاني، ص (١٠٨)
(٢) أبو يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية، الجزء الأول، ص (٨٠)
(٣) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح النبوية، الجزء الثاني، ص (٩٠)

دايرك تبقى لي
انا أروح أرضعن
يقول عبد القادر أبو كساوى* : (١)

ضامن هنا ومودوع
وآتيك قوام بسروع
القمر جا ساجد يسلمنا
يقول ود سعد : (٢)

آياتو كتار يكفيني منها
والشاة الأخد لقمة منها
ويقول أيضاً:

قبلك قتادة جا
رداها ذو البهجة
يقول أب شريعة : (٣)

من معجزاتو نقول نزرأ يسير
أحيا البنية لاجل إسلام أبيها
ويقول الصرصري* : في ذلك :

وله بالأباطح القمر أنشَقَّ
ومع البعث سلّم الحجرُ

وبيمناه سَبَّحَ الحصيات السبع
ومن المُعْجَز المُبِين حنين
وكلام الذراعِ و الضبِ والذئبِ

السحب اين يسير في الحر يسرن
شهدت بأنو رسول الله نبيها
بنصفين ليس فيه جفاء
الصلدُ عليه والدَّوْحَةُ الغناء

حقاً وسحّ منها الماء
الجزع لما عداه من التناء
وحيته ظبيةٌ أدماء

(١) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح، الجزء الثاني، ص (٤٦٣)
* عبد القادر أبو كساوى المع شعراء المدائح لمع نجمه في فنون المدائح في العصر التركي ولد في عام ١٨١٨
وجاب مناطق مختلفة في بقاع البلاد ولكنه عاد واستقر بقريته طيبة الحسناى التابعة حالياً لولاية الخرطوم حيث
توفي ودفن بها في عام ١٨٨١

(٢) المرجع السابق، مع شعراء المدائح، الجزء الثاني، ص (٤٥٠)

(٣) ابو يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية، الجزء الأول، ص (١١٨)
* الامام جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري العراقي الضرير الشهيد، قتله التتار

وقال البوصيري : (١)

درّت الشاة حين مرّت عليها	فلها ثروة بها و وعاء
نبت الماء أثمر النّخل في عام	بها سبحت لها الحصباء
وأزال بلمسها كلّ داء	أكبرته أطبة وأساء
وعيون مرّت بها وهي رمد	فأرتها ما لم تر الزرقاء
وأعادت إلى قتادة عين	هي حتى مماته نجلاء
النبي الأمي أعلم من	أسند عنه الرواة والحكماء

(1) ابو يوسف النبهاني، المجموعة النبّهانية، الجزء الأول، ص (٨٩)

وفي الحديث عن معجزة إدراة العجفاء نورد الآتي :

قال ابن قيم الجوزيه في كتابه " زاد المعاد في هدى خير العباد " في سياق حديثه عن هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) : " ثم مر في مسيره ذلك حتى مر بخيمة أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبيء بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقي من مر بها فسألاها هل عندها شيء فقالت : والله لو كان عندي شيء ما أعوذكم القرا والشاة عازب وكانت سنة شهباء فنظر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الشاة في كسر الخيمة فقال ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال هل بها من لبن قالت : هي أجهد من ذلك فقال أتاذاني لي بحلبها فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها وسمى الله ودعا فتفاجت عليه ودرت فدعا بإناء لها بريض الرها فحلب فيه حتى علت الرغبة فسقاها فشربت حتي رويت وسقي أصحابه حتي رويوا ثم شرب وحلب فيه ثانية حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها فارتحلوا فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزرا عجفا ، يتساوكن هزالا فلما رأى اللبن عجب فقال من أين لك هذا والشاة عازب ولا حلوبة في البيت فقالت لا والله إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ومن حاله كذا وكذا قال والله إني لأراه صاحب قریش الذي تطلبه، صفیه لی یا أم معبد قالت : ظاهر الوضاء ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعیه نجلاً ولم تزریة صعلأ ، وسیم ، قسیم ، وفي عینه دمج ، وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل ، وفي عنقه سطح ، أحور ، أكحل ، أزج ، أقرن ، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار ، إذا تكلم علاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد أحسنهم وأحلاهم من قريب ، حلو المنطق ، فصل ، لانزر ولا هذر ، كأن منطقہ خرزات نظمن يتحدرن ، ربعة ، لا تقحمه عين من قصره ولا تشنؤه من طول ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرأ وأحسنهم قدرأ له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره محفود ، محشود لاعابس ولا مفند ، فقال أبو معبد، والله هذا صاحب قریش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا لقد هممت أن أصحبه ، لأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبیل ...) .

(١) ابن القيم الجوزيه شمس الدين بن محمد العطار، زاد المعاد في هدي خير العباد، الجزء الأول، حسن محمد شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٢، ص (٥٣-٥٤)

العنصر السادس :

الشوق إلى المدينة المنورة

تعلقت أرواح المادحين بالمدينة المنورة فهي بلد النبي (صلى الله عليه وسلم) وفيها الروضة الشريفة وقبره موجود بها .

وأكتفي بإيراد نص واحد لإبراهيم ود الفراش* في وصف المدينة المنورة :

يا بلد الرسول فوقك بجر القافية
يا وطن الرجال أهل السريرة الصافية
لي قلبي الجريح فد نظرة منك كافية
شوقي عليك زي شوق المريض للعافية

.....

مغرم بيها من أيام قراية لوهي
ما لقيت لي دواياً بيهو أشفي جروحي
غير يا نفسي ترحلي للحجاز وتروحي
وأكرف من صبا طيبة البنعش روهي

.....

قسماً بي مناها وكعبتا وأركاننا
والقبة البتمنى الثريا مكاننا
غاية قصدي أزورا وأبقى من سكاننا
لكن المقادير بالقيود مانعانا

القصيدة غير موجودة في الديوان ولكنها متداولة في اشرطة الكاسيت وهي من الأدب الشفاهي
*إبراهيم الفراش ،شاعر بربر عاش في التركية السابقة وعمل جندياً في الجيش التركي نظم الكثير من المسادير
وهي اقدم ما وصل إلينا من هذا الفن (١٨٤٨-١٨٨٣)

ودعزة قريش يا حليل زمانا ودارا

آه أنا في الزمان لمتين أمر بديارا

ما بتتفع معاي القافلة والسيارا

مستعجل بدور أمشيلا بالطيارا

والواقع ان هذه القصيدة لم أجدها مسجلة في ديوان ود الفراش ولكنها من المدائح التي يرددها المادحون كثيراً وهي مسجلة في الإذاعة ومتداولة في أشرطة الكاسيت. مما استرعى انتباهي أن ود الفراش عاش في الفترة (١٨٤٧ – ١٨٨٣) كما هو مدون في ديوانه وإذا صحت نسبتها لود الفراش وقد ورد في آخر هذه المدحة ما يفيد نسبتها إليه في قوله :

قول لي يا جنا الفراش بنتولاكا

أنت معانا في الدارين ونحن معاكا

أقول كيف يمكنه الحديث عن الطيارة وهو قد عاش في زمن لا توجد فيه طائرات بمعناها المفهوم أم أن القصيدة مثل كثير من الآداب الشعبية تحتل الحذف والإضافة .

وقد تحدث البوصيري عن شوقه للمدينة المنورة قائلاً : (١)

حبذا حبذا معاهدُ منها	لم يُغَيَّرَ آياتهن البلاء
حرمٌ آمنٌ وبيتٌ حرامٌ	ومقام فيه المقام تلاء
فراينا أرضَ الحبيبِ يغضُ	الطرفُ منها الضياء واللالاء
أي نورٍ وأي نورٍ شهدنا	يوم أبدت لنا القباب قباء
فرَّ منها دمعي وفر اصطباري	فدموعي سيل وصبري جفاء
فترى الركب طائرين من الشوقِ	إلى طيبة لهم ضوضاء
فكأن الزوار ما مست البأساء	منهم خلقاً ولا الضراء
كُلُّ نفس فيها إبتهاال وسول	ودعاء ورغبة وابتغاء

(1) أبو يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية في مدح خير البرية الجزء الأول، ص (١٠٠)

وقد ذكر البوصيري الطيران كناية عن الاستعجال في الوصول إلى المدينة المنورة " فترى
الركب طائرين".

العنصر السابع :

الأمل في شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة:

وفيهما يذكر المداح أسماءهم :

١- يقول أب شريعة : (١)

الصلاة المبدية بالسلام إتمام
لِلرَّسُولِ مَهْدِيَّةٌ بِالْمَزِيدِ مَدِيَّةٌ
لِي أَبِ شَرِيعَةٍ تَكُونُ نَصْرَةً قُرْبَةً وَدِيَّةً

٢- ود سعد : (٢)

يقول ود سعد الآنَا
يا من عين لطفك كالانا
بالذنوب صحفي ملانا
ويدي قدرتك زارانا
تصير جروحي بريانا
بى جاه نبيك في الآنَا

٣- حاج العاقب : (٣)

عاقب الذي عاطلا
ما حيا الظلام نافلا
ما تلى الكتاب رتلا
ما حدا البكار قافلا
يا الرسول عليك الصلاة
تمسح الذنوب تغسلا

٤- يقول ود حليب : (٤)

ود حليب فيك قاصدا
اخوتي والوالدا
جاب عنك مجاهدا
في جناتك مخلدا

(١) قرشي محمد حسن، مع شعراء المدائح النبوية، الجزء الثاني، ص (٥٣٣)

(٢) المرجع السابق، ص (٣٦٦)

(٣) المرجع السابق، ص (٨٦)

(٤) المرجع السابق، ص (٢٦٢)

لم يلفظ هؤلاء المادحون كلمة شفاعاة صراحةً ولكن الذي يفهم من السياق أنهم يأملون في شفاعاة النبي (صلى الله عليه وسلم) لتقصيرهم في واجباتهم الدينية .

وأما الإمام الصرصري فيقول : (١)

يا شفيعاً في المذنبين إذا	أشفقت من خوف ذنبه البراء
جد لعاصي ما سواي هو	العاصي ولكن تنكري استحياء
وهو الشافع المُشفّع في	الحشر وفي كفه يكون اللواء
وله المقعد المقرب أسنى	شرفاً والوسيلة العليا

١ - ويقول مازن بن الغضوبة عندما قدم مسلماً : (٢)

اليك رسول الله خبت مطيتي	تجوب الفيافي من عمان إلى الفرج
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصا	فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج

٢ - الشهاب محمود : (٣)

وتوسلي بالمصطفى في دفع ما	تخشى هناك من سطا وعقاب
فالعفو كاف والشفاعة ظلها	صافي وفقرك انفع الأسباب

٣ - وقوله :

وشفاعاة الهادي إذا جثت الوري	من هول موقفها على ركباتها
------------------------------	---------------------------

(1) أبو يوسف النبهاني ، المجموعة النبهاانية في مدح خير البرية، الجزء الأول ، ص (١١٩)

(2) المرجع السابق ، ص (٧٦)

(3) المرجع السابق ، ص (٤٣١)

وذكر هؤلاء المادحون لفظة الشفاعة صراحة وأملوا كذلك في نيلها يوم القيامة

العنصر الثامن :

ذكر الصحابة رضوان الله عليهم :

ود تميم يذكر الخلفاء الراشدين :

ود تميم يذكر أبا بكر : (١)

تبعو وصدق كلامو

الصديق من غلامو

حتى عمرو ليهو سامو

أنفق مالو وطعامو

البوصيري : (٢)

به في حياتك اقتداء

بأبي بكر الذي صح للناس

وأعطى جمأ ولا أكداء

أنفق المال في رضاك ولا منّ

ود تميم يذكر عمر : (٣)

الإسلام ليهو عزة

الفاروق المنزه

خل الروس راقده قزه

في الكف سيفو حزا

البوصيري : (٤)

الله به الدين فأرعوى الرقباء

وأبي حفص الذي أظهر

الفصل ومنه كلمته السمؤ السواء

عمر بن الخطاب من قوله

(1) قرشي محمد حسن ،مع شعراء المدائح النبوية ،الجزء الثاني ،ص، (١٠٦)

(2) أبو يوسف النبهاني ،المجموعة النبهانية في مدح خير البرية،الجزء الأول ،ص (١٠٤)

(١٠٦)

(3) قرشي محمد حسن ،ص

(١٠٥)

(4) أبو يوسف النبهاني ،ص ،

ود تميم يذكر عثمان : (١)

ذو النورين تغريهو حالاً تعجب بيهو
الأمانو نازلة فيهو والاملاك تستحيهو

البوصيري : (٢)

وابن عفان ذي الأيادي التي طال إلى المصطفى بها الإسداء
حفر البئر جهز الجيش أهدى الهدي لما صده الأعداء

ود تميم يذكر علي : (٣)

الحيدر زوج البتولو وارث علم الرسولو
فراشو الفاق المقولو طشت منهو العقولو

البوصيري (٤)

وعليّ صنو النبي ومن دين فؤادي وداده والولاء
ووزير ابن عمه في المعالي ومن الأهل تسعد الوزراء

بقية الصحابة: (٥)

يقول حاج الماحي :

سيد طلحة والزبير والرسل لا عزيز
سيد ميسرة وعمير سيد ضمرة وسيد سمير

(١) قرشي محمد حسن ،مع شعراء المدائح النبوية،الجزء الثاني، ص، (١٠٦)

(2) ابو يوسف النبهاني ،المجموعة النبهانية،الجزء الأول، ص (١٠٥)

(3) قرشي محمد حسن ،ص (١٠٦)

(4) ابو يوسف النبهاني ،ص (١٠٥)

(5) قرشي محمد حسن ،ص (٢٧٥)

سيد زيد مع المغير	من جملة العطير
وين ستت التدبير	السامو للعمير
ناس طلحة والزبير	سعد وسعيد صغير
باعبيدة العمير	عمار بن ياسر
الكندي مبتدر ضرار	ضرعام شاطر
سيدي ابن عوف عاشر	كاد بولس العوير
ابن الوليد نادر	في حمزه نستتر

نلاحظ أن حاج الماحي قد استخدم الإمالة في كلمات (ياسر – شاطر) فهو ينطقها (ياسير – شاطير) في إشارة إلى قراءة الدوري وذكرها صراحة في قوله:

ما بينفع التعذير جنزر كلاب(النير)

وقد أشار البرعي أيضاً إلى الإمالة في قصيدته ساكن مدينة الخير .

حيث قال : (١)

ساكن مدينة الخير	أنا ناوي لي
قوماك غير تأخير	أنا ناوي لي
يا من سميع وبصير	أنا ناوي لي
سامحنا في التأخير	أنا ناوي لي
سد لانا باب (النير)	أنا ناوي لي
يانعمة عقب (الدير)	أنا ناوي لي

(1) عبد الرحيم البرعي ،ديوان مصر المؤمنة ،ص (٢٠)

أما البوصيري فيقول في بقية الصحابة : (1)

الترتيب فينا تفضيلهم والولاء	وبباقي أصحابك المظهر
واحداً يوم فرت الرفقاء	طلحة الخير المرتضيه رفيقاً
الذي أنجبت به أسماء	وحواربيك الزبير بن العوام
وسعيد إن عدت الأصفياء	والصفيين توأم الفضل سعد
الدنيا ببذل يمدّه اثناء	وابن عوف من هونت نفسه
يُعْزِي إليه الأمانة الأمانة	والمكنى أبا عبدة إذ
وكل أتاه منك إثناء	ويعميك من فلك المجد

وكانما نظر حاج الماحي إلى قول البوصيري فجاء بالترتيب نفسه لأسماء الصحابة .

(1) أبو يوسف النبهاني ،المجموعة النبهانية ،الجزء الأول ،ص (١٠٦)

تعليق :

مما يلفت الانتباه أن شعراء المديح النبوي في السودان قد تركزوا كما ذكر قرشي حسن في مناطق (نهر النيل الشمالي والوسط) وبرغم الكم الهائل من الشعر والشعراء في البطانة إلا أنهم لم ينظموا شعراً كثيراً في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذه الملاحظة تنطبق على مشاهير الشعراء العرب من أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري فهم لم ينظموا بيتاً واحداً في مدحه (صلى الله عليه وسلم) ، وقد قال بعض العلماء إن سبب عدم مدحهم هو علمهم أنهم عاجزون عما يليق به (صلى الله عليه وسلم) من المدح فتركوا مدحه تأدباً معه - ولكن النبّهاني يري علة أخرى في ذلك وهي كما أوردها في كتابه.... (إن مدحه جملة من الطاعات والعبادات تحتاج إلى التوفيق من الله تعالى للعبد حتى يتيسر له فعله وهؤلاء وأشباههم لم يوفقوا لهذه الطاعة العظيمة لعدم تأهيلهم لها بسبب ما أتصفوا به من أخلاق الشعراء وما جبلوا عليه من الكذب بأبلغ العبارات في المدح إن رضوا والذم إن غضبوا فضلاً عن تعديهم على أعراض الناس وقذفهم المحصنات والتشبيب بالنساء والغلمان ونحو ذلك من السفاهات وكفى بذلك مانعاً لهم من مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) مالم يتوبوا . والظلام والنور ضدان في آن واحد لا يجتمعان وكونهم من أكابر الشعراء لا يقتضي تأهلهم لعبادة الله يمدح عبده ونبيه وحببيه الأكرم صلى الله عليه وسلم....)

(1)أبو يوسف النبّهاني المجموعة النبّهانية في مدح خير البرية،الجزء الأول،ص (١٨)

المبحث الثاني

المدح العام

يعتبر المديح من أكبر أبواب الشعر، وهو يعبر عن التقدير الكبير الذي يكنه المادح للممدوح، وقد يكون المدح نثراً تعدد من خلاله محاسن الممدوح، ولكن الشعر يشكل حضوراً أقوى، وبقاءً أطول في الذاكرة، والناس في الغالب يستهويهم الشعر أكثر من الكلام المنثور، لسهولة حفظه وتداوله، خاصة إذا كان مغنى كما في كثير من الشعر الشعبي .

والتمدح يكون بالصفات الحميدة التي تمثل قيماً في المجتمع وأكثر هذه القيم تداولاً في الشعر الكرم . وربما كان ذلك لأن العائد من الكرم يعود على المادح بشكل خاص مادياً كان أو معنوياً، فالممدوح مرة غيث وهو مرة بحر، للدلالة على كثرة عطائه الذي يشبه الماء في تدفقه. وإكرام الضيف من صميم الصفات الحميدة التي يمدح بها الفرد أو القبيلة، وقد يمدح الشخص لأنه ذو سلطة أو جاه، أو قد يكون الممدوح صديقاً أو ابناً أو قريباً، ويمكن أن يكون الممدوح قبيلة أو فئة من الناس .

وتحتل الشجاعة والفروسية مكاناً متقدماً من حيث كثرة التمدح بها فالممدوح فارس مغوار لا يشق له غبار فهو أسد أو نمر، أو أحد المفترسات وقد يذهب المادح بعيداً ويصف الممدوح بالصاعقة . وتأتي بعد ذلك بقية الصفات النبيلة في اتصاف الممدوح بها من كرم الأصل ودمائة الأخلاق ورجاحة العقل والصبر وما إلى ذلك .

ونلاحظ التداخل الواضح بين المدح والفخر والثناء فالفخر مدح للنفس والآباء و القبيلة والثناء مدح للميت وتعداد لمحاسنه والشاعر يمدح مدفوعاً بالإعجاب بالممدوح مما يجعله يحشد كل الصفات الحميدة ويلصقها به.

عناصر القصيدة المادحة :

العنصر الأول :

الأصل والنشأة الطيبة :

قول عوض الأمين يونس الركابي * (١)

أبواتك قبيل بخلوا للعوجات

مطمورتك تكيل للخالة والعمات

في الجود والكرم أيديك دوام بارزات

يا أب قلبا صميم في الحوبة مابتنفات

قد سبق لبيد بن ربيعه العامري في ذكر الأصل الكريم لممدوحه في قوله : (٢)

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

فَضْلاً وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى سَمَحَ كَسَوْبُ رَغَائِبٍ غَنَامُهَا

ذكروا الآباء باعتبارهم الأساس في تنشئة الرجال ثم عرجوا على ذكر الجود والكرم .
سيتضح لنا أن الكرم صفة متلازمة مع كل الصفات الحميدة .

وقول بشير فرح يمدح أخاه (٣)

أبوك ضيب* البحار وجدك بخوض النار

وأهلك بي وراك الكل وقف زنهـار*

(١) محمد الفاتح ابو عاقلة ، خصائص الشعر الشعبي السوداني، جامعة السودان المفتوحة ، سنة ٢٠٠٨ ص (٥٩)

* عوض الأمين يونس الركابي من القرية ٢٨ اب دومة محلية أم القرى بولاية الجزيرة ، يعمل مزارع بمشروع الرهد الزراعي.

(٢) ابن الأنباري ، أبو بكر محمد شرح المعلقات السبع الطوال، تحقيق أحمد محمد شاکر وعبد السلام هارون، القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٣ ص (٥٩٣)

(٣) د. الطيب ابوسن ، الشعر الشعبي عند الرباطاب ، ص (٥٢)

* ضيب : ذئب

* زنهار: معتدلاً ومتحفزاً

ذكرت أن ممدوحها ينحدر من آباء أقوياء كما أن لديه قبيلة قوية تقف خلفه وتشد أزره

وقد تفق مع قول المتنبي الذي نسب المجد والعز إلى أنه موروث من الآباء: (١)

خير قريش أباً وأمجدها واكثرها نائلاً وأجودها

ذكر كرم الأصل في الآباء، وذكر بشير فرح كرم الأصل مقرونا بالشجاعة وذكره المتنبي مقرونا بالكرم .

وقول الشاعرة (ست النفر) وهي تمدح أحمد سمساعة أحد أعمدة مجتمع الرباطاب (٢)

بلا جدك منو أنت العالي في الدرجات

بلا جدك منو القدامي في الصلوات

أيضاً نسبت المجد إلى الأجداد وهذا شائع وقديم عند العرب ويظهر ذلك في قول البحتري: (٣)

وإليكم آل المهاجر هاجرت جمل المكارم عن جميع الناس

فأبوكم المجد القديم وفعلكم وقف أقام على الندى والبأس

وهناك دلالات ذكرها الشعراء تدل على كرم الأصل ومن ذلك قولهم:

غنت ليك السرارة ود العز والفخارا

ود البدقوا النقارة عينك حمرا وشرار

"النقارة" وهي تسمى النحاس أيضاً وتوجد في بيت السيادة وهي تدل على أن الممدوح من بيت زعامة وقد اقترنت هذه الزعامة بالشجاعة .

(١) ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ، وضع عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٠، المجلد الأول ص (٢٩)

(٢) د. الطيب أبو سن ، الشعر الشعبي عند الرباطاب، ص (٥٤)

(٣) ديوان البحتري، المجلد الثاني، شرح وتقديم حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ص (٣٠)

* هو أبو عبادة البحتري ، شاعر مجيد ومطبوع من شعراء العصر العباسي.

(٤) الطيب محمد الطيب ، دوبي، مطبعة التيسير، ٢٠٠٢ م ، ص (١١٧)

وقول الأعشى* (١):

أَخَا ثِقَّةٍ عَالِيًا كَعْبُهُ
جَزِيلَ الْعَطَاءِ كَرِيمَ الْمِنَّةِ
كَرِيمًا شَمًا نَلُّهُ مِنْ بَنِي
مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ السَّنَنُ

ويقول الأعشى عن ممدوحه (عالية كعبه) في إشارة إلى أصله النبيل ويبدو أن بني معاوية هؤلاء من عليّة القوم وهم رهط قيس بن معديكرب .
- وقولهم في التأكيد على أن الممدوح من عليّة القوم: (٢)

أَسَدُ الْخَشْشِ الضَّرِيَّةِ

كَابِي فَوْقَ الْوَلِيدِ

وَدُ الْعَزِّ وَالْبَنِيَّةِ

وقولهم :

أَهْلَكَ سَمُوكَ الْأَصَمِ
مَاسْرُحُوكَ بِي بِهِمْ
البنية هي القبة مما يعني أنه من بيت صالح تقي و أشار إلى أن الممدوح لديه من يقوم على خدمته مما يعني أنه من بيت عز و غنى.
وفي هذا الإطار الذي وضع فيه الممدوح من أنه ذو أصل كريم يقول علي بن جبلة* (٣):

يَا بَنَ الْأَكَارِمِ مِنْ عَدَنَانَ قَدْ عَلِمُوا
وَنَاقِلُ النَّاسِ مِنْ عُدْمٍ إِلَى جِدَّةٍ
وَتَالِدُ الْمَجْدِ بَيْنَ الْعَمِّ وَالْخَالِ
وَصَارِفُ الدَّهْرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

أجمعت الشواهد على أن الصفات النبيلة إنما استمدها الممدوح من آبائه واجداده وقد جاء في الاثر " تخيروا لنطفكم فان العرق دساس "وقوله صلى الله عليه وسلم " عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال (صلى الله عليه وسلم): تخيروا لنطفكم ولتنتظروا أين تضعونها فان النساء يلدن اشباه إخوانهن وأخواتهن... (٤)

(١) ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق د.محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص (٦٩)

*هو ميمون بن قيس شاعر جاهلي مشهور، كان يسمى صناجة العرب
(٢) الطيب محمد الطيب، دوبي، ص (١١٧)

(٣) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني ، مكتبة القدس، القاهرة، سنة ١٣٥٢ هجرية ، الجزء الأول ص (٢٨)
* علي بن جبلة من العصر العباسي، كان اعمى ،ومعظم شعره في المدح

(٤) اخرجه ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة ح رقم (٦٧٦٦)

وهذا يدل على أن الصفات الحميدة أو الذميمة قد يتم توارثها .

العنصر الثاني : الكرم

أولاً : تشبيه الممدوح بالماء "المطر"

قول إبراهيم العبادي على لسان طه البطحاني في مسرحية الملك نمر : (١)

مرحبتين حباب مرحب خريفنا الزارنا

حباب شيخ العرب اتشرفتبو ديارنا

حباب شيخ العرب البيهو كل مدارنا

وقد شبه الباحثري ممدوحه بالمطر في قوله : (٢)

كالغيث منسكباً على إخوانه كالنار ملتهباً على أعدائه

الممدوح كثير العطاء والجود فهو مطر منهمر وقد تردد هذا المعنى في الشعر العربي كثيراً .

وقول الجعلية في أبيها : (٣)

جدك وذو حمد سمو الخريف القاس
في الجود والكرم من عرضو ما بنقاس
دا هيلو الكرم يائسلة العباس
حرساً من قديم ياوّد عزاز الناس

وقول الأعشى واصفاً ممدوحه بالمطر كما في قول الشاعرة السابق يؤكد أن تشبيه الممدوح بالمطر قديم وشائع : (٤)

كالغيث ما استمطروه جاد وابله وعند ذمته المستأسد الضاري

(١) إبراهيم أحمد بابكر العبادي ، مسرحية الملك نمر ، الطبعة الأولى، إبريل ، الخرطوم ١٩٦٩ وزارة الاعلام والشؤون الاجتماعية ، ص (٣٣)

* إبراهيم العبادي ولد بمدينة ام درمان في عام ١٨٩٤ وهو من قبيلة العباددة المشهورة التي نزحت من بربر ومصر ، درس بخلوة الشيخ الطاهر الشبلي والتحق بمدرسة أم درمان الوسطى ، كان مفطوراً على حب الغناء منذ نشأته ، انتقل إلى الجزيرة وكردفان وبقي فيهما ردهاً من الزمان ولكنه عاد واستقر في أم درمان وتقيم أسرته حالياً بحي المهديّة بأم درمان.

(٢) ديوان الباحثري ، المجلد الأول ، ص (٣٥)

(٣) عبد الحميد محمد أحمد ، خنساوات السودان ، دار عزة للنشر والتوزيع ، ص (١٨)

(٤) ديوان الأعشى الكبير ، ص (٢٢٩)

وقول أبي تمام : (١)

كالغيث إن جنته وافاك ريقه
وإن تحملت عنه في كل مطلب
من غير ما سبب ماض كفى
سبباً للحر أن يعتفي سبباً بلا سبب

ثانياً : قرى الأضياف :

درج العرب قديماً على اشعال النار ليلاً ليهتدي بها الناس في البادية لأن البيئة شبه صحرواية خالية من الموانع التي تعيق رؤية النار وهذا التقليد أخذه عرب البوادي في السودان عن أسلافهم في شبه جزيرة العرب .

يقول إبراهيم العبادي : (٢)

توقد نارو ديمة الما بكوس الجمرة
في الضيفان يهوش سكينو دائماً حمرة
بي كاس ماعبر لبنو بجيك بالعمرة
هيلو الشكره هيلو الرياسة هيلو الأمره

(سكينو دائماً حمرة) ، دلالة على كثرة ذبحه للذبائح فهي تقطر دماً ولا يخلو بيته من النار وهو رئيس في قومه . ويظهر هذا التقليد (قرى الأضياف) في قول متمم بن نويرة يمدح أخاه مالك بن نويرة * (٣)

لعمري لنعم المرء يطرق ضيفه
بذول لما في رحله غير زُمح *
إذا بان * من ليل التمام * هزيع
إذا أبرز الحور الروائع * جوع

يتحدث عن ضيوف الليل . وهو كثير البذل لما في يده دون ان يهتم لما بذل .

(١) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ص (١١٥)

(٢) إبراهيم العبادي ، مسرحية الملك نمر ، ص (٣٢)

(٣) المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، المفضليات ، تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف ، بيروت ، ص (٢٧٢)

* متمم بن نويرة هومن المخضرمين ، صحابي له قصائد في اخيه مالك يرثيه بها
* بان : مضى ، * ليل التمام : اطول ليالى الشتاء * الزمخ : القصير البخيل ، * الحور الروائع : البويض المحجبات

وقول العبادي على لسان (ريا) في مسرحية المك نمر تمدح (طه البطحاني) بقرى الأضياف :
(١)

تقابة الفريق توقد صباح وعشية
زايد في الرجال طالق قفاه وشية
ضيوف الليل يكفيهم مرارة وشية

وقد سبق الحطيئة* في مدحه لأحدهم بقرى الأضياف في قوله : (٢)

متى تأتيه تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

وقول العبادي في ذات المسرحية وذات الموضوع : (٣)

حباب طه الضرس الفي الصهيباب راس

الجود والكرم هيلك قديم ميراس

نارك مابتموت ياولدة الفراس

وقد سبق لبيد بن ربيعة في التأكيد على صفة الكرم وقرى الأضياف في قوله: (٤)

وشارف في قرى الأرياف خالي وأعطى فوق ما يُعطي الوفود

والنماذج كثيرة في وصف الممدوح بالكرم وقرى الأضياف . وهذه صفات أصبحت واجبة للممدوح كأنه ورثها كابر عن كابر.

قول العبادي يصف ممدوحه بالكرم الذي ورثه عن أبيه لمكانته بين الناس : (٥)

يا ود الهميم النفسو ما معارضاه

كرم الضيف عليك مكانة أبوك فارضاه

(١) إبراهيم العبادي ، مسرحية المك نمر، ص، (٣٢)

(٢) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الأول، ص (٤٣)

*الحطيئة هو جروول بن اوس العبسي من المخضرمين ، كان كثير الهجاء ، مر اللسان، حبسه عمر بن الخطاب لكثرة هجائه للناس واستعطفه بأبيات سنذكرها لاحقاً

(٣) إبراهيم العبادي ، مسرحية المك نمر ، ص (٣٤)

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، شرح وتحقق د. احسان عباس ، وزارة الاعلام الكويتية سنة ١٩٦٠ ص (٣٩)

(٥) إبراهيم العبادي ، مسرحية المك نمر، ص (٣٦)

وقول حجر بن خالد :^(١)

سمعتُ بفعل الفاعلين فلم أجدُ كفعل أبي قابوس حزماً ونائلة
يُساقُ الغمامُ الحو من كلِّ بلدة إليك فأضحى حولَ بيتك نازلة

العنصر الثالث

وصف الممدوح بالشجاعة والفروسية

تعتبر الشجاعة والفروسية من أكثر القيم التي يمتدح بها، والشاعر يسبغ على ممدوحه صفة الشجاعة ويظهر ذلك في قول نائل ود عجيب في "القوة وشدة البأس "

وين أب قلبا صميم ما بلج
وين البدخل الوكرة السلاحا برج
منو ركاب العواتي وهزاز سيوف الحد

وهذا شبيهه بقول البحري^(٣) :

تَنادَرَ أَهْلَ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِعاً أطاعَ لها العاصونُ في بلدِ الغربِ
لجَرَدٍ نَصَلَ السِّيفَ حَتَّى تَفَرَّقَتْ عن السِّيفِ مَخْضُوباً جُمُوعَ أَبِي حَرْبِ
وتعتبر الخيول القوية واحدة من أهم أدوات الفرسان ، في وصف حال (الخيول مع الممدوح)
تقول (رقية بنت الامين ود مسمار) في مدح أبيها^(٤) :

غَنِّي وَشَكَرِيهِ يَا بَتُو يَارْقِيَةَ
ود مسمار مرق بالدُّكْري أب ليه
بحكو الناس كِتال يوم الهلالية
أربع طاشر حصان سكن سبعمائة

(1) أبو تمام حبيب بن اوس الطائي ، ديوان الحماسة ، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان ، مكتبة جامعة الخرطوم سنة ١٩٨١ ، ص (٢٩٩)

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر ، تأريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم، ص (١١٨)

(٣) ديوان البحري ، المجلد الأول، ص (٧٤)

(٤) أحمد عبد الرحيم نصر، تأريخ العبدلاب، ص (١٢١)

تحت أخته على الغناء، وتصف خروجه حاملاً سيفه، وقد ذكرت حرب خاضها في الماضي وكيف أن عدداً قليلاً من الخيول تغلب على ضعف عدده .

والفرزدق* أيضاً ذكر بطولات ممدوحه في قوله: (١)

عشية لاقتهم باجال جعفر صوارم في أيدي الضباب دُكورها

كانهم للخيول يوم لقيتهم بطحفة خربان علتها صُفورها

وقول أحمد حسين العمرابي واصفا الممدوح بالأسد في إشارة لشجاعته : (٢)

دابي الكركرة أسد الخلا أب عاجات

مدخور يا المشكر للبلية الجات

والبحتري يشبه ممدوحه بالأسد: (٣)

الهزبر الذي إذا التقت الحرب به صرف الدهر كيف يشاء

إذا مضى مجلباً يُقعقع في الدرب زئيراً أنسى الكلاب العواء

ود حسب الطرقي يصف " أحوال الممدوح مع أعدائه " (٤)

حسع شفتو فوق ظهر الحصان بتلت

ولصفي الدم على دقنو المليحة أتشتت

جبل الموسم الفوقو القبائل حتت

أكان ماهو حضر قوم ناس خميس ما اتسكت

(١) ديوان الفرزدق، شرح د. علي مهدي زيتون، دار الجيل، بيروت، ص (٤٧٩)

* هو همام بن غالب بن صعصعة من شعراء العصر الأموي، الفرزدق تعنى الرغيف الضخم

(٢) محمد حسن الجقر، القصص الحبيبة في اغاني الحقيبة، دار عزة للنشر والتوزيع، ص (٢٩٠)

* أحمد حسين العمرابي ولد بقرية المطمر بين الدامر وشندي في العام ١٩٠٤ وهو جعلي النسب، التحق بخلوة الشيخ الفكي بشير بقرية المطمر، عمل ترزياً، تقبم اسرته بالخرطوم ٢ ،

(٣) ديوان البحتري، المجلد الأول، ص (٧٤)

(٤) حسان أبو عاقلة ابوسن، من عيون الشعر القومي في البطانة، الشركة العالمية للطباعة والنشر، ص (٤١)

المسيب بن علس أيضاً يصور حال ممدوحه مع أعدائه: (١)
 لَأَنْتَ أَشْجَعُ فِي الْأَعَادَى كُلِّهَا
 مِنْ مُخْدِرٍ * لَيْثٍ مَعِيدٍ * وَقَاعٍ *
 يَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ الْكَثِيرِ سِلَاحُهُمْ
 فَيَبِيتُ مِنْهُ الْقَوْمُ فِي وَعَوَاعٍ *
 هناك تشابه كبير بين صورة الممدوح في الشواهد الشعبية والشواهد الفصيحة فهو :
 ١- أسد أو أى مفترس في إقتراسه لأعدائه .
 ٢- قادر على تشتيت الجموع وحده .
 ٣- يخاف منه الأعداء ويهابون بأسه .

نلاحظ إعجاب السودانيين الشديد بالإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فهو فارس مغوار
 وهم يصفون الفارس بأنه كرار :
 وهذا بشير فرح يمدح شقيقه قائلاً (٢) :

أزرق بابنوس تقدح عيونو شرار
 مسمى على المكرم أب علي الكرّار
 وقول بلتنا بت اللحية * : (٣)

الكرّار علي دقّر عليهم زاد
 سيفك في غضاريف الرجال صياد

العنصر الرابع :

مكارم الاخلاق

١- "حسن الجوار"

حسن الجوار من مكارم الأخلاق التي ينبغي أن يتصف بها الإنسان ،
 قالت العبدلابية : (٣)

غنى وشكره يا أختو يا أمونة
 من قومة الجهل الجارة ما بخونا

(١) المفضليات ، ص (٦٣)

*المسيب بن علس بفتح الباء المشددة ولس بفتحتين، اسمه زهير بن علس بن مالك ، خال الأعشى جاهلي لم
 يدرك الإسلام
 *مخدر و: الذي اتخذ الأجمة بيتاً له، *معيد: هو الذي يفعل الشئ ويعيده ، *وقاع: جمع وقعة ، *وعواع : جلبة
 وصياح

(٢) د. الطيب ابو سن ، الشعر الشعبي عند الرباطاب، ص (٥١)

(٣) أحمد عبد الرحيم نصر، تأريخ العبدلاب، ص (٦٨)

*بلتنا بت اللحية من شاعرات العبدلاب المجيدات ورد ذكرها كثيراً في تأريخ العبدلاب والراجح أنها عاشت
 في التركية السابقة ، سجلت بطولات قومها وأمجادهم في شعرها

(٤) المرجع السابق ، ص (١٤٤)

وقد سبق عنتر بن شداد العبسي أن مدح نفسه بحفظه للجوار في قوله (١)

وأغضُ طرفي إنْ بدت لي جارتِي حتى يُواري جَارْتِي مأواها

أبرز الشاعر صورة جيدة من حفظ الجوار في النساء وهن أحق بالحفظ من غيرهن .

٢- حسن الرأي :

وحسن الرأي دليل على تمام الفهم ورجاحة العقل ويظهر ذلك في قول الشاعر الشعبي: (٢)

أهلك سموك الأصم

ما سرحوك بي بهم

تامى الراي والفهم يوم الهول والظم

حيّرت الفصاح والعجم

وقول السفاح بن بكر اليربوعي* يمدح رجلاً برجاجة العقل المتمثلة في الحلم والأناة : (٣)

يَجْمَعُ حِلْماً وَأَنَاةً مَعاً تُمَتِّ يَنْبَاعُ انْبِيَاءُ الشُّجَاعُ

وتمام الرأي دليل على النضج والفهم العميق للحياة يقابلها بالضرورة الحلم والتأني في الحكم على الأمور وقد شبه ممدوحه بالثعبان الذي يلتف حول نفسه في انتظار الفرصة للانقضاض على فريسته.

٣- صفات مختلفة

قول أحمد حسين العمرابي يمدح رجلاً بالأتران: (٤)

مما قام صغير ما بمشي بالفارغات

للجار والعشير هو الدخري في الحوبات

والحوبات تعني المصائب ويمكن أن يكون المقصود بها الحروب

(١) ديوان عنتر بن شداد العبسي، مكتبة خليل خوري، سنة ١٩٦٠، ص (٣٠٨)

(٢) الطيب محمد الطيب، دوبي، ص (١١٦)

(٣) المفضليات، ص (٣٢٢)

* لم نجد له ذكر في مواضع التخريج، ولم يعرف من هو الشجاع: الحية

(٤) محمد حسن الجقر، القصص الحبيبة في اغاني الحقيقة، ص (٢٩٠)

و قول الشعبي يمدح رجلاً بالأتران : (1)
غَنِّي وشْكَرِيه يا شَمْعَة القَنْدِيلُ
من قومة الجهل ماهو التليف وعويرُ

والمسيبَ بن علس يمدح رجلاً واصفا أياه بالوفاء: (2)
أَنْتَ الْوَفِيُّ فَمَا تُدْمُ وَبَعْضُهُمْ تُودِي بِدَمْتِهِ عُقَابُ مَلَاع
وَلِذَاكُمْ زَعَمْتُ تَمِيمُ أَنَّهُ أَهْلُ السَّمَّاحَةِ وَالنَّدَى وَالْبَاع
يقول إن الممدوح لا يهتم لتوافه الأمور نشأ نشأة طيبة كما أنه وفي .

وهناك مدح ارتبط فيه الكرم بالشجاعة :

قول الحارثي* عندما سئل عن عمارة الذي ذهب إلى الخليفة عبد الله التعايشي مسترحماً له عنده ، من هو فأجاب قائلاً: (3)

دا إن اداك وكتر مابقول اديتُ
أب درق الموشح كُلو بالسوميتُ
أب رسوه البكر حجر شراب ستيتُ
كاتال في الخلا وعقبان كريم في البيتُ

أسبغ الشاعر على ممدوحه صفة الكرم فهو يعطي بغير حساب دون من ولا أذى وهو أسد في شجاعته وقوته.

(١) الطيب محمد الطيب،دوباي،ص (١١٧)

(٢) المفضليات، ص (٦٣)

*ملاع :اسم مكان تنسب إليه العقبان *الباع :التوسع في الندى والجود

(٣) عز الدين إسماعيل،الشعر القومي في السودان،دار العودة ،بيروت ،ص (١١٦)

*هو محمد أحمد عوض الكريم ابو سن ،كان أبوه شخصية ظاهرة اثناء الحكم التركي عينه الاتراك شيخ المشايخ ومنحوه لقب بك وولوه منصب مدير الخرطوم وهو أول مدير سوداني عليها ،اختلفت الآراء حول معنى اسمه يرى البعض إن معناه الحار دلو اى انزله عنا .وقيل في معناه أن النساء عندما رأينه انصرفن عن كل الرجال فيما عداه فهن حردن له توفي العام ١٩١٦ أو ١٩١٧ .

ويقابله قول الفرزدق : (١)

يداك يدٌ يُعطي الجزيلَ فعالها وأخرى تُسقي بها دماً من تحاربهُ

وأنتَ أمروء لا نائل اليوم مانع من المال شيئاً في غدٍ أنتَ واهبه

في هذا الشاهد الممدوح لا يمن بما أعطى وهو فارس وشجاع. وهناك تشابه في الصورتين.

٥- الارتباط بين الكرم والرافة :

قول أحمد حسين العمرابي : (٢)

عاجبني الكريم البسند الضعفان

رباي اليتامى ومركز الضيفان

يقول إن الممدوح كريم وهو سند للضعفاء كافل للأيتام ومركز للأضياف.

وقد سبق ليبد في مدح

أبيه قائلاً : (٣)

وَجَدْتُ أبا ربيعاً لليتامى وللأضياف إذ حُبَّ القئيدُ

أيضاً وصف ممدوحه بالكرم ومساندة اليتامى والضعفاء، أيضاً تشابه في الصورتين.

(١) ديوان الفرزدق، ص (٩٠)

(٢) محمد حسن الجقر، القصص الحبيبة في أغاني الحقيقة، ص (٢٩٠)

(٣) ديوان ليبد بن ربيعة العامري، ص (٤٠)

العنصر الخامس :

مدح الصديق :

قال إبراهيم ود أب شوارب* في مدح صديقه إبراهيم أحمد بك أبو سن : (١)

أخرتو امتثال صاحبي المتمم كيفي
إبراهيم ثبات عقلي ودرقتي وسيفي
مطمورة غلاي مونة خريفى وصيفي
سترة حالي في نساي وجناي وضيبي

أسبغ الشاعر على صديقه كل مكارم الأخلاق فهو :

١- اتاه ممتثلاً لأمره وذلك لحبه الكبير له (متمم كيفي)

٢- فهو ذو رأىٍ سديد وكذلك مدافع عن صديقه .

٣- وهو ما يدخره لأيام المحل من غلال .

٤- نلاحظ الترتيب في نساي وجناي وضيبي وهم الأحق أن تصان حقوقهم على الترتيب فالمرأة هى الأم والأخت والزوجة والبنت . والأبناء يحتاجون بالطبع إلى من يقوم برعايتهم والاهتمام بأمرهم في غياب أبيهم ، والضيف يحتاج إلى من يقوم على إكرامه والإحتفاء به وهذا ما يقوم به هذا الصديق ويستحق عليه المدح.

(١) حسان أبو عاقلة أبو سن ، من عيون الشعر القومي في البطانة، ص (٢٠)
*ود الشوارب من قبيلة الشكرية كان ملازماً لإبراهيم بك أبو سن وهو شاعره والراجح أنه عاش في التركية السابقة ولم يصلنا من شعره الكثير فقد ذكره الحارثي في مسدات الصيد بوصفه سابقاً له في قوله:
شن ما قلنا في وصف العيون ساويات*****قبلي ود أب شوارب جاب لهن كلمات
جمع هذا المربع الشعري مقاصد الشريعة الخمس وهى:

١- الدين
٢- النفس
٣- العقل
٤- النسل
٥- المال

وقال أعشى باهلة* في مدح الصديق : (١)

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يُكْدَرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرُ

أَخُو حُرُوبٍ وَمَكْسَابٍ إِذَا عَدِمُوا وَفِي الْمَحَافِلِ مِنْهُ الْجَدُّ وَالْحَذَرُ

أَخُو رَغَائِبٍ يُعْطِيهَا وَيُسَالِهَا يَأْبَى الظَّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفِلُ الزُّفْرُ*

تشتمل هذه الأبيات على معاني عظيمة في مدح الصديق فهو الذي لا يغيره الزمان وهو الذي يشكل العون والحماية لصديقه كما أنه يأبى له الظلامة ويرد عنه الظلم .

العنصر السادس :

مدح المجموعة من الناس أو (القبيلة)

قال ود أب شوارب يمدح الشكرية : (٢)

تعال نوريك خصال الكلهم بعرفهم

الخوف والبخل في السكة ما بصادفهم

المرقوب يشيلو يختو فوق كتفهم

غريب البلدة في فد نهار يالفهم

لم يقرر الشاعر الكلام تقريراً ولكنه استخدم أسلوب فيه إلفة حيث قال: تعال والمناداة هنا لشخص قريب من وجدان الشاعر .

لا يعرفون الخوف والبخل حتى أنهم لا يصادفونه في طريقهم وهما عكس الشجاعة والكرم " المرقوب" هو الشخص الذي قام باغتيال شخص آخر من (رقبة) وهم يتصدون لدفع الدية عنه والغريب لا يشعر بغربه بينهم .

(١) أبو سعيد ،عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي،الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون،الطبعة الثانية،دار المعارف ،مصر سنة ١٩٦٤،ص (٩٠)

*اسمه عامر بن الحارث بن رباح،من بنى عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي مجيد
الرغائب:العطايا ، الزفر :السيد

(٢) حسان أبو عاقلة أبو سن ،من عيون الشعر القومي في البطانة ،ص (٢٠)

هذا وقد مدح رجل من العرب (آل المهلب) فقال: ^(١)

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمَهْلَبِ شَاتِيًّا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنٍ مَحَلٍ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاحْتِفَاؤُهُمْ وَالطَّافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

والشتاء القارس ثقل فيه المؤمن ويشتد الجوع ولكن شاعرنا نزل في هذا الوقت على هؤلاء الناس وكان الوقت جفاف ولكنهم أكرموا وفادته وأحتفوا به أيما احتفاء حتى أنه لم يشعر بأنه غريب وهذا شئ يدل على كرمهم وحسن ضيافتهم .

شعر المناسبة :

والأمور لاتجري دائما بما يحب الشاعر ويرضى وقد يجد معارضين له ناقدين لشعره كما حدث في هذه القصة .

مدح أحدهم محمود ود زائد ناظر قبيلة الضباينة واصفا أياه بالعجل في قوله: (٢)

محمود عجل الهوسك الأماطو بسرير
بخمش الكيك على الصف المدافعوا بهرجن

ولكن هذا الوصف لم يعجب شاعره فرد قائلا :

محمود مو عجل والعجل بقر والبقر خراي
محمود مو أسد والأسد قط و القط يسوي رعاي
محمود صاقعة التلوي التقع بلا دوداي

نفي عن ممدوحه الصفات التي يمكن أن يتصف بها الكثير من الناس عند تشبيههم بالوحوش وأضفى عليه صفة جديدة وهى الصاقعة.

(١) أبو تمام ، ديوان الحماسة ، ص (١٧٦)

(٢) د.سعد عبد القادر، مع الدوبيت، دراسة أكاديمية فنية ومساير مختارة، دار عزة للنشر والتوزيع ، ص (١٣١)

*عجل الهوسك: بقر الوحش *الكيك: كلمة تطلق على الفرس والفارس

وقد سبق أن تعرض أبو تمام لهذا الموقف الناقد عندما مدح الخليفة أحمد بن المعتصم قائلاً^(١):

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء إياس

وعمر و هذا أحد فرسان العرب الأشداء وحاتم هو من يضرب به المثل في الكرم والأحنف بن قيس اشتهر بالحلم وعرف عن إياس الذكاء.

ولكن هذا لم يعجب ناقيديه فقالوا : لم تزد على ان شبهت الخليفة بمن هم دونه . فأطرق أبو تمام رأسه قليلاً ثم رفعه قائلاً:

لا تُثْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مثلاً شروداً في الندى والبأس

فإنَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ مثلاً من المشكاة والنبراس

في إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ)

(٢) صدق الله العظيم

(١) ديوان أبي تمام ، حبيب بن أوس ، الناشر دار المعارف، القاهرة، سنة ، ١٩٦٤ ، ص (٢١٥)
(٢) الآية (٣٤) سورة النور

نعود إلى قصة محمود ود زائد مع شاعره و نقول إن وصف الممدوح بالحيوانات -بخلاف المفترسات - ليس بالشئ الغريب أو غير المألوف عند العرب ولعل قصة (علي بن الجهم) مع ممدوحه الخليفة الأموي معروفة وذلك عندما مدحه قائلاً : (١)

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمنك دلواً من كيار الدلاء كثير الذنوب

والأمر لم يعجب من كان في المجلس ولكن الخليفة قبله منه لأنه ابن بيئته وذهبوا به إلى الرصافةإلى نهاية القصة التي قال بعدها :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن لى الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد ذهب شاعر محمود بعيداً في وصفه بالصاعقة في إشارة إلى قوته وشدة بطشه وإهلاكه لخصومه . هذا أمر كثير في الشعر الشعبي ،مدح احدهم شخص يدعى (الحسن) واصفاً أياه بالصاعقة في قوله: (٢)

الحسن صاعقة النجم

هو البحيمي الشهادة والنضم

هو الليلة من الموت ما بهم

وهذا من باب (المبالغة الكبيرة) والغلو حيث أن الشاعر قد خرج عن المألوف والطبيعي فالصاعقة تتلف كل ما تصيب وليس من المستحسن المدح بصفة شيء مدمر.

(١) ديوان علي بن الجهم ،تحقيق خليل مردم بك ،دار صادر، بيروت، ص(٧٨)

(٢) من الأدب الشفاهي

المبحث الثالث

الفخر

يعد الفخر من أبرز موضوعات الشعر العربي وربما يرجع ذلك إلى طبيعية الحياة البدوية في البيئة العربية والتي تستلزم شجاعة فائقة .

والفارس هو الشجاع هو الذي يحمي القبيلة، يحمي مالها ويصون حريمها ويرد عنها العدوان لذلك لم يكن غريباً أن يكون التغني بالشجاعة و الكرم وبقية الأخلاق الفاضلة هو أبرز نغم في قيثارة الشعر العربي .

والعربي يفخر بنفسه وهو مدفوع بالحماسة وبإعجابه بنفسه وآبائه وقبيلته وكذلك فخر العرب قديماً بشبه جزيرتهم العربية.

والشاعر يرى أنه يستحق أن يسجل إعجابه بنفسه وآبائه وقبيلته ووطنه في الصورة التي يعرفها ويجيد التعبير عنها فالعرب لم يعرفوا فناً معرفة جيدة كما عرفوا فن الرسم بالكلمات فلم يعرفوا النحت ولا الرسم ولكنهم أجادوا الشعر كما لم يجيدوا شيئاً آخر والشعر ديوان العرب وهو وسيلتهم في التعبير عن أنفسهم .

وإذا ذكر الفخر بالأهل في الشعر الشعبي فإنه يجب أن نذكر محمد علي أبو قطاطي وهو يقول:

الفينا مشهودة عارفانا المكارم نحنا بنقودا والحارة بنخوضا

الزول بفتخر يباهي بالعندو نحنا أسياد شهامة والكرم جندو

مافي وسطنا واحدا ما انكرب زندو والبعز يقع بيناتنا بنسندو

للجار والصديق عشرتنا تتمنى بنصون الأمانة السيدا أمانا

وينقسم الفخر إلى فخر شخصي وفخر قبلي وفخر بالأوطان وفي هذا المبحث سنتناول الفخر بطريقة مختلفة قليلاً عن الطريقة التي تناولنا بها الأغراض السابقة ونضيف إلى ذلك العلاقة الوثيقة بين المرأة والفخر.

(١) ديوان محمد علي أبو قطاطي، الفينا مشهودة، سلسلة أروقة، الخرطوم عاصمة للثقافة العربية، ٢٠٠٥ ص (٦)

أولاً : الفخر الشخصي :

ويفتخر فيه الشاعر بنفسه وبآبائه وهو شائع وكثير ولعل من أشهر الشعراء العرب الذين فخرُوا بأنفسهم عنتره بن شداد العبسي وطرفة بن العبد البكري . ومعلقة عنتره مليئة بالفخر الشخصي . ومن الشعراء الشعبيين الذين أكثرُوا من هذا النوع من الشعر (ود الفراهي) .

يقول ود الفراهي في فخره بنفسه : (١)

أنا النَّصِيبَةُ

أنا الأسد العَرَزُ جِوَا الزَّرِيْبَةِ

أنا الكَوْرُ الرِّصْدُ شَايِفُ ضَرِيْبَةِ

أنا المامون على الجَاهِلَةِ وغَرِيْبَةِ

وصف نفسه بأنه مصيبة على أعدائه كما أنه وصف نفسه بأنه أسد أو تمساح، على أننا يجب أن نذكر أن العقل الجمعي الشعبي قد اتفق على أن (الأسد) أو اللدر صفة مستحسنة للرجل، وهذا (باب بلاغي قديم) . والشاعر يصف نفسه بأنه مأمون على الفتاة الوحيدة والغريبة بالرغم من أنها صيد سهل يمكنه أن ينال منها دون حسيب ولكنه جعل من نفسه رقيباً على نفسه .

ويواصل قوله:

أنا قَلَالُ رَفِيقُوْ

أنا فَرْجُ الْعِيَالِ وَكَتِيْنُ يَضِيْقُوْ

أنا الدَّابِّي الرِّصْدُ لِلزُّوْلِ بَعِيْقُوْ

أنا المأمون على بَنُوْتِ فَرِيْقُوْ

وقد وصف طرفة بن العبد نفسه بالشعبان في قوله :

أنا الرَّجْلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاشُ كَرَّاسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ

(١) ديوان ود الفراهي ، تحقيق محمد علي الفراهي، الدار السودانية للكتب، ص (٩٩)

(٢) ابن الأنباري ، المعلقات السبع الطوال ، معلقة طرفة بن العبد ، ص (٢١٢)

وفي استعمال وصف رأس الثعبان دلالة على الظهور والحيوية واليقظة وذكاء الذهن والتوقد.

ود الفراش يستند عليه اصدقاؤه ،فهو مبذول لهم في حالة الضعف وهو الثعبان الذي إن قصد شخصاً فإنه يعيقه .

وأشار إلى نبل أخلاقه ،في حفظه للجوار ، وعدم خيانتة له ،ومحل فخره ،هو القيم الفاضلة ككل وليس الفروسية فقط .

وعنترة يفخر بنفسه وفروسيته :

وَإِذَا الْكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَرَا جَعْتُ أَلْفَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُعَمَّ مَخُولٍ
إِنْ تُغْدِفِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي طَبُّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلِيمِ
وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَنَّدَلًا تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشَدُقِ الْأَعْلَمِ
هَلَا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمْ
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنِّي أَغْشَى الْوَعَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
أَنْتِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي سَمَحَ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمِ

عنترة أهل لثناء عبله بما علمت من المحامد والمناقب المنسوبة إليه فهو سهل المعاشرة ،
سمح لم يبخس نفسه حقها ، وهو شجاع وقوي .

أشرنا إلى أن معلقة عنترة مليئة بالفخر الشخصي ربما لأنه كان يشعر بالضعفة من جانب
نسبه لآمه لذلك فهو يغطي هذا الجانب من شخصيته .

(ود الفراش) أيضاً يكثر من فخره بنفسه ، وإذا عدنا إلى سيرته الذاتية فهو كان يعمل مع
المستعمر الأجنبي كما أنه من أصول مصرية ، إذ ربما عانى الأثنان من غربة داخلية كان
لها الأثر البالغ في توجيه مسار حياتهما فعنترة عاش منبوذاً في طفولته الباكرة وشبابه الأول
ولم يستمتع بكونه أحد أفراد الصفوة في المجتمع الجاهلي بالرغم من أن أباه كان من سادات
هذا المجتمع .

(١) ابن الأنباري، المعلقات السبع الطوال، معلقة عنترة بن شداد، ص (٣٣٥)

إذاً كان الاثنان يحاولان اثبات أنهما يتمسكان بقيم مجتمع- كلاهما فيه منبوذ- أكثر من أفرادهِ .

ثانياً :

الفخر القبلي أنموذج (فخر قوى صاخب)

يقول إبراهيم أحمد نواي وهو من قبيلة الجعليين : (١)

نحننا بلانا مين الكان تشاورو الدولة

نحننا بلانا مين الخايلة فوقو الصولة

نحننا الصاقعة كل الناس تقول لا حولة

نهدي الصافنات* للضيف ركوبا يسوقا

وقت الشوف يشوف والحارة يعمر سوقا

زي كور المعيز* قدامنا نحننا نسوقا

نحننا الما بنجيب زادنا في قرعاتنا

وللضيفان بنملا الباطية من زرععاتنا

وفي يوم الحرب يعجب لبس درعاتنا

أو قول أحد شعراء الجعليين :

نحننا أولاد جعل نقعد نقوم على كيفنا

في لقا في عدم دائما مخدر صيفنا

نحننا (أب خرس) بنملاهو وبنكرم ضيفنا

ونحننا الفوق رقاب الناس مجرب سيفنا

(١) عبد القادر عوض الكريم ، دراسات في الأدب الشعبي ، دار الوثائق القومية ، ص (٩)
*الصافنات :الجياد الاصيل،*كور المعيز:الإبل *اب خرس:اناء كبير يوضع فيه الطعام (قدح)له حاقتان في طرفيه يحمل بهما.

*إبراهيم أحمد نواي شاعر جعلي من سلالة الملك عبد الدائم بن المك كبوش

وصف الشاعر قبيلته بأنهم سادة يستشهد برأيهم كما أنهم أقوياء شبيههم بالصاعقة في قوتهم وهذا من باب الغلو والمبالغة وهم كرماء وبلغ من كرمهم أنهم يهدون الجياد الأصيلة للضيوف وهم فوق ذلك أقوياء وأشداء يسوقون أعداءهم أمامهم كما تساق البهائم .

والصفات المتواترة في الفخر هي، السيادة، والشرف ، الكرم ، الشجاعة، والشدة وإذا انتقلنا إلى عمرو بن كلثوم التغلبي نجده قد أنشأ معلقته لغرض الفخر وإن كانت قد أحتوت على أغراض قليلة أخرى وفيها يقول :

ونحنُ عِدَاةٌ أَوْ قَدَ فِي خَزَازِي	رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا
ونحنُ الحَاكِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا	ونحنُ العَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
ونحنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخَطْنَا	ونحنُ الآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا
وَقَدْ عَلِمَ الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدَّ	إِذَا قُبِّ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا
بِأَنَّا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا	وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتَلَيْنَا
وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا	وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
نَعْمُ أَنَا سَنَا وَنَعِفُ عَنْهُمْ	وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
نُطَاعِنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا	وَنُضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا عُشِينَا

أكثر عمرو بن كلثوم من التمدح بمفاخر قومه في شدة وقوة واستخدامه لكلمة (نحن) بكثرة دليل على أنه يتحدث عن القبيلة ككل وليس عن فرد واحد وهو في ذلك تحركه العصبية، وكانت وسيلته في التأكيد على القبيلة استخدام المتكرر للضمير نا .

والفخر القبلي شائع جدا في الشعر الجاهلي فالحارث بن حلزة البكري أيضاً افتخر بقبيلته إلا إنه فخر هادئ ورزين وكذلك فعل لبيد في تمدحه بنفسه وأمجاد قبيلته .

(١) ابن الأنباري، شرح المعلقات السبع اطوال، معلقة عمرو بن كلثوم، ص (٤١٠)

أنموذج لفخر (هادئ ورزين)

يقول محمد زين علي الكرار :

نحن أولاد رباط ربطتنا ما بتتفكا
نستحبس نقيف وقت الحديث يتلكا
كان تمطر قنابل والأرض تندكا
ثابتين كالجبال ما كربنا الجكا

أمّن الشاعر على وحدة قبيلته (ربطتنا ما بتتفكة) كما أكد على حلمهم وصبرهم وتأنيهم عندما يختلط الأمر ويصعب الفهم كما أنه يؤكد شجاعتهم وبسالته في الحروب ،أنهم لا يفرون مهما حدث (كربنا الجكة) .

فخر هادئ ورزين أبرز فيه وجوه جيدة في الوحدة والتأني والشجاعة .

يقابله فخر الحارث بن حلزة البكري في قوله :

عِندَ عمرو هل لِدَاكِ انْتِهَاءُ	أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُبْلَغُ عَنَا
مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَاتُ	ثَلَاثُ فِي كُلِّهِنَّ الْقَضَاءُ
أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ وَرَدُّ هُمُوسُ*	وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَرَتْ غِبْرَاءُ
وَفَكْنَا غُلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ	بَعْدَمَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ
مَا جَزَعَنَا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ إِذْ	وَلَّوْا شِلَالاً وَإِذَا تَلَطَّى الصَّلَاءُ

هناك فرقٌ كبيرٌ بين فخر الحارث الهادي الحكيم والذي هو أسلوب المكر والدهاء وبين فخر عمرو بن كلثوم المليئ بعزة النفس الشامخة وربما كان السبب أن عمراً لم يكن شاعر القبيلة فقط إنما كان سيدها وفارسها بينما الحارث كان شاعر القبيلة فقط لذا أورد الصفات المتداولة في شعر الفخر من كرم وشجاعة وثبات وبقية الصفات النبيلة .

(١) عبد الله علي إبراهيم وأحمد عبد الرحيم نصر، أدب الرباطاب الشعبي، شعبة أبحاث السودان ،كلية الآداب ،جامعة الخرطوم، ص (١٣٦)

(٢) ابن الأنباري،،المعلقات السبع الطوال،معلقة الحارث بن حلزة ، ص (٤٩١)
*شمرت غبراء:تغير لونها من شدة الجفاف

ثالثاً: الفخر الوطني .

نحن أمام نوع قليل الذبوع في الشعر العربي وهو الفخر الوطني وربما كان السبب في قلة شيوعه أن العرب لم يكونوا يعرفون معناً للوطن بمعناه المعروف لدينا الآن .

وهذا إسماعيل حسن خرج عن حدوده القبلية الضيقة ليشمل الوطن ككل - مع العلم أنه ينتمي إلى قبيلة (الشايقية) - وهو يقول : (١)

بلادي أنا بلاد ناسا في أول شيء مواريتهم كتاب الله

وخيل مشدود وسيف مسنون حداه درع

تقاقبيهم تسرج الليل مع الحيران وشيخا في الخلاوي ورع

.....
بلادي أنا بتشيل الناس كل الناس

وساع بخيرو لينا يسع

وتتدفق مياه النيل على الخيران

بياض الفضة في وهج الهجير بيثع

بلادي الجنة للشافوها أو للبرة بيها سمع

بلادي أنا بلاد ناسا تكرم الضيف

حتى الطير يجيها جيعان من أطراف تقيها شبع

.....
بلادي أمان وناسها حنان يكفكفو دمة المفجوع

يبدو الغير على ذاتهم يقسموا اللقمة بيناتهم

(1) عبد الحميد محمد أحمد ، إسماعيل حسن القيثارة الخالدة ، دار عزة للنشر والتوزيع ، ص (٢١٤)
*إسماعيل حسن من شايقية الناصراب ولد بأمر درق بالبرصة ودرس في مصر وتخرج في الأزهر الشريف له مدرسة متميزة في الشعر وله دواوين شعر مطبوعة ، ريحة التراب ، حد الزين ، ودواوين أخرى توفي العام ١٩٨٢

ويدو الزاد حتى إن كان مصيرهم جوع

يحبوا الدار يموتو عشان حقوق الجار
يخوضوا النار في حال بسمت
وكيف الحالة كان شافوها سايلة دموع
ديل أهلي البقيف في الداره وسط الداره
واتنبر واقول للدنيا ديل أهلي
عرب ممزوجة بدم الزنوج الحارة ديل أهلي
ديل قبيلتي لما أدور افصل للبذور فصلي

محل قبلت القاهم معاي معاي زي ضلي
لوما جيت من زي ديل
كان أسفائي وا ماساتي وا ذلي
تخيل كيف يكون الحال
لو ما كنت سوداني وأهل الحارة ما أهلي

أثنى الشاعر على أهله قائلا إن أهم ما يملكون كتاب الله والسلاح الحاد والخيول وهي أدوات الفرسان (والتقابة) تعني نار القرآن وهي إن دلت إنما تدل على التقوى والصلاح ومدحهم بأنهم (حنان) وهي صفة محمودة وهم لا يرضون بالظلم وهي بلاد واسعة تتسع للجميع دليل على التسامح والتعايش وهي بلاد تجد فيها الطيور متسعا لمعيشتها .
وتمثل الشاعر الهدى الإسلامي من الكتاب والسنة فهم يعطون الزاد لغيرهم حتى لو أدى ذلك إلى جوعهم وهو هدى الله في قوله تعالى (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (١).
كما أنه اتبع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الوصاية بالجار .

(١) سورة الحشر الآية (٩)

وهو فوق ذلك يتمدح بكونهم هجين ويفخر بذلك، ويعبر شاعرنا عن شديد أسفه بل وذله لو لم يكن ينتمي لهؤلاء الناس .
سبق عنتره في ذكر أنه هجين في قوله: (١)

أنا الهجين عنتره كل امرئ يحمي حره

أسوده وأحمره والشعرات المشعره

الواردات مشفره .

وكان عنتره قد ارتجز هذه الأبيات عندما أغار بعض العرب على عبس واستنجد به شداد ولكنه رفض وأجابه بأنه عبد لا يصلح إلا للحلب والصر فأعتقه شداد وألحقه بنسبه .
وشاعرنا الشعبي لا يعد كونه هجيناً منقصة وإنما مدعاة لاكتساب صفات جديدة لا توجد في أفراد النوع الذي لم يحدث فيه اختلاط .

ذكرنا أنه لم يكن للوطن مفهوم محدد في أذهان العرب قديماً والوطن بتقسيمه المعروف إنما هو حدود رسمها المستعمر وقسم بها البلاد العربية وكانت القبيلة هي الوطن، وربما اتسع مفهوم الوطن ليشمل أهل اليمن مثلاً أو أهل الحجاز أو أهل العراق أو أهل نجد وإذا قارنا هذا المفهوم بما هو معروف الآن نجد أن الصورة تكاد تكون متقاربة .

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء الثامن، أخبار عنتره بن شداد ونسبه، ص (٢٣٧)

وهذا شاعر عربي قديم ذكره المفضل الضبي من المفضليات القصيدة رقم (٤١) الشاعر الأخنس بن شهاب* التغلبي والتي جاء فيها: (١)

لِكُلِّ أَناسٍ مِنْ مَعَدَّ عِمَارَةٍ عَرَوْضٌ إِلَيْهَا يَلْجُؤُونَ وَجَانِبُ
لُكَيْزٍ لَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ كُلُّهُ وَإِنْ يَأْتِهَا بِأَسُ مِنْ الْهِنْدِ كَارِبُ
وَبَكَرٌ لَهَا ظَهْرُ الْعِرَاقِ وَإِنْ تَشَأْ يَحِلُّ دُونَهَا مِنَ الْيَمَامَةِ حَاجِبُ
وَصَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قَفٍّ وَرَمَلَةٍ لَهَا مِنْ حِبَالٍ مُنْتَأَى وَمَذَاهِبُ
وَكُلُّبٌ لَهَا خَبَتْ فَرَمَلَةٌ عَالِجٌ إِلَى الْحُرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ
وَعَسَانُ حَى عِزُّهُمْ فِي سِوَاهُمْ يُجَالِدُ عَنْهُمْ مِقْتَبٌ وَكَتَائِبُ
وَبَهْرَاءُ حَى قَدْ عَلِمْنَا مَكَانَهُمْ لَهُمْ شَرَكٌ حَوْلَ الرِّصَافَةِ لَاحِبُ
وَوَارَتْ إِيَادُ فِي السَّوَادِ وَدُونَهَا بَرَازِيقُ عُجْمٌ تَبْتَغِي مِنْ تُضَارِبُ
وَلُخْمٌ مُلُوكُ النَّاسِ يُجْبِي إِلَيْهِمْ إِذَا قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ فَهُوَ وَاجِبُ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَاحِجَارٌ بِأَرْضِنَا مَعَ الْغَيْثِ مَا تَلْقَى مِنْ غَالِبُ

سجل الشاعر في قصيدته مساكن كثير من العرب ومواطنهم في شبه جزيرة العرب وهذا إن دل فهو يدل على وجود إحساس مبكر بالوطن في الجاهلية فقد ذكر العراق والحجاز والبحرين واليمامة مفاخرها بها .

وإذا تأملنا هذه المواضع نجد أنها قد شملت شبه الجزيرة العربية من جنوبها في اليمن إلى شمالها في العراق وغربها في الحجاز وشرقها في البحرين .

(١) المفضليات ،ص (٢٠٥)

* الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة ، شاعر جاهلي قديم المعاني

*العمارة : الحي العظيم

*العروض : الناحية

*لكيز : رجل من نزار

*البحران : جاءت بالرفع وهي البحرين

*قف : ماخشن من الأرض

*بكر تميم غسان : قبائل عربية قديمة

* سواهم : الخيل التي اسودت من التعب

*برازيق : مواكب وكتائب

* عالج : رمل بالبادية

* الرجلاء : الغليظة

* منتأى :بعد

رابعاً : الفخر والمرأة

تحتل المرأة مكانة كبيرة عند الرجل ووجودها كفيلاً باستدعاء النخوة والقوة اللازمتين للرجل . وهى مثار افتخار الرجل سواء أكانت زوجة أم أخت أم أم أم حبيبة . فهو يجتهد في الثبات والصمود في وجودها حتى لا تهتز مكانته عندها:
إبراهيم العبادي : (١)

أخوك يا ريا أخوك

وكت الخيول يدبكن

أخوك يا ريا أخوك

وكت الرماح يتشبكن

أخوك جبل الثبات

وقت القواسي يحبكن

كم بكيت

وكم قشيت دموع الببكن

ريا هذه لم تكن اخته في الحقيقة ولكنه استخدم كلمة أخوك تأدياً فالمرأة هي أخت الرجل .
يبين مدى فروسيته وإقدامه وقوته عند القتال فو ثابت كالجبال ، ولم يغفل الجانب الإنساني في شخصيته بقوله : (كم قشيت دموع الببكن) وهن بالتأكيد النساء اللاتي فقدن أعزاء هن في القتال معهم ولكنه لم يتشف فيهن بل رق قلبه لهن وأشفق عليهن.
ولعل من أبرز الشعراء الذين شكل وجود المرأة في حياتهم دافعاً قوياً لانتصاراتهم عنثرة بن شداد الذي اقتربت قصة حبه لابنة عمه عبلة من قصص الحب العذري في قوتها من جهة وفي بعد الشقة بينهما من جهة أخرى وقد ذكر عبلة في غمار المعركة المحترمة في قوله :
(٢)

وبيضُ الهندِ تقطُرُ من دمي

لمعتُ كبارقِ ثغركِ المُتَبسمِ

ولقد ذكرْتُكِ والرماحُ نواهلُ مني

فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها

يقول إنه ذكر عبلة في اشتباكه مع العدو وهي قد ملكت عليه ليه لدرجة أنه يذكرها في اصعب المواقف وذكرها بشكل دافعاً قوياً للصمود والانتصار ومن ثم الفخر بالنصر.

(١) إبراهيم العبادي مسرحية الملك نمر، ص (٢١)

(٢) أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، القسم الثاني، تحقيق وضبط محمد علي البجاوي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة ١٩٦٧، ص (٢٧٠)

هذان البيتان ليسا في ابن الأنباري والتبريزي والزوزني.

وقد وقف عمرو بن معد يكرب هذا الموقف من قبل في وجود النساء وهو يقول في ذلك .. (٢)

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ* بِالْمَعْزَاءِ شَدًّا
وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا قَمَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
وَبَدَتْ مُحَاسِنُهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جَدًّا
نَازَلْتُ كَبِشُهُمْ وَلَمْ أَر مِنْ نِزَالِ الْكَبِشِ بُدًّا
هُمْ يَنْدُرُونَ دَمِي وَأَنْدُرُ إِنْ لُقِيتُ بِأَنْ أَشَدًّا

المحرك الأساس لهذا الفارس هو وجود النساء، وجود لميس تحديدا والتي ربما كانت محبوبة الشاعر كان هذا الدافع الذي دفعه لمنازلة فارسهم الذي كنى عن بالكبش نازل الفارس حتي يفوز برضاء لميس وصويحباتها .

هذا وقد كان العرب يهتمون اهتماماً كبيراً بالفخر وأساليبه ويدققون في الشعر الذي يقال في هذا المضممار ويروى أن حسانا بن ثابت وفد في الجاهلية على النابغة الذبياني في خيمته بسوق عكاظ وأنشده: (١)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضَّحَى وَاسِيَا فَنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا
وَلَدَنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمُ بَنَى خَالًا وَآكْرَمُ بَنَى ابْنَمَا

فقال النابغة في نقده ضعفت افتخارك وأذرته في ثمانية مواضع قال كيف ؟

قال قلت لنا (الجففات) والجففات ما دون العشرة فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر وقلت (الغر) والغرة بياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعاً وقلت يلمعن ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الإشراف أدوم من اللمعان وقلت بالضحى ولو قلت بالعشية لكان أبلغ في المديح لأن الضيوف أكثر طروقاً بالليل وقلت أسيا فنا والأسيا ف دون العشرة ولو قلت سيوفنا لكان أكثر وقلت يقطران فدل ذلك على قلة القتال ولو قلت يجريان لكان أكثر لانصباب الدم وقلت (دماً) والدماء أكثر من الدم وهذا يدل على الفروق الدقيقة التي تؤدي إلى تغيير المعنى .

(٢) الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها دار المعرفة بيروت ،لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ٢٠١٠، صفحة (٢٥٠)

الأبيات موجودة في ديوان حسان بن ثابت الانصاري، تحقيق سيد حنفي، القاهرة ،الهيئة المصرية العالمية للكتاب، ١٩٧٤ ص (٢٢٠)

(٢) أبوتمام ،ديوان الحماسة، ص (٥٩)

*المعزاء:هي الأرض الصلبة

المبحث الرابع

الرثاء "المناحة"

ينبعث الرثاء من عاطفة إنسانية نبيلة هي عاطفة الحزن على فقد الأعزاء من الأهل والأصدقاء وهو مدح الميت بما كان يتصف به من صفات نبيلة كالكرم والشجاعة والشرف والسيادة وهو بكاء الميت وندبه وإظهار التفجع لوفاته ونظم الشعر فيه وهو من أبرز موضوعات الشعر العربي وهو أصدقها وأكثرها تعبيراً عن المشاعر الإنسانية لارتباطه بالموت والحزن على من رحلوا وفارقوا الحياة .

يرتبط المدلول اللغوي للرثاء بالموت والبكاء وهو في الأصل مصدر للفعل رثى يقول ابن منظور (رثيت الميت رثاءً ومرثاءً ورثياً ومرثيه إذا بكاه بعد موته ومدحه)^(١) ويقول أيضاً: ويدل الفعل رثى في أصله على التوجع والإشفاق ويعني بكاء الميت وتعداد محاسنه .

أما المناحة فهي من النوح والنساء يجتمعان للنواح والجمع مناحات ومنواح كما يقول البستاني: (ناحت المرأة على الميت تنوح نوحاً ونياحة ومناحة أي بكت عليه بجذع وعويل وصراخ والمرأة نائحة والحمامة إذا سجعت فهي نائحة ونواحة)^(٢)

وقد ذكر عون الشريف قاسم في قاموسه:

(ناح نياحة على الميت بكى عليه بصياح وعويل وجذع والاسم نياحة والمرأة نائحة والمناحة التي تنوح)^(٣)

والرجل يرثي ولا ينوح ومن هنا كانت المناحة خاصة بالنساء فقط وهي تشترك مع الرجل في الرثاء ولكنه لا يشترك معها في المناحة .

والمناحة قد تصاحبها طقوس معينة مثل (الدنقر) وهو آلة موسيقية شعبية مصنوعة من بعض المواد المحلية البسيطة ونحن نقول في الدعاء بالخير "إن شاء الله يوم شكرك ما يجي "أي يوم موتك"

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر،بيروت، ١٩٥٦ ، باب الراء ص (١٤٩)

(2) المعلم بطرس البستاني ، الوافي ، الناشر مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح،بيروت، ١٨٦٠،ص، (٢١٤١)

(٣) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، المكتب المصري الحديث،القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، ص (٧٩٥)

الرثاء (المناحة)

هناك عناصر أساسية في شعر المناحة أو الرثاء
تكررت هذه العناصر حتى أصبحت سمة من سمات قصيدة الرثاء .

العنصر الأول :

البكاء والاستبكاء على الميت :

قالت العبدلابية في مناحة الشيخ عجيب ود الشيخ الأمين: ^(١)

تبكي أم الأسد قالت كبسني الهم

في مرّ الجواب جرعة عقود السم

انكسر المرق والحوش على ضلم

من قلبك عجيب العرض ما بندم

تريد القول إن الهم أصبح مقيماً عندها لفقدائها العزيز فقد كان شديد البأس إذ وصفته بالسم
وقد كان عمود البيت ونوره الذي انطفأ

١- وقد بكت بنات عبدالمطلب أباهن :

برة بنت عبد المطلب : ^(٢)

أعينيّ جوداً بدمعٍ دُرّر على طيّب الخيم والمُعْتَصِر

٢- عاتكة بنت عبد المطلب ^(٣)

أعينيّ جوداً ولا تبخلا بدمعكما بعد نَوْمِ النيام

(1) أحمد عبد الرحيم نصر ، تأريخ العبدلاب ، ص (١٦٣)
(2) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي الجزء الأول ، ص (١٧٠)
(3) المرجع السابق ، نفس الصفحة

٣- أميمة بنت عبدالمطلب :^(١)

لا أهلك الراعي العشيرة ذو الفقد وساقي الحجيج والمحامي عن المجد

ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد

وقالت شاعرة رباطابية في أحد أعمدة مجتمع الرباطاب :^(٢)

بيكنك البنات حادّات

ولي قوز الرماد مادّات

وتشير هذه الشاعرة إلى عادة جاهلية قديمة وهى الحداد ووضع الرماد على الرؤوس وقد كانت عادة سائدة في الماضي إلا أنها في طريقها للزوال، وقد نهى عنها الإسلام .

٥- ويقول لبيد بن ربيعة في رثاء ابن عمه براء بن مالك مُلاعب الأسنة :^(٣)

قوماً تجوبان مع الأنواح في مأتم مُهَجَّر الرّواح
يخْمُشْنَ حرّاً أوجه صحاح في السُّلْبِ السود وفي الأمساح
وَأَبْنَا مُلَاعِبَ الرَّماح

هنا يستحث الشاعر – ربما – ابنتيه على البكاء على الفقيد ويشير إلى العادات التي نهى عنها الإسلام من خمش الوجوه والانتشاح بالسواد (الحداد)

٦- وقال طه ود الشلهمة* يرثي يوسف ود النعمان :^(٤)

بيكنك بنات من الفصل يترن

يا سيد الغناقيب والقماقم الحرن

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ص (١٧٠)

(٢) عبد الحميد محمد أحمد، خنساوات السودان، ص (٨٩)

(٣) ديوان لبيد، ص (٥٣)

(٤) الطيب مجمد الطيب ، تراث البطاحين الشعبي، شعبة أبحاث السودان ،كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، ص (١٨٥)

*طه ود الشلهمة هو طه أحمد على الشلهمة من قبيلة البطاحين ولد بمنطقة ابى دليق سنة ١٩٠٨، من فحول شعراء البطانة

يقول إن اللاتي يبيكنه بنات من بيوت عز وكرم شأنهن في ذلك شأنه فهو من بيت كريم .
٧- وقالت الجعلية ترثي أخاها : (١)

يبكنك بنات حاسرات غزيرات ديس

أحي على المن قلبو باعد إبليس

يبكنك بنات الباقوة لا شندي

يا سيفي السنين الداخراك لي عمري

تصف الفقيد بالتقوى، ليس لأبليس عليه سبيل والكلمة (أحي) تدل على التوجع والفقد العظيم دلالة على الألم الشديد .

٨- وقال لبيد يرثي أخاه أربد بن قيس وهو أخوه لأمه : (٢)

يا عينُ هلاً بكيتِ أربدَ إذْ قُمْنَا وقَامَ الخصومُ في كَبَدٍ

وعينُ هلاً بكيتِ أربدَ إذْ أَلَوْتَ رِيحَ الشتاءِ بالعَقْدِ

حُلُوْ كَرِيمٍ وفي حلاوته مُرٌ لطيفُ الاحشاءِ والكَبَدِ

يستحث عينه على البكاء على الفقيد الفارس الكريم .

٩- وقالت الشاعرة ترثي أخاها : (٣)

جن بنات خالاتك من كبار وصغار

حزنات عليك مليانات غبار

طول الليل ينوحن لمن جا النهار

تصف بكاء النسوة من الأقارب وقد امتلأن بالغبار في إشارة إلى العادة الجاهلية .

(١) من المناحات الشعبية ، مناحة (لؤاي سلسلن قهرا بلا تحنيس)، أدب شفاهي

(٢) ديوان لبيد ، ص (٥٣)

(٣) من المناحات الشعبية ، مناحة (الوليد الضيف) ، أدب شفاهي

وشبيه بذلك قول الشاعر : (١)

تظل بنات العم والخال حوله صوادي لا يروين بالبارد العذب
يهلن عليه بالأكف من الثرى وما من قلى يحثى عليه الترب

وهذا شاعر جاهلي تبنى كل عادات الجاهلية فهو قد ذكر التراب الموضوع على رؤوس
النائحات .

العنصر الثاني :

المرثي سليل الكرام والملوك

ولعل أكثر من نظم شعرا في رثاء أحد هم الرباطاب في رثاء ملكهم موسى أبوحجل ، وهذا
الأخير كان ملوك سنار قد أنعموا عليه بأن أعطوه سلطة محلية في نطاق منطقته .

وتقول إحداهن في رثائه : (٢)

دا ود عز رباط ملوك الككر

ود عيالا قبيل بدرجو الفتر

جدو موسى بيكتب فوق الحجر

جدو الشهيد يسوم الروح يدخل الوكر

جدو أب حجل ما بسموه الحقر

أسبغت الشاعرة على الفقيد كل الصفات الحميدة والكريمة فأجداده ملوك وفرسان وعلماء
ولا يهابون أحداً ، ولا يستطيع أحد أن يستصغر شأنهم ، والسلاح الرطن تعني أصوات السلاح
والتي ليست من الكلام المفهوم وكل ما ليس مفهوم فهو رطانة .

(١) أبو تمام ، ديوان الحماسة ، ص (٤٥٧)

(٢) علي إبراهيم وأحمد عبد الرحيم نصر ، أدب الرباطاب الشعبي ، صفجة (٧٦)

وإذا عدنا إلى لبيد فهو يقول : (١)

يا مَيَّ قُومِي فِي الْمَاتَمِ وَانْدُبِي فَتَى كَانَ مِمَّنْ يَبْنِي الْمَجْدَ أَرْوَعَا
عَمِيدُ أَنْاسٍ قَدْ أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُ وَخَطُّوا لَهُ يَوْمًا مِنَ الْأَرْضِ مَضْجَعَا

يصف الفقيد بأنه ينحدر من بيت مجد وهو عميد القوم أو كبيرهم وهو يستحسث (مي) هذه على البكاء والندب .

يقول عبد الله حمد شاوراني في رثاء ناظر البشاريين أحمد كرار : (٢)

راح الفارس الحافظ تواريخ جدو
جود وشجاعة كرما ماهو ملحوق حدو

يقول إن الفقيد كريمٌ وفارسٌ لا تحد كرمه حدود .

وقول لبيد : (٣)

إِنْعَ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أَرْبَدَا إِنْعَ الرَّئِيسَ وَاللَّطِيفَ كِبْدَا
السَّابِلُ الْفَضْلَ إِذَا مَا عُدَّادَا وَيَمْلَأُ الْجَفْنَ مَلَأَ مَدْدَا

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، ص (١٧٣)

(٢) حسن سليمان ود دوقه ، مختارات من سبعة من شعراء البطانة ، مؤسسة ترتيل للطباعة والنشر ، القضايف ، ص (٦٦)

* ولد بقرية أم شديدة في عام ١٩٢٣ وهو ينتمي إلى قبيلة الكواهلة فرع المرغوماب ، تأثر كثيرا بشعراء البطانة لأنه عاش معهم وهو من أشهر شعراء البادية الذائعي الصيت نظم الكثير من المسادير وأشهرها مسدار النجوم توفي عام ١٩٨٩

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص (١٦٤)

وصف المرثى بالعلم :

في رثاء الشيخ حمد النيل تقول الشاعرة : (١)

غرارة العبوس دار الكمال ونقاص

دوبا حليل أبوي العلوم دراس

تبكيك الجوامع الأنبت ضانقيل

لقراية العلم وكلمة التهليل

ود نيل البحور الجدك المانجيل

والعبوس هي الدنيا التي تغري الناس وتنسيهم أنفسهم وهي دار فناء وهي تبكي أباهها العالم والإمام .

وفي نفس المعنى يقول دعبل الخزاعي في رثاء الحسين بن علي رضي الله عنه: (٢)

مدارسُ آياتٍ خلتُ من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٍ مُقفرِ العرضاتِ

منازلُ كانت للصلاةِ وللنقى وللصومِ والتطهيرِ والحسناتِ

(١) من المناحات الشعبية، مناحة الشيخ حمد النيل، أدب شفاهي
*الضانقيل: الطوب الأحمر

(٢) ديوان دعبل الخزاعي، شرح مجيد الطراد، دار الجيل ، بيروت، ص (٤٠)

العنصر الثالث :

وصف المرثي بالفروسية :

من أشهر المراثي التي يحفظها الكثير من السودانيين مرثية موسى ود جلي وقد أصبحت رمزاً يردده الناس وهي مثل كثير من الآداب الشعبية مجهولة القائل وهي أيضاً تحتمل الحذف والإضافة وهي على النحو التالي :^(١)

حَلِيلَ مُوسَى يَا حَلِيلَ مُوسَى

حَلِيلَ مُوسَى لِلرُّجَالِ خُوسَة *

.....

ود أمي يا سِرير يا بَرير

ود أمي يا صباح الخير

عزائتك ما بتنوم الليل

خربانة الدنيا دار الويل

.....

يوم جانا الحُصان مَجْلُوب

وفوق ضهرو السرج مقلوب

أبكنو يا بنات حي وب

حليل موسى الوسدوه الطوب

(١) عبد الحميد محمد أحمد، خنساوات السودان، ص (٨٦)

*خوسة :سكين

يوم جانا الحصان يمشي

وفوق ضهرو السرج مكفي

كدي أبكنوا يابنات شندي

حليل: كلمة تعبر عن التحسر على مافات والحنين إلى الماضي وهذه الأبيات تصف لنا الشاعرة حال الحصان عندما يأتي وفارسه ليس على صهوته دليل على أنه قتل وعادةً ما يجلب الفرسان حصان الفارس المقتول معهم وعندما تراه النساء يدركن موت صاحبه وهذه وسيلة إعلامية . كلمة (حي ووب) كلمة نسائية بحتة وسودانية صرفة تستخدمها النساء في البكاء وعند وقوع المصائب أو للتأوه ولا يستخدمها الرجل بتاتاً مهما حدث لأنها تخرج به عن مقتضيات الرجولة من المنظور السوداني .. والمناحات غالباً ما تحتوي على كلمات نسائية مثل (حي ووب) أو (حليل) (وافليلي) لأنها في الغالب من نظم النساء.

وإذا ذكر شعر الرثاء فإن أول من يتبادر إلى الذهن هي الخنساء فهي من أكثر الشاعرات رثاءً وقد قالت في أخيها صخرأ الكثير من الشعر وكان قد مات في الجاهلية وهي إذ ترثيه فانها ترثي فيه الفارس وهي تقول: ^(١)

يا عينُ مالكِ لاتبكين تسكابا إذا رابَ دهرٌ وكان الدهرُ ريباً

فأبكي أخاك لايتامِ وارملةِ وابكي أخاك إذا جاوزتِ أجنابا

وأبكي أخاك لخيْلٍ كالقطا عصباً فقدت لما ثوى شيباً وانهابا

يعدو به سابحٌ نهْدٌ مراكلهُ مجلبباً بسواد الليل جلبابا

متى يصبح أقواما يحاربهم أو يسلبوا دون وصف القوم أسلابا

والخنساء قد تكون مسبوقة بفن شعر الرثاء ولكنها صارت هي الأشهر والأكثر خلودا وكأنها قد وضعت اللبنة الأولى فبكت في شعرها واستبكت وذرفت الدموع وقد ذكرت في هذه الوحدة في شعرها ان اخاها كان فارساً محارباً صنديداً وقويا يتشج بسواد الليل في غاراته على

(١) ديوان الخنساء، تحقيق انور سويلم، دار عمان، الاردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص (٧)

الأعداء وفي هذا إشارة إلى أن الحروب قديماً غالباً ما تكون ليلاً.

وتتشابه المقطوعتان في وصف الفقيد بالفروسية

العنصر الرابع :

وصف المرثي بالكرم والجود

تشبيه المرثي (بالماء)

هذه واحدة من المناحات والتي قيلت في رثاء الشيخ عجيب ود الشيخ الأمين من نظم شاعرة عبدلابية : (١)

يا بحر المسور خاتي النقص والقول

دوبا وحي هوي قولوا الفليل ياعول

بناتك بكن يايا يا دخرينا

يا مطر الخريف يا وابل العينة

والمسور هي الأرض التي غمرتها مياه الفيضان فأصبحت خصبة للغاية والفقيد مطر في الكرم والجود وكفه سيل وهو كامل الرأي. وكلمة (دوبا) من كلمات التفجع والبكاء عند النساء والفليل تعني الفقد وإذا فقدت المرأة عزيز فانها تقول وا فليلي وكلمة (وا) تستعمل للندبة والراجح أن المناحة من نظم ابنة الفقيد (وابل العينة) المطر الغزير

وقد وصف ابن المعتز المرثي بانه مطر في قوله : (٢)

سابيك للدين وللدين انني رأيت يد المعروف بعدك شلت

ربيع إذا ضن الغمام بمائه وليت إذا المشرفية سلّت

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، تأريخ العبدلاب ، ص (١٦٢)
(٢) أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، الجزء الثاني ، ص (١٧٩)

وقول ديك الجن الحمصي* يصف الفقيد بالمطر: (١)
ماتَ حبيبٌ فماتَ ليثٌ وغاضَ بحرٌ وباحَ نجمٌ
سَمَتَ عيونُ الرّدى إليه وهى إلى المُكرَماتِ تسمو
وقول أبي تمام: (٢)

مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقِ روضةٍ غداةً ثوى إلّا اشتَهِتَ أنها قبرُ
وكيف احتمالي للسحابِ صنيعةُ باسقائه قبراً وفي لحدّه البحرُ
في الشواهد السابقة المرثي بحر كناية عن كرمه وجوده وهو ليث كناية عن الشجاعة واتصف
المرثي بكل الصفات النبيلة .

العنصر الخامس :

الحكم والمواعظ في ذكر الموت

قال الفنجري يرثي عمر ود الشلهمة : (٣)

إن طالَ العُمر لا بد وسادتو الطوبة
وما خَجَلَتِ جنسيتن عليك منسوبة

وكانه نظر لقول كعب بن زهير: (٤)

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالتَ سلامتُه يوما على آلهِ حدباءٍ محمولُ

الحكمة هي : لا بد من الموت وإن طال العمر .

(١) ابو هلال العسكري ،ديوان المعاني،الجزء الثاني، ص (١٨١)
*ديك الجن هو عبد السلام بن رغبان ،شاعر مجيد ومطبوع من شعراء العصر العباسي
(٢) المرجع السابق، ص (١٧٦)
(٣) الطيب محمد الطيب ،تراث البطاحين الشعبي ، ص (١٨٦)
(٤) ابن هشام ،السيرة النبوية ، الجزء الرابع ،ص (١٠٠)

وقول ود الفنجري* في المراثية ذاتها : (١)

الموت يا جليس أم روبة كأسن داير

سماحتو عليك مثل نورة العريس الساير

وشبيه به قول أمية بن الصلت : (٢)

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ غِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِّلْمَوْتِ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَانِقُهَا

وشبيه به قول قطري بن الفجاءة : (٣)

سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ فِدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي

والحكمة : للموت كأس سيذوقها كل الأحياء.

ويواصل الفنجري رثاء أخيه في قوله : (٤)

ما دام البخاف يوم في العمر مايزيدو

أخير يا أب رسوة تسلیم الأمر لسيديو

وقول زهير بن أبي سلمى : (٥)

مَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَاهَا وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَسُلْمًا

الحكمة : الخوف لا يمنع الموت.

ونجد الأثر الإسلامي في وقول ودالفنجري وتسلیم الأمر لسيديو إشارة لوجوب الرضا والتسلیم بالقضاء والقدر .

(١) الطيب محمد الطيب، تراث البطاحين الشعبي، ص (١٨٦)
*الفنجري من فحول الشعراء في منطقة البطانة عمل ردحا من الزمن في الهمبته وهو شقيق طه ود الشلهمة

(٢) أبوتمام ، ديوان الحماسة ، ص ((٣٣))

(٣) المرجع السابق ، ص (١٨٨)

(٤) الطيب محمد الطيب ،تراث البطاحين الشعبي، ص (١٨٧)

(٥) ابن الأنباري ،شرح المعلفات السبع الطوال ،معلقة زهير بن أبي سلمى، ص (٢٨٣)

ثانياً :

شعر المأساة

وهو يعبر عن مشاعر مجموعة من الناس والمرثي فيه يكون (كالبطل) أو ربما كان بطلاً بالفعل والثناء يكون لمرحلة كاملة في شخص الفقيد وهذا ينطبق على أبطال المهدية وكذلك على شهداء كربلاء .

والنموذج لثناء أبطال المهدية مرثية عبدالقادر ودحوبة والتي قالتها أخته رقية لحظة تنفيذ حكم الإعدام فيه : (١)

بتريد اللطام أسد الكدادة* الزام

هزيت البلد من اليمن للشام

سيفك للفقر قلام

.....

الإعلان صدروا تلتمت الحلال

لمولو الارط شايئين سلاح النار

ود حبوبة قام ورتب الأنصار

في كتفيه* ديك كم شبعن صقار

الأسد النتر من جيهه الأبقار

منسول من أبوك ما ود حرام دجال

(١) قرشي محمد حسن ، شاعرات مقاتلات ، سلسلة الشباب الشهرية ، وزارة الشباب والرياضة ، ص (٥٥)

* الكدادة : الغابة الكثيفة

*كتفية : واحدة من قري الحلاويين دارت فيها معركة بين الأنصار والانجليز

الإعلان صدر واتلمت المخلوق

بعيني بشوف أب رسوة طامح فوق

لوجات بالمراد واليمين مطلق

ما كان بنشلق ود اب كريق في السوق

أشارت الشاعرة إلى أن البطل هو أسد الغابة الكثيفة وقد ذاع صيته حتى وصل إلى اليمن والشام، وتقول إن الأقدار لا تجري بما يشتهي الإنسان وإنما لو كانت كذلك لما شُنق ودحوبة

وكان ود حبوبة قد أعاد ترتيب صفوف الأنصار الذين تفرقوا بعد موقعة كرري. و بطولاته التي شبع فيها الطيور الجارحة دليل على شجاعته وكثرة قتلاه .

والمرثية إنما تؤرخ للفترة التي أعقبت سقوط دولة المهديّة وتصور المعاناة التي عاشها أنصار المهدي مع النظام القائم وهي صراع بين السلطة الجديدة وأصحاب الأرض أو أصحاب الحق.

وهذا الصراع عاشه آل بيت النبي صلى الله عليه والسلام مع بني أمية والذي أنتج مأساة كربلاء وقد بدأ الشعر الكربلائي مبكراً ويمكن القول بعد حدوث المأساة مباشرة ولكن قسوة النظام الأموي وبطشه جعل حجم المراثي ضئيلاً .

ويمكن أن نقول إن نساء بني هاشم كن الرائدات في شعر المراثي فما أن وصلت أنباء كربلاء إلى المدينة المنورة حتى قالت الرباب بنت أمراء القيس زوج الحسين بن علي :

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيلاً غير مدفون

سبّط النبي جزاك الله عنا صالحة وجُنبتُ خسران الموازين

قد كنت لي جبلاً صعباً ألودُ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين

مَنْ لليتامى ومَنْ للسائلين يغني ويأوي إليه كلُّ مسكين

والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين

(١) ابو الفرج الأصفهاني ،كتاب الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٢٩، الجزء ١٢ (أخبار الحسين بن علي)، ص (٣٦٨)

وتبقى مرثيات السيد الحميري في طليعة المشهد الشعري الكربلائي ومن ذلك قوله:

أمر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبة روية

وإذا مررت بقبره فأطل وقف المطية

وابك المطهر للمطهر والمطهرة النقية

كبكاء معولة أتت يوماً لواحدھا المنية

وتتطوي هذه الأبيات على صورة غاية في الدقة، انها لوحة حزينة تصور الحياة الإنسانية في مأتم كوني ، غارق في الحزن والبكاء لمصيبة سيد الشهداء .

المرجع السابق ، الجزء السابع ، ص (٧)

ثالثاً: رثاء الأحياء

وهذا النوع من الرثاء يكون المرثي فيه لم يمت بعد ولكن كل الدلائل تشير إلى أنه مقتول كان يكون في الأسر منتظراً تنفيذ حكم الموت عليه .

وأوضح صورة لهذا النوع من الرثاء هي مرثية (الجنزير في النجومي) لزينب بت عبد المجيد والتي نقول فيها : مخلدة ذكرى عبدالرحمن النجومي :^(١)

الجنزير في النجومي

زى الشولق المنظوم

ما بخاف في المحاصة زموم

.....

غنيلو يا أم رشوم

دابي الروم شرايو سموم

.....

إنت يا فرنيب

قادر ما بتجيب لي عيب

وإنت للضرس عرديب

.....

(١) صلاح الدين المليك، صور من الأدب العربي، سنة ١٩٧٠ ص (٢١٢)

*الشولق :نوع من الحلى تتزين به النساء قديما

* المرثى شخصا يدعى النجومي تيمنا بالبطل الشهير الذي قتل في معركة توشكى ولم يقبض عليه

العيشتو مي عوايل

وجدك بضبح الشايل

أضرب كفك الطائل

ماترى الجنزير سمح وخائل

ترى الفتاة النجومى فى يد المستعمر الغاصب فشبهت الجنزير بعقد جميل يتزين به البطل وهى تصفه بالشجاعة (وأم رشوم) هى المغنية تستحثها على الغناء " علما أن النجومى ينتمى إلى قبيلة الجعليين وهم سريعو التأثر بالغناء وعندما يسمع الواحد منهم الغناء فانه يثبت أو (يركز).

وربما سمعت الفتاة بعض الشامتين فى الموقف فردت عليهم أن الجنزير جميل ويليق به ولايعيبه شيء .

وشبيه بهذا الشعر قول أبى الشغب العبسى فى خالد بن عبدالله القسرى وهو أسير فى يدي يوسف بن عمر الثقفى : (١)

ألا إن خيرَ الناس حياً وهالكا أسيرٌ ثقيفٌ عندهمُ فى السَّلاسلِ

لقد كان نهاضاً بكل ملمة ويُعطى اللّهُ غمرا كثير النوافلِ

فإن تسجنوا القسرى لاتسجنوا اسمه ولاتسجنوا معروفه فى القبائلِ

والقسرى لم يمت بعد ولكن الشاعر تحدث عنه بصيغة الماضى وهناك ملمح رثائى فى هذا الشعر وكأنما هو يتحدث عن أمر واقع باعتبار ما سيكون .

(١) أبو تمام ،ديوان الحماسة ،ص (٣٩١)
اللهى : العطايا

تعليق :

يمكن القول إن الرجل أكثر قدرة في التعبير في شعر المراثي الشعبي والمتأمل لشعر المناحة يجد أنه في معظمه أقرب إلى النثر المسجوع أو هو توصيف للميت نقول (فلانة تبكي وتوصف) وهو مرتجل لا يتصف بالعمق وهو وصف لحال الباكيين والباقيات في لحظة تلقي الخبر أو بعد الموت مباشرة وهو مليء بالعاطفة والعاطفة ليست دائما صحيحة وتعتمد على المبالغة .

وذكرنا أن (الدنقر) طقس غنائي يصاحب المناحة ،على أنه يجب أن نشير إلى أن العرب أيضاً كانوا يغنون مراثيهم وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف في(كتابه الشعر والغناء في مكة والمدينة) نقلاً عن أبي الفرج الأصفهاني في حديثه عن ابن سريج *... " وظل - على ما يظهر - حاملاً حتى كانت وقعه الحرة سنة ٦٢ هـ فعلا أبي قبيس وناح فاستحسن الناس نواحه ويقال إن سكينة بنت الحسين بعثت إليه بشعر ، أمرته أن يصوغ فيه لحنا يناح به فصاغ فيه لحنا قدمه على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف "

وهذا التقليد لا يزال مستمراً عندنا فالكثير من المناحات عندنا ملحنة ومغناه من كبار المغنيين وقد لا يعرف الكثير من الناس أن الغناء الذي يطربون له ويرقصون على أنغامه هو في الحقيقة (مناحة) قيلت في رثاء أحدهم .

(١)د. شوقي ضيف الشعر الغنائي في المدينة ومكة لعصر بني امية ، دار المعارف ، ص (١٩٨)

*ابن سريج أحد المغنيين المشهورين في مكة في العصر الأموي.

الفصل الثاني (الوصف)

المبحث الأول : وصف البطولات الحربية (الحماسة)

المبحث الثاني : وصف الطبيعة

المبحث الثالث : وصف الصيد

المبحث الرابع : أخراض متفرقة

المبحث الأول

وصف البطولة الحربية

(الحماسة)

أغاني الحماسة في السودان والتي يطلق عليها أغاني السيرة أو الدلوكة ضرب من ضروب الشعر الشعبي القديم ارتبط بأشخاص أو جماعات قبلية وفي معظم الأحيان بمواقف بطولية حدثت أثناء النزاعات والحروب التي كانت سائدة في القرون الماضية وهي أشعار تمجد الأخلاق الفاضلة والقيم الحميدة والشيم السمحة من كرم وشجاعة وتضحية وإيثار ولهذه الأشعار تأثير كبير في إذكاء الروح القتالية والهابة وشحن الهمم وحث الرجال على الثبات في المعارك ومقاتلة الأعداء وإدخال الحماسة في قلوبهم في وقت الحروب والشدائد وهي تطرد الجبن من القلوب الوجلة وتزيل عنها الخوف وتثبت فيها الحماس والنخوة والشجاعة مما يجعل الممدوح يبلي بلاءً حسناً وقت الشدائد والكروب بل بعض الأحيان ترافق النساء المقاتلين مرددات الأشعار الحماسية مما يعني أن لهذه الأشعار رسالة تحريضية تحث الناس على القتال والثبات في وجه العدو ، فالإنسان بطبيعته يحب المدح ويكره الذم والنبيل يسعى لأن يكون عند حسن الظن لا يخذل من مدحه مهما كان الثمن باهظاً حتى لو كان بذل المهج والأرواح لا سيما وأن معظم شعراء تلك الأغاني كانوا من النساء والرجل بطبعه - في ذلك الوقت - يسعى أن يكون من ذوي الحظوة . عند عامة النساء نائلاً إعجاب الفتيات برجولته وقوته وصبره على المكاره وتحمله للألم وشدته وثباته ولازال بعض الرجال يعمل على إظهار قوتهم وثباتهم من خلال الجلد بالسياط أثناء حفلات الزواج وهو تقليد منتشر في كثير من نواحي السودان .

وهناك طقس يصاحب هذا النوع من الشعر (الغُنا) وهو استخدام النحاس . والنحاس نوع من الطبول خاص بالحروب أو هو وسيلة إعلامية وسمي أيضاً (النقارة) والكثير من القبائل السودانية تمتلك النحاس في وقتنا الحالي كالجُموعية والجعليين والشكرية . وقد استخدمت الشعوب منذ القدم هذا التقليد وربما كان (سلاح الموسيقى) المصاحب للجيش في وقتنا هذا تطور طبيعي للنحاس وكذلك البوق المعروف (بالبروجي) ربما كان يشكل امتداداً آخر لذلك الطقس .

العناصر الأساسية في شعر الحماسة :

العنصر الأول :

الاستعداد للمعركة بالركوب والإسراج "الشّد"

(أ) وصف الخيل المستخدمة في المعركة :

قالت إحدى شاعرات العبدلاب في مدح الملك ناصر (١)

بالي لي البضاير السرتي المردوم

(اليوم النحس) ليهو ركب شديت

كودرت الخيول لي صفهن شقيت

تريد أن الفارس قوي وهو يضرب يمنة ويسرة مما يجعل الأعداء يسارعون بالاختفاء من أمامه كما أنها تصف الحرب بأنها يوم نحس .

وهذا المعنى موجود في معلقة عمرو بن كلثوم في قوله : (٢)

(بيوم كريهة) ضرباً وطعناً أقرّ به مواليك العيونا

يصف الحرب بأنها كريهة ولكن الفرسان أقرّوا أعين نسائهم بالنصر إذ لا بد من الحرب لرد الظلم وتحقيق العدالة .

وقول محمد علي أبو قطايطي: (٣)

رگابين عليهو الماصع أب غرة

نتباشر وقت نلقى الكلام حرا

يريد أنهم قوم أولو بأسٍ واستخدام صيغة المبالغة دلالة على كثرة الركوب وكثرة المعارك وأنهم يفرحون عندما تدنو الحرب

(١) أحمد عبد الرحيم نصر، تاريخ العبدلاب، ص (١٥٢)

(٢) ابن الأنباري، شرح المعلقات السبع الطوال، معلقة عمرو بن كلثوم ص(٤٠٨)

(٣) محمد علي أبو قطايطي، ديوان الفينا مشهودة، ص (٦)

وقول رجل من بلعنبر يقال له قريط بن انيف* (١)

قومٍ إذا الشرُّ أبدى نأجذيه لهم قاموا إليه زرافاتٍ ووحدانا
لايسألونَ آخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدوا الاغارة فرساناً ورُكباناً
يقول إنهم قوم يحبون القتال وإذا ظهرت لهم أي بادرة للحرب فإنهم يقومون إليها
فرادى وجماعات وهو يصفهم بالشجاعة .

وكذلك قول عوض الأمين يونس الركابي: (٢)

شدوا ليك ركب فوق مهرك الجماح

ضرغام الرجال الفارس الجحاح

وصف المهر بانه كثير الجموح وهي صفة تدل على قوة الفارس الذي يستطيع ترويض
مثل هذا المهر .

أو قول عمر البنا*:(٣)

الجنيات يا بغارة

شدوا خيلهم للمغارة

وقد ذكر المنخل اليشكري هذا المعنى في قوله: (٤)

شدوا دوابر بيضهم واستلأموا وتلببوا إن التلبب للمغير

وفي هذا إشارة إلى أن الشد والاسراج متلازمة من لوازم الفارس و هي من دواعي
الاستعداد للمعركة .

(١) أبو تمام ،ديوان الحماسة، ص (٥٨)

*شاعر مخضرم ادرك الإسلام واسلم ،قريط تصغير لقرط وانيف تصغير لأنف

(٢) محمد الفاتح أبو عاقله ،خصائص الأدب الشعبي السوداني، ص (٥٩)

(٣) عبد الحميد محمد أحمد ،خنساوات السودان ، ص (٢٤)

*والده الشيخ محمد عمر البنا العالم الكبير والشيخ الفحل ،ولد بمدينة ام درمان في عام ١٩٠١ بحي
ود البنا التحق بالخلوة ثم مدرسة أم درمان الابتدائية ،بدأت شاعريته بنظم الدوبيت

(٤) الاصمعيات ،ص(٥٩)

وقد قالت العبدلابية (بخيته بت حسن) * في فروسية أبيها : (١)

يا عُثْمَانُ تعال في حوضو نتختر

يا سيد المولّد سيد الفلّوّ الاشقر

والفلو الأشقر هو المهر الصغير وفي هذا إشارة إلى أن الفارس لديه عدد من الخيول .
وقد سمى العرب أيضاً المهر (الفلّوّ) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو وتعني ولد
الفرس أو الأتان .

وقال رجل من عبد القيس حليف لبني شيبان (٢)

إذا نفذتْهُمْ كَرَّتْ عَلَيْهِمْ كَأَنَّ (فُلُوهَا) فِيهِمْ وَبَكْرِي

وقد سمى الشعبيون الفرس (القارح)

في قول بنونة بت المك : (٣)

درعك في أم لهيب زي الشمس وقاد

(وقارحك) غير سُكّال مابقربو الشّدّاد

تصف درع الفارس كأنها شمس في غمار المعركة و تقول إن هذا الحصان لا يستطيع
الفارس الاقتراب منه دون لجام لشدة قوته وجموحه

وقول المرار بن منقذ : (٤)

قارحٌ قد فرَّ عنه جانب ورباعٌ جانبٌ لم يتغرَّ

والقارح هو الفرس في سن السادسة والشاهد هنا أن هناك تطابق في استخدام كلمة
قارح بين الشعر العربي والشعر الشعبي.

(١) أحمد عبد الرحيم نصر، تأريخ العبدلاب، ص (١٥٩)

* هي بخيته بت حسن ود محمد ود العجيل عبد لابية من فرع المسامير من أهالي دبة ود العجيل

(٢) المفضليات ، ص (٧٠)

(٣) د. سعد عبد القادر ، مع الدوبيت ، ص (١٠٣)

* هي بنونة بت المك نمر ملك الجعليين تشبه تماضر الخنساء كثيراً في بكائها لأخيها عمارة

(٣) المفضليات ، ص (٨٣)

العنصر الثاني :

وصف السلاح :

قول بلتنا بت اللحية وهي من شاعرات العبدلاب تصف السلاح : (١)

ما تعزل الوجوه دفعك دشر سوي

وسيفك في غضاريف الرجال اسقي

نقول للفارس لا تتفرس في الوجوه بل عليك أن تضرب دون هوادة وأن تعمل سيفك في أعناق عظماء الرجال .

وفي هذا يقول المتنبي : (٢)

ولا تحسبن المجد زقا وقينة

فما المجد إلا السيْفُ والفتكة البكرُ

وتضريب أعناق الملوك وأن تُرى

لك الهبوات السود والعسكر المجرُ

يريد أن الذي يريد أن يبلغ المجد فليس عليه سوى الالتزام بالسيف وإعماله في رقاب الملوك إذ إن المجد لا يناله من يتسامر مع المغنيات في الحانات لأنه يتطلب شجاعة وإقدام وخوض للحروب .

أو قول بنونة بت المك: (٣)

كوفيتك الخودة أم عصا بولاد

سيفك من سقايتو استعجب الحداد

درعك في أم لهيب زي الشمس وقاد

البولاد: هو الفولاذ في العامية وهي من التغيير الشائع في عاميتنا ، ويسمى الرجل بولاد

تقول أن هذا السيف قوي لدرجة أن صانعه استعجب من قوته كما أن الدروع تلمع في ظلام الحرب كأنها شمس والراجح أن هذه الحرب قد دارت ليلاً، وهذا المعنى موجود في الشعر العربي القديم .

(١) أحمد عبد الرحيم نصر، تاريخ العبدلاب ، ص (١٤)

(٢) ديوان المتنبي، ، المجلد الثاني، ص (٣٥٣)

(٣) قرشي محمد حسن ، شاعرات مقاتلات ، ص (٤٢)

يقول الأشتري النخعي*: (١)

حَمِي الحديدُ عليهمُ فكأنَّهُ ومَصَانُ برقٍ أو شُعاعُ شمس

يريد أن السلاح قد اشتد وقوي على العدو وهو يشبه لمعانه بالبرق وأشعة الشمس. أيضاً يمكن القول إن المعركة كانت ليلاً إذ لا معنى لتشبيه السلاح بالشمس في وجود الشمس.

العنصر الثالث :

وصف الفارس : " الأسد"

قول بلتنا بت اللحية في وصفها للفارس : (٢)

بسال عن علي الفارس البسوق تسعين

الدر العلى ضهرو الخبوب والطين

ما بياكل الضعيف وما بسولب المسكين

إلا السميت الجضع أب ضريرة هين

وقولها أيضاً تصف الفارس بأنه أسد : (٣)

فرتيكة أم لبوس بتلوع الفرسان

هي لي بابي لي أسدا وقرونو سنان

وقول بنونة بنت الملك نمر في أخيها عمارة : (٤)

مرنن مو نشيط إن قبلن صادات

(أسد بيشة) المكر قمزاتو مطابقات

برضع في ضرايع العنز الفاردات

(١) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص (٤٠)

*هو مالك بن الحارث أحد بني النخع، صحابي، كان من أشد الموالين للإمام علي كرم الله وجهه

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر، تأريخ العبدلاب، (١٤٤)

(٣) المرجع السابق، ص (١٤٩)

(٣) قرشي محمد حسن، شاعرات مقاتلات، ص (٤٢)

وصفت الأبيات السابقة الفارس بأنه أسد في الكر والفر والإقدام وقد زادت بنونة بأن قالت إن فارسها قد رضع على إناث وحيد القرن، وهو حيوان ضار و وصفت أخاها بأنه (أسد بيشة) وقد ورد هذا الوصف كثيراً في الشعر القديم، (بيشة) هي مأسدة أو أرض أسود في شبة جزيرة العرب .
وقد ذكرها مزرد بن ضرار الذبياني* في قوله : (١)

فِيرْجِعْهَا قَوْمٌ كَأَنَّ آبَاءَهُمْ بِيِشَةَ ضِرْغَامٍ طَوَالَ السَّوَادِ

وذكرتها الخنساء أيضاً في رثائها لأخيها صخر : (٢)

سَمَحُ الْخَلِيقَةِ لَا تُكْسُ وَلَا غَمْرٌ بَلْ بَاسِلٌ مِثْلُ لَيْثِ الْغَابَةِ الْعَادِي
أَسَدٌ بِيِشَةُ يَحْمِي الْخَيْلَ ذِي لَبْدٍ مِنْ أَهْلِهِ الْحَاضِرِ الْأَدْنِيِّ وَالْبَادِي

ذكرت بنونة الكر، وسبقها إليه امرؤ القيس في قوله : (٣)

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعاً كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عِلْ

هل عرفت أو سمعت بنونة عن (بيشة) هذه ؟ أم أنها اطلعت على الشعر القديم .
وقد وصفوا الفارس بأنه سم

قول بنونة في وصفها للفارس بالسم : (٤)

يَا جُرْعَةَ عَقُودِ السَّمِّ

يَا مَقْتَعَ بَنَاتِ جَعَلَ الْعَزَازَ مِنْ جَمٍّ

الْخَيْلَ عَرَكَسْنَ مَا قَالِ عِدَادَنْ كَمْ

فَرْتَأَقَ حَافِلُنْ مَلَّايَ سُرُوجِي دَمٍّ

وقول عوض الأمين يونس الركابي : (٥)

السَّمِّ النَّقُوعِ فِي الْبَدَنِ نَقَّاحٍ

(١) المفضليات ، ص (٧٩)

*شاعر جاهلي قديم وفارس مشهور أدرك الإسلام وأسلم وله صحبة

(٢) ديوان الخنساء، ص (٣٤)

(٣) ديوان امرؤ القيس، شرح وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص، (١٩)

(٤) قرشي محمد حسن، شاعرات مقاتلات ص (٤٤)

(٥) محمد الفاتح أبو عاقلة، من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص (٥٩)

إعصار المفازة اللعيون كتّاح

المال ما بهّمك إن كتر وإن راح

لا شك أن السم يفعل في الجسد فعلاً شديداً وهذا ما يفعله الفارس في أعدائه إذ أنهم لا يمكنهم تفاديه أو إبطال مفعوله .

ووصف عبد الله بن عنمة* : (١)

إِنْ أَبِيئُمْ فَإِنَّا مَعَشْرٌ أَنْفٌ لَا نَطْعُمُ الدُّلَّ إِنْ السُّمُّ مَشْرُوبٌ

يريد تهديد الأعداء بأنهم إذا أصرّوا على عدم الاستسلام فإنهم أقوىاء كالسم الذي يسري في جسد المسموم .

العنصر الرابع :

تشبيط همة الأعداء :

الاستهتار بالعدو ووصفه بالحيوانات الأليفة :

مهيره بت عبود* : (٢)

جنياتنا العزاز الليلة تنتنر

ويا الباشا الغشيم قول لي (جدادك) كر

تصف جنود الاحتلال التركي بأنهم (دجاج) وتطلب من الباشا أن يعود أدراجه صاحباً جيشه معه ووصفته بالغشامة وهي صفة منكرة لقائد .
وشبيه بذلك قول عبد الله بن عنمة : (٣)

فَأَزْجِرْ (حِمَارَكَ) لَا يَرْتَعْ بِرَوْضَتِنَا إِذَا يُرْدُّ وَقِيدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبٌ

يصف الجنود بأنهم حمير وهو يطلب منه أن يبعدهم عن حماه والمعنيان ينطويان على استهتار كبير بالعدو.

(١) الفضليات، ص (٣٨٢)

*شاعر إسلامي مخضرم، له صحبه ،شهد القادسية

(٢) عبد الحميد محمد أحمد ،خنساوات السودان، ص (١٣)

*مهيرة بت عبود من السوارب أكرم بيوت الشايقية وأغرقها كان لها دور كبير في تأريخ السودان ،قتل خطيبها حسان في معركة كورتي فأوصدت من بعده باب قلبها وماتت ولم تنزوج.

(٣) الفضليات، ص (٣٨٢)

العنصر الخامس :

رفع الروح المعنوية للجند :

كانت النساء في الحضارات القديمة يخرجن خلف الجنود في المعارك من أجل رفع الروح المعنوية للرجال وحثهم على القتال والثبات وعدم الفرار ولعل أشهر من خرج مثل هذا الخروج نساء قريش في غزوة أحد بقيادة هند بنت عتبة وخرجت بعدها بمئات السنين مهيرة بت عبود في موقعة كورتي بالهيئة نفسها وهي تغني قائلة : (١)

غنيت بالعديلة لي عيال شائق

البرشوا الضعيفة وبلحقوا الضائق

تثني على الرجال من قبيلتها وتصفهم بإغاثة الملهوف ونجدة الضعيف
وقالت هند في الماضي في خروجها المشهور في غزوة أحد محرصة قريش : (٢)

ويها بني عبدالدار

ويها حماة الأدبار

ضربا بكل بتار

وبنو عبد الدار هم قومها وهم الحماة والشجعان

تهدد مهيرة قائلة : (٣)

إن فريتو يا رفاقتنا

ادونا الدرق هاكم رحاطتنا

تطلب منهم أنه في حالة الفرار عليهم أن يتخلوا عن أسلحتهم ويستبدلوها بالرحط وهو رداء مصنوع من الجلد شبيه بالمنزر كانت ترتديه النساء في السودان قديماً وقول مهيرة هذا أشد وأوجع.

(١) عبد الحميد محمد أحمد ،خنساوات السودان،ص (١٣)

(٢) ابن هشام ،السيرة النبوية ، الجزء الثالث ، ص (٢٢)

(٣) عبد الحميد محمد أحمد ،خنساوات السودان ،ص ، (١٣)

بينما تهدد هند قائلة : (١)

إن تُقبلوا نُعانقُ ونفرش النّمارقُ

أو تُدبروا نُفارق فراق غير وامق

تريد أنهم إذا صبروا وثبتوا وانتصروا فإنهن يقابلنهم بالمعانقة والزينة وإذا فروا وخسروا فإنهن سيفارقنهم ، وهو أسلوب فيه ترغيب وترهيب .

العنصر السادس :

الثبات وعدم الفرار :

قالت الشعبية تصف ثبات الفارس: (٢)

ما حرسوا الجري صدرك موشح بالدمي

ما بخاف فارس الحديد إن حمي

تريد أنه لم يشهد له بالهروب من المعركة من قبل كما أن صدره مليء بدماء الأعداء وتصف الفارس بأنه لا يخاف .

وقول أم الصريح الكندية في ثنائها على ثبات الفرسان: (٣)

أبو أن يَفِرّوا والقنا في نُحورهم وأن يَرْتُقوا من خشية الموت سلّما

تقول إنهم رفضوا الفرار بالرغم من أن العدو قد اشتد وقوي عليهم إلا إنهم فضلوا الموت على الفرار .

وقول الشاعرة الشعبية تحمس وتشجع فارسها : (٤)

اليوم النحس ليهو ركب شديت

كودرت الخيول ليس صفهن شقيت

سويت الهيلك حرس ما أديت قفاك جكيت

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، الجزء الثالث ، ص (٢٢)

(٢) من الأغاني الشعبية ، أدب شفاهي

(٣) أبو تمام ، ديوان الحماسة ، ص (٣٩٤)

(٤) أحمد عبد الرحيم نصر ، تأريخ العبدلاب ، ص (١٥٢)

تصف الحرب بأنها يوم نحس، ولكن فارسها شق صفوف الأعداء وزعزع نظامهم وأعمل السيف فيهم وأيضاً في قولها قوة إذ أن الفارس لم يهرب قط بل وقف متحدياً ومنتظراً خروج العدو ليواصل قتاله ويمكن القول إن هذا القول يحتوي على تحد كبير .

قول محمد علي أبو قطايطي : (١)

ما بنفز يمين إن متنا فد مرة

والخواف دا مو حر منو نتبرأ

نفي شيمة الجبن عنهم حتى لو أدى ذلك إلى موتهم كما أنهم أعلنوا براءتهم من الجبان

وقال الحصين بن الحمام المرئى*: (٢)

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَاءُ

وقول كعب بن زهير : (٣)

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

تدور هذه المعاني حول الثبات وعدم التولي يوم المعركة ومواجهة العدو وتلقي الطعنات في الصدور والأعناق .

العنصر السابع :

التأكيد على القوة :

قول محمد علي أبو قطايطي في تأكيده على قوة قومه : (٤)

المغرور ندوسو نقطعو الطنة

شافعنا بيرى الموت في الركاب سئة

يريد أن المغرور لا يستطيع مواجهة كما أن صغيرنا يرى أن الموت واجب عليه في المعارك ويمكن ملاحظة الأثر الإسلامي في قوله (سئة) .

(١) ديوان محمد علي أبو قطايطي، الفينا مشهودة، ص (٦)

(٢) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص (٦٨)

*الحصين بن الحمام من الشعراء المقلين في الجاهلية، كان سيداً في قومه وكان يسمى مانع الضيم

(٣) ديوان كعب بن زهير، شرح الحسن بن الحسين السكري، مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٥٠، ص (١٩)

(٤) ديوان محمد علي أبو قطايطي، الفينا مشهودة، ص (٦)

وقول عمرو بن كلثوم مؤكداً قوة قبيلته : (١)

إذا بلغَ الفطامُ لنا صبي
تخرَّ له الجبابرُ ساجدينَا

يريد أن صغيرهم تهابه الجبابرة وتسجد له ويمكن ملاحظة الأثر الوثني في السجود
لغير الله ، فهو شاعر جاهلي .

العنصر الثامن :

الغبار المتصاعد من المعركة

قول محمد علي أبو دقينة الشكري* في حرب الشكرية مع الركابية واصفاً غبار
المعركة: (٢)

إن وردن بشرب شراب ثابت

وإن سدرن بتلقاه تحت العجاج رابط

والغبار يدل على اشتداد المعركة تحت العجاج رابط ، أى أنه كالمربوط لا يتزحزح
ولا يفكر في الهرب

وقول بشار بن برد يصف الغبار المتصاعد من المعركة: (٣)

كأنّ منار النقع فوق رؤوسنا
واسيفنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ

الصورة للغبار المتصاعد من المعركة والسيوف كأنها كواكب في وسط ظلمة الغبار
فيها إشارة إلى وقت دوران المعركة.

قول بنونة بنت الملك تصف الغبار المتصاعد من المعركة: (٤)

ما دايرة لك الميته أم رمادا شح

دايراك يوم لقا بدميك تتوشح

الميت مسوّلب والعجاج يكتح

تريد القول أنها تخشى أن يموت فارسها حتف أنفه وحينها سوف تبكي النسوة عليه
وهن حاثيات الرماد على رؤوسهن وهي تريد موته في غمار المعركة متسرلاً بدمائه

(١) الشيخ أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر الطوال، ص (١٦٢)

(٢) عز الدين إسماعيل، الشعر القومي في السودان، ص (٢٠٧)

*شاعر قديم من قبيلة الشكرية، نسب إليه الكثير من الأشعار التي توضح العلاقة بين جند المهديّة وقبائل البطانة وهو
إمام شعراء البطانة أي بمنزلة امرئ القيس في العصر الجاهلي وقد ضاع معظم شعره.

(٣) ديوان بشار بن برد، شرح حسين الحموي، المجلد الأول، دار الجيل، بيروت، ص (٢٧٣)

(٤) قرشي محمد حسن، شاعرات مقاتلات، ص (٤٢)

وقول حسان بن ثابت في الغبار : (١)

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النِّقْعَ مَوْعِدَهَا كِدَاءُ

قول رقية بنت الأمين ودمسمار في مدح أبيها بالشجاعة في المعركة المتصاعدة الغبار : (٢)

غَنِي وَشَكَرِيهِ يَا سَمْحَةَ الْفَاطِرُ

الدِّنْقَرُ ضَرَبَ وَقَفَ الْعَلَالُ بَاكِرُ

وقول الحارث بن حلزة يصف ثباتهم عندما تشتد المعركة ويتصاعد الغبار: (٣)
مَاجَزَ عَنَا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ إِذْ وَلَوْ شِلَالًا وَإِذْ تَلْظَى الصَّلَاةُ

العنصر التاسع :

الطيور الجارحة :

وهي إعلان عن نهاية المعركة حيث تتجمع الطيور باحثة عن بقايا الجثث
قول عبد الله محمد حسب الله الشريقاوي يصف الطيور التي تتبع المحاربين : (٤)
غَرَّافَ الصَّقُورِ مِنَ الْكِبَادِ شَابِعُو

بَشْرَبُوا صَافِي وَالْغَيْرِ بِالْكَدْرِ سَاقِفُو

وشبيه به قول عمرو بن كلثوم في مدحه لقومه بالغلبة شدة البأس : (٥)

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوَا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينَا

تتشابه الصورتان في أن كلا الشاعرين يرى أن قومه هم السباقون وأنهم يسومون غيرهم سوء العذاب.

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ص (٨)

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر تأريخ العبدلاب ، ص (١٢٦)

(٣) ابن الأنباري ، المعلقة السبع الطوال ، معلقة الحارث بن حلزة ، ص (٤٩٩)

(٤) محمد الفاتح أبو عاقلة ، من خصائص الشعر الشعبي السوداني ، ص (١٨٦)

* عبد الله محمد حسب الله الشريقاوي ، من مواليد عام ١٩٥٧ شاعر من منطقة البطانة كان والده شاعر مجيد وهو من الشكرية فرع الشهوياب يسكن قرية البانوسة بمحلية أم القرى وهو من شعراء المسابير جارى بشعره العديد من شعراء البطانة.

(٥) ابن الأنباري المعلقة السبع الطوال ، معلقة عمرو بن كلثوم ، ص (٤١٠)

قول مسلم بن الوليد في وصفه للطيور الجارحة التي تتبع المحاربين (١)

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقْنَ بِهَا فَهَنْ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ

يقول عبد الله محمد حسب الله الشريقاوي في وصف الطيور الجارحة: (٢)

زَمَنَ الْكَيْكُ بِتَصِيهِلٍ وَالصَّقُورُ بَيْرَنُو

يَاتُوا الْخَيْلُ غَارَنَ وَخَلِينَا مَا صَدَنُو

وسبق المتنبي بوصف تكاثف الطيور حتى تكاد تقع في قوله: (٣)

يُطَمَعُ الطَّيْرُ فِيهِمْ طُولَ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادُ عَلَى أَحْيَانِهِمْ تَقَعُ

وقول محمد عوض الكريم محمد عدلان* يصف حركة الطيور مع بدء المعركة: (٤)

سَاعَةُ الْجَقْلَبَةِ أَمْ سَبَايَ

خَلَى صَقِيرًا فَوْقَ زُوَزَايَ

الجقلبة هي الحرب ويعني أنه عندما تشتد المعركة فانه يعمل القتل في الأعداء وتتجمع الطيور حتى تأكل الجثث المتساقطة

قول البحتري في وصف بداية المعركة: (٥)

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا رَأَيْتَ أَمْرًا قَدْ احْمَرَّتْ عَوَاقِبُهُ

يُرْنَقُ* النسر في جو السماء وقد أَوْما إِلَيْهِ شُعَاعُ الشَّمْسِ يَأْدُبُهُ

قول الشعبي يصف حركة الطيور في المعركة: (٦)

أَنَا لِيهِمْ بَجْرُ كَلَامٍ دَخَلُوهَا وَصَقِيرًا حَامٍ

يريد القول إنه سيغني ويمجد الفرسان الذين أنتصروا في المعركة وسيرفع ذكر الدين شاركوا وأنتصروا .

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، (أخبار مسلم بن الوليد الأنصاري)، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ص (٢٣٦)

(٢) محمد الفاتح أبو عاقلة، من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص (١٨٦)

(٣) ديوان المتنبي، المجلد الثالث، ص (٤٠٤)

(٤) محمد الفاتح أبو عاقلة، من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص (١٨٦)

*يرجع بنسبه إلى الحارث الكبيرو وهو شاعر ومغني ربابة وقد ارتبط بالربابة منذ نعومة أظفاره حتى سمي (محمد ربابة)

(٥) ديوان البحتري، المجلد الثاني، ص (١٣٦)

*يرنق: حركة اجنحة الطيور:

(٦) من الأغاني الشعبية، الأدب الشفاهي

قول عمر البنا يصف الطيور : (١)
في العركة الحلقن صقارا

كتل القوم يتم صغارا

النابعة الذبياني وصف الطير في قوله : (٢)

إذا ماغزوا بالجيش حلق فوقهم عصاب طير تهدي بعصاب

قول بلتنا بت اللحية تصف حوارها مع الطيور: (٣)

الليلة الصقر انا جاني شاكي الهم

قت ليه يا صقر لا تشكي سر الهم

فوق شتم النحاس والدنقر إجم

يكفوك في اللحم لامن تخود في الدم

تخيلت الشاعرة حديثا مع الصقر وأنه اشتكى إليها الجوع فبشّرته بأن قومها سينتصرون في المعركة التي أعلن عنها النحاس وسوف يشبع من اللحم حتى يمتليء جسمه بالدم .

ويقول طرفة بن العبد في هذا الاطار : (٤)

سائلوا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللحم

يوم تُبدي البيض عن إسواقها وتلف الخيل أعراج النعم

ربما أنكر بعضهم على قومه صفة الشجاعة فرد عليه أن يسأل من يعرف يوم التحالق حيث حلقت الطيور في السماء .

(١) عبد الحميد محمد أحمد ، خنساوات السودان ص (٢٤)

(٢) ديوان النابعة الذبياني ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ص (٥٧)

(٣) أحمد عبد الرحيم نصر ، تأريخ العبدلاب ، ص (٢٢)

(٤) ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق على الجندي ، بيروت ، دار بيروت سنة ١٩٦١ م ، ص (٩٠)

العنصر العاشر :

أنتهاء المعركة :

بعد نهاية المعركة لا بد من وجود قتلى ولا بد من وجود منتصر ومهزوم

تقول شعبة المرغومابية : (١)

كُر يانوح من دا الخراب عجب عيني ياكلن في الكلاب

ود دقلش ميح من الركاب دا كلو اخير من قوله جفلوا المرغوماب

تستغيث بنبي الله نوح كعادة نساء السودان قديما فقد سقط زوجها (ود دقلش) قتيلاً والكلاب تأكل من لحمه ولكنها تستدرك قائلة إن الموت أفضل من الفرار.

ويصور عنبرة هذا المشهد بقوله : (٢)

وتركتهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَشْنُهُ يقضمن حُسْن بنانه والمعصم

فهو يصف حال من قتله بأنه ، حسن الملابس وناعم الأصابع في اشارة إلى أنه سيد منهم ولكن السباع قد أكلت لحمه .

وأيضاً يرسم هذه الصورة عمرو بن كلثوم في قوله : (٣)

تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مَقْلَدَةٌ أَعْنَتْهَا صَفُونَا

والخيول من الحيوانات التي تميز صاحبها وقد وقفت على جثته

العنصر الاخير :

استخدام النحاس في الإعلان للحرب

كان حرياً بنا أن نذكر هذا العنصر كأول عنصر من عناصر شعر الحماسة، ولكني لم اقف على شواهد من الشعر العربي القديم تدل على استخدام العرب لهذه الوسيلة في حروبهم وربما كانوا يستخدمون وسيلة أخرى قد تكون التتادي

(١) عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش، وقفات مع شعراء البطانة، الخرطوم، دار البلد، ١٩٩٩، ص (٦٦)
*شعبة اميرة شعراء البطانة ،تنتمي إلى الكواهلة ولكنها تزوجت من المرغوماب ونسبت إليهم ،كانت امرأة فارسة تسلك مسلح الفرسان وترتدى ملابسهم.خاضت مع المرغوماب حروباً كثيرة ضد ملوك سنار وأخذت اسيرة عندهم ونظمت الكثير من الشعر في الاسر.
(٢) ابن الأنباري المعلقات السبع الطوال ،معلقة عنبرة بن شداد ،ص (٣٧٣)
(٣) المرجع السابق ،معلقة عمرو بن كلثوم ،ص (٣٨)

ولم أجد سوى بعض الشواهد القديمة في الأندلس وبعضها في الشعر الحديث. ويمكن القول إن النحاس طقس أفريقي وجده العرب في السودان وأقروه إذا وضعنا في اعتبارنا أن البيئة في أفريقيا تغلب عليها الغابات في بعض أجزائها كان لابد من استخدام الطبول لأن الغابات تحجب القبائل عن رؤية بعضها بعضاً والنحاس وسيلة إعلامية ارتبطت بكثير من القبائل السودانية . وهو يستعمل في حالات وهي قبل المعركة للتنبيه . واثناء المعركة للتحسيس و بعد المعركة فرحا بالنصر وإعلاناً للأفراح ويستخدم أيضاً عند وفاة الزعماء وكبار القوم.

تقول بت مكاي* : (١)

طبل العز ضرب هونا في البرزة

غير طبل أم كيان أنا ما بشوف عزة

إن طال الوبر واسيهو بالجرة

وإما عم نيل ما فرخت وزرة

ويعتقد أن هذه الأبيات كانت واحدة من المحرضات على قيام الثورة المهدية وفيها تحرّض الشاعرة قائلة إنها لا ترى العزة إلا من خلال الحرب والنصر فيها وهي تقول إنه لولا الفيضان لما نبتت الأعشاب التي ترعاها طيور الأوز. ويروى أنه عندما زحف محمود ود كوينه على إدريس ملك الجعليين بجيوشه في إحدى المعارك ففكر الأخير في الهرب لأنه لا قبل له بمحمود وجيشه فقال شاعره في محاولة منه لجعله يتراجع عما عزم عليه

قال(٢)

شمّر يا ولد لنحاسك دق

قدر الله بيطيح حتى إن بقيت في حق

(١) محمد عبد الرحيم، نفثات اليراع في الأدب والاجتماع، شركة الطبع بالخرطوم، ١٩٣٩، ص (١٦) (١)

* بت مكاي عاشت في فترة الدولة المهدية وكان شعرها في أمجاد المهدية وهي شاعرة قوية ومطبوعة
* البرزة: العراء ، * أم كيان : هي الحرب
(٢) المرجع السابق، ص (٢٣)

وقول الشعبية : (١)

ضبحوا لنا الكرامة وصبحنا فرحانين

ضربوا دنقرن جونا العيال مارقين

قول بلتنا بت اللحوية : (٢)

فوق شتم النحاس والدنقر أجقم

يكفوك في اللحم لامن تخود في الدم

وقول علي ود سعد النافعابي : (٣)

دنقرنا في العريان خبط

وقلبنا من الخوف ثبت

أما الشواهد الفصيحة فهي : (٤)

قول سعيد بن العاص القرشي :

تسدُّ شُعاعُ الشَّمسِ شرقاً وغرباً إذا ما استمدت في السَّهولِ مدودها

وقد ظلت عقبانها حيث وجَّهت بعقبانِ طيرٍ في السَّماءِ جُنودها

تظلمهم فوق الرؤوسِ كأنها سحاب و(أصوات الطبولِ) رُعودها

فتعطي لعين الشمس في الجوّ فرجة كمثّل نقاب العين ليس تزيدها

وصف الشاعر جو المعركة وصفا دقيقا فالجيوش من كثرتها كأنها السهول الممتدة والسماء ممتلئة بالطيور الجارحة التي تنتظر الجثث المتساقطة في أعقاب المعركة الطيور سحب كثيفة ، وأصوات الطبول رعود داوية ولم يغفل ذكر الشمس فهي عين متوارية خلف النقاب .

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ،تأريخ العبدلاب ،ص (١٤٤)

(٢) المرجع السابق،ص (١٤٤)

(٣) محمد عبد الرحيم ،نفثات اليراع ،ص (٢٣)

(٤) ابن الكتاني،الشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب ،التشبيهات في أشعار أهل الاندلس،تحقيق الدكتور

إحسان عباس دار الثقافة بيروت، لبنان ،ص (٢١٧)

وهذا معروف الرصافي الشاعر الحديث بذكر الطبل قائلاً: (١)
وفي الحيّ مزمار لمشجىٍ نعيّره غدا الطبل في دردايه يتقعّقُ
فجئت وجوف الطبل يرغو وحوله شباب وولدان عليه تجمعوا
لقد وقفوا والطبل يهتز صوته فتهتز بالأبدان سوق وكرعُ
ترى ميعاة الاطراب والطبل هادر تفيض وفي أسماعهم تتميعُ
فقد كانت الأفراح تفتح بابها لمن كان حول الطبل والطبل يقرعُ
ويمكن القول ان هذا الطبل ليس المقصود به طبل الحرب وإنما طبل غناء لانه ذكر
المزمار وذكر الشباب والولدان كما أنه ذكر اهتزاز الأبدان .

(١) ديوان معروف الرصافي، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٠
ص (١٢٩)

المبحث الثاني

وصف الطبيعة

قد يعتقد بعض الباحثين أن وصف الطبيعة في الشعر العربي امتداد لتأثر هذا الشعر بالتيار الرومانسي ولكن هذا القول ليس صائباً تماماً لأن الرومانسية (حالة) وليست مرتبطة بتيار محدد والشاعر عندما يصف ظاهرة ما من الظواهر الطبيعية فهو يصف ما يختلج في دواخله من مشاعر مختلفة، وما الشعر إلا انبثاق نفس الشاعر إلى الآخرين .

وصف الجاهليون الظواهر الطبيعية التي عايشوها مثل البرق والمطر وكل ما يتعلق بها كما أنهم وصفوا الصحراء والليل والظواهر الكونية والنجوم . أما المحدثون والذين عاشوا في المدن ورقت طباعهم فإنهم بالإضافة إلى ماسبق قد وصفوا الحقائق والبساتين والزهور والنسيم واستحدثوا صوراً لم يعرفها الذين سبقوهم .

وللظواهر الطبيعية دلالات في الشعر فالبرق هو تعبير عن الشوق والحنين إلى الأحباب بما يثيره من شجون والريح أيضاً تذكر بالأحباب وتستعمل في حمل الأشواق والرسائل إليهم .

واشتهر بوصف الطبيعة عندنا شعراء البطانة لاكتمال عناصر الجمال في بيئتهم فقد عرفت البطانة بسحرها في فصل الخريف حيث تخضر الأرض وتكتسي المروج بالأعشاب وأكثر وصفهم ينصب على الخريف بدءاً بتجمع السحب وإيماض البروق وهبوب النسائم المشبعة برائحة الأرض والأشجار .

بينما وصف شعراء أم درمان أو الوسط بصفة عامة النيل لارتباط حياتهم به وسكنهم على ضفافه كما أنهم وصفوا الزهور والحقائق الغناء شأنهم في ذلك شأن المحدثين . الذين تمدنوا وعاشوا في بغداد ودمشق وغيرها من المدن العربية القديمة .

العنصر الأول :

وصف البرق

(١) قال الحسن ود سالم الفادني* يصف البرق : (١)

براق اليمن في القبة أومض وأخبا

ذكرني القبيل أهل الوصال والصحة

ويقول امرؤ القيس في وصفه للبرق: (٢)

أحار ترى برقاً أريك وميضه

كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهب

أهان السليط في الدبال المقتل

يحكي امرؤ القيس قصة البرق فهو يتلألاً متألقاً من بين السحاب المتراكم في اضاءات تشبه تحريك اليدين لمرأة أو مصابيح راهب أجزل الزيت فكانت مصابيح وقادة متلألئة .

ويقول الحسن ود سالم أيضاً : (٣)

الليلة البروق شالن وليل

ذهبن حياي التام خلنو قليل

يشكو الشاعر ويذكر أرقه لرؤية البرق وأنه قد تعب من ذكر الأحبة وفقد حياؤه ،ربما لأنه بكى لبعده عنهم.

بينما يقول المرقش الأصغر في شكواه من البرق : (٤)

أرقني الليل برق ناصب

ولم يعني على ذاك حميم

شكى البرق لأنه أتعبه لتذكيره إياه بالأحبة وهو وحيد ليس معه من يؤانس

(١) الشيخ عبد الله عبد القادر ، شعراء الفادنية ،شعبة أبحاث السودان ،كلية الآداب ،جامعة الخرطوم، ص (٢٢)

*من شعراء الفادنية المعروفين من منطقة أبودليق

(٢) ديوان امرؤ القيس ، ص (٢٤)

(٣) شعراء الفادنية ص (٥٥)

(٤) المفضليات ، ص (٢٤٨)

*المرقش لقبه واسمه ربيعة بن سفيان وهو ابن أخ المرقش الأكبر، أحد عشاق العرب وفرسانهم

المعروفين.

يقول ود سميري* في وصف البرق : (١)
الليلة برق القبله فجّ وغمض
علب في سراجا يوجّ ما همّد
برق القبله هو البرق الذي من ناحية القبله وهو غالباً برق صادق يعقبه مطر، شبه
اشتعال أشواقه لرؤية البرق باشتعال الفتيل .

ويقول خفاف بن ندبة* : (٢)
فدع ذا ولكن هل ترى ضوء بارق
يصف تألق البرق وسط السحاب .
يقول ود الشهلمة : (٣)

برقك قلع السارية* أم سحابا صاح
وتعالك* كتم مني الهوى اللّاح
يصف أشواقه التي حركها لمع البروق وتجمع السحب .
ويقول على بن الجهم (٤)
وسارية تترتأ أرضاً تجودها
شغلت بها عيناً قليلاً هجودها
نلاحظ استخدام كلمة السارية بالمعنى نفسه .
تقول شعبة المرغومابية : (٥)

الليلة على القبله بدا الولويل
العيش في الوقا والنار طفاها السيّل
تقول إن البرق من جهة القبله ، يعني أن احتمال هطول المطر كبير والبرق يشبه في
حركته ولوله النساء . وقد احتاطوا بأن رفعوا الذرة (العيش) عن الأرض وجعلوا له
(وقاية) حتى لا يتلف تحت تأثير السيول .

شعراء الفادنية، ص (٧٦) (١)
هو محمد سميري الفادني ولد في أواخر المهدية وتوفي في عام ١٩٥٤ عمل في شبابه بأريتريا والحبشة وهو
شاعر غزلي عاش حياة حافلة بالترحال والسفر في بلاد الشكرية .

(٢) الأصمعيات، ص (٢٥)
*خفاف بضم الخاء المعجمة، ندبة هي أمه، شاعر مجيد مشهور ادرك الإسلام. كان أسود اللون.

(٣) عبد القادر عوض الكريم وعمر كيوش، وقفات مع شعراء البطانة، ص (٤)

،*السارية: السحابة *التعال: السحب الممطرة

(٤) المرجع السابق، ص (١٥٩)

ويقول النظار الفقعسي في وصف البرق: (١)
يا صاحبيّ اعيناني بطرفكما أنيّ تشيمان برّق العارض الساري

يريد من صاحبيه أن يعيناه بنظرهما ليروا أين سيهطل المطر.

العنصر الثاني :

وصف السحاب والرعد :

ود سميري يصف البرق والسحاب فيقول : (٢)

الليلة القنب أمست سحايبو يزومن

وكرن الوليل بي الحيل وابن لا ينومن

استعمل الشاعر كلمة الوليل كما في استخدام شعبة السابق (والزومان) هو الصوت المكتوم كناية عن بدايات صوت الرعد قبل انطلاقته الأخيرة .

ابن الأعرابي يصف البرق والسحاب : (٣)

وساقت سحاباً كمثّل الجبال إذا البرق أومض فيه أنارا

إذا الرعد ججلّ في جانبيه فروى النبات وأروى الصحارى

والسحاب هنا يكتنفه برق وصوت الرعد مجلجل

تقول أميرة شعراء البطانة (شعبة المرغومابية) في وصف السحاب : (٤)

إدندح سحاب شعبة أب قماما غرّ

تسعة أيام دماس ليلو ونهارو يكرّ

شبّهت الشاعرة السحاب بالجرار البيضاء فالقمقم هو (الجرة) واستمر هطول الأمطار تسعة أيام والسحاب لايزال أسود . وللأصوات دلالة ترتبط بقوة المعنى (إدندح)، (يكر) وهي دلالة تشبه الموسيقى التصويرية في السينما .

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٧)

(٢) شعراء الفادنية، ص (٧٢)

القنب: اسم مكان بالعتّمور

(٣) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٥)

(٤) عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش، وقفات مع شعراء البطانة، ص (١٥٩)

يقول ابن نفطويه في وصف البرق والرعد والريح : (١)

فالرعدُ صهصلقٌ والريحُ منخرقٌ والبرقُ مؤتلقٌ والماءُ منبعقٌ

إذا نظرنا إلى الكلمات (صهصلق) وتعني الصوت القوي، (منخرق) وهي من الاختراق (مؤتلق) من البريق والألق، (منبعق) انبعاق الماء يعني تدفقه، تمثل دلالة على قوة المعنى .

ولشغبة أيضاً في وصف السحاب : (٢)

الليلة على السافل بشوف لي سحاب

ويا نوح من فريقاً ما فيهو شدة وركاب

السافل هو الاتجاه الشمالي والبطانة تقع إلى الشمال من سنار، ذكرت أهلها في البطانة وكانت قد أخذت أسيرة عند ملوك سنار . وهي تستوحش المكان وتستغيث بنبي الله نوح كما هو الحال عند كثير من النساء فهن يقلن عند الاستغراب أو الاستنكار (يا النبي نوح) .

ويقول ابن الأعرابي في وصف السحاب : (٣)

فأقبل يزحف زحفاً الكسير سباق الرعاء البطاء العشارا

يبدو أن ابن الأعرابي قد تذكر دياره والتي يسوق فيها الرعاة إبلهم البطيئة من حمل في بطونها أو كأنها كسير لا يقوى على السير .

ودسميري يصف المزن: (٤)

براق الهتون الهجعة لعلع مزنو

هما فوقا من الأكتاف مبوبحة أذنو

(لعلع) ، (مبوبح) دلالة أصوات .

مبوبحة كناية عن طول العنق للمحبوبة التي دعا لها بالسقيا وهي كوصف العرب للفتاة بعيدة مهوى القرط) كناية عن طول العنق .

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٩)

(٢) عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش وقفات مع شعراء البطانة، ص(٦٩)

(٣) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٩)

(٤) شعراء الفادنية، ص (٧٠)

ويقول ابن نفطويه يصف المزن : (١)

كأنها في جبين المزن إذ لمعت سلاسل التبر لا تبدو لها حلقُ

طه ود الشلهمة يصف المطر والرعد : (٢)

رعدك رزّ في المطر الثقيلة وقاحُ

وباردك لاقى شمس الغيبة باكر زاحُ

ابن نفطويه يصف الغيم : (٣)

والغيمُ كالثوب في الآفاق منتشر من فوقه طبقٌ من تحته طبقٌ

العنصر الثالث :

وصف المطر والمياه

اولاً : المطر

يقول عثمان ود جماع : (٤)

اتوحمّ سماك واتغطى بالدهراب*

براقك نقض مزررا تقول عسّاب*

صبيبك جابلو سيلا زرد الكراب*

مدبت للضهر نعمك من الشبشاب

الوحم هو بدايات الحمل وهو إشارة وبشرى للقادم الجديد، وكأنه أراد القول إن البشرى بقدوم المطر جاءت وهو يصف حال المطر بعد هطوله وقد شكّل ماء المطر حزاماً حول مجموعات الشجر الصغيرة، وقد استمر هطول المطر حتى الظهيرة .

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص، (٩)

(٢) عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش وقفات مع شعراء البطانة، ص (٤)

(٣) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٩)

(٤) ديوان عثمان ود جماع البطحاني، جمع واعداد فرح عيسى، ص (٣٨)

هو عثمان محمد علي حسين جماع من قبيلة البطاحين بمنطقة ابو دليق ولد في عام ١٩٢٦، عمل ردهاً من

الزمن بالهميته، شاعر مجيد مطبوع له ديوان شعر مطبوع

* الدهراب :السحاب ،* عسّاب :الدخان ،* كراب:مجموعات الشجر الصغيرة ،*مدبت :مستمر في الهطول،

*الشبشاب :صوت المطر

ويقول امرؤ القيس : (١)
وأضحى يسبحُ الماء عن كل فيقةٍ يكبُّ على الأذقان دَوْحَ الكنهيلِ
ومرَّ على القَتان من نفيانهِ فأنزل منه العصم كلَّ منزلِ

شبه الشاعر سيلان الماء من أعالي الجبال كأنه أغصان أشجار الكنهيل . والماء قد استقر في قمة الجبل كأنه بحيرة ، تتشابه الصورتان في استقرار الماء .

يقول طه ود الشلهمة : (٢)

اتفقَّ سماك نازل صبيبو متَّوعٍ

شفاقك شبع في المويه لامن توعٍ

الضغط العالي يؤدي إلى الانفجار وهذا ما حدث للسحاب فهو قد انفجر بالمياه وشبعت شقوق الأرض حتى لفظت ما فاض منها .

يقول أبو ذؤيب الهذلي * : (٣)

واهٍ فاتجمُ* برهةً لا يُقلعُ

بقرارِ قيعانٍ سقاها وإبل

وبأى حين ملأوه* تتقطعُ

حتى إذا جَزرتْ* مياهُ رُزونةٍ*

يقول الشاعر: هذه أمطار قليلة استقر ماؤها قليلاً ثم تلاشت وهو يقول إنه مهما استقرت المياه في أعالي الجبال فلا بد لها من وقت تتلاشى فيه .

يقول عبد الله محمد حسب الله الشريقاوي : (٤)

الضَّعن اب شِروفاً غادي ختَّ مسایلُ

عَتَمَ وصبَّ فوق بلد أم نفايل راسي

الليل كَلَّو يرزم وبكرة قحَّ نحاسي

يقول الشاعر هطلت الأمطار بغزارة حتى أن المنخفضات قد أبتوت في مستوى الماء مع المرتفعات وهي أمطار استمرت طوال الليل وشبه صوت الرعد بصوت الطبول العالية (النحاس) .

(١) ديوان امرؤ القيس، ص(٢٤)

(٢) محمد الفاتح أبو عاقلة، من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص(١٧٠)

(٣) المفضليات، ص(٤٢٣)

* اسمه خويلد بن خالد، أدرك الإسلام وحسن إسلامه

* اثجم: اقام وثبت ، * جزرت :نقصت وغارت ،* رزونة :أعلى الجبل ،* الملاوة :الزمن

(٤) محمد الفاتح أبو عاقلة من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص(١٨٤)

وله أيضاً : (١)

الضَّعْنُ أب شروفا غادي ختّ مسایلُ

وقرقرُ فوقن الضُّهري السحابو قلايلُ

ولابن الأعرابي : (٢)

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منه إنهمارا

تبسمت الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا

الظواهر الطبيعية عند هولاء الشعراء كائن حي (إنسان) ، عند حسب الله الشريقاوي
المطر (يضحك) في إشارة للأصوات التي يصدرها عند هطوله ومطر الظهيرة
(الضهري) غالبا ما يكون غزيراً .

والأرض عند ابن الأعرابي إنسان يبتسم والسماء أيضاً إنسان يبكي، وأقول إنسان لأن
الضحك والبكاء خاصيتان من خواص الإنسان .

ثانياً : وصف السيول :

يقول طه ود الشلهمة : (٣)

نار وشكّ خلاص وأصبح عريسك بأش

وسيلك بي علاويك والمرانع كاش

يقول الماء كثير وهو سريع الجريان والأرض عروس اكتملت زينتها تنتظر عريسها
الذي فرح وابتهج لرؤيتها والعريس لا بد أنه (الفلاح) الذي انتظر الخريف ليزرع
الأرض ويفلحها .

وقول لبيد : (٤)

وجلا السيولُ عن الطلولِ كأنها زُبُرٌ تُجدُّ مئونها أفلامها

(١) محمد الفاتح أبو عاقلة ، من خصائص الشعر الشعبي السوداني ، ص (١٨٤)

(٢) أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، الجزء الثاني ، ص (٦)

(٣) محمد الفاتح أبو عاقلة ، من خصائص الشعر الشعبي السوداني ، ص (١٦٨)

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ص (٢٩٩)

يقول: أصبحت الأرض مجلوه ونظيفة كأنها صحيفة فارغة تنتظر أن تجري الأقلام بالكتابة على ظهرها .
هناك اتفاق بينهما على أن الأمطار الغزيرة تنظف الأرض .سوى أن ود الشلهمة يريد نظافة الأرض للزرع ولبيد لا يريد غير المنظر الحسن.
قول طه ود الشلهمة : (١)

سيلك دَرْدَقُ الشَّجَرِ الْفُغُورِ هَشَائِمُ
جَاب الدَّابِي فَوْقَ زَبْدِو المَطْفَحِ عَائِمُ

يقول: جاء السيل من المرتفعات مكتسحا أمامه كل شيء ابتداءً من الأشجار الضخمة حتى الثعابين الضخمة فهي تطفو على سطح الماء.
وهذا التشبيه ذكره شاعر آخر : (٢)

من سيولٍ يمجها الوديانِ وتلوج يذيبها العصران
ذو استواءٍ إذا جرى والتواءٍ هل تأملت مزحف الأفعوان

الصورة فيها تشبيه لجريان السيل بزحف الثعبان وهناك تقارب في صورة السيل بين ود الشلهمة والشاعر العربي .

وصورة الأشجار التي تحملها السيول ذكرها امرؤ القيس في قوله : (٣)

فأضحى يسح الماء حول كتيفه يكبعلى الأذقان دوح الكنهبل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا اطماء إلا مشيد بجندل

ثالثاً : وصف الأنهار :

يقول إبراهيم العبادي في وصف النيل : (٤)

شوف النهر مار بخشوع هجسان
زي مرّ المنام على مقلة النعسان

هذه صورة عقلية في تصور المحسوس بشيء غير محسوس، شبه هدوء الماء كأنه منام مر على عيون إنسان نعسان .

والسري الرفاء يصف دجلة قائلاً : (٥)

أحذركم امواج دجلة إذ غدت مصدلة بالمدّ امواج مائها

هناك اختلاف بين هدوء النيل وصخب دجلة الذي حذر السري الرفاء منه

(١) محمد الفاتح أبو عاقلة ،من خصائص الشعر الشعبي السوداني ،ص(١٦٩)

(٢) أبو هلال العسكري ،ديوان المعاني،الجزء الثاني ،ص(١٠)

(٣) ديوان امرئ القيس ،ص(٢٤)

(٤) صلاح الدين المليك ،صور من الأدب العربي ص (١٥٥)

(٥) أبو هلال العسكري ،ديوان المعاني ،الجزء الثاني ،ص(١٢)

وصف صلاح أحمد إبراهيم النيل فقال : (١)
تلقى فيها النيل بيلمع في الظلام

زي سيف مجوهر بالنجوم من غير نظام

وصف النيل بالسيف وانعكاس النجوم عليه كأنها جواهر رصعت هذا السيف
وقول أبو فراس الحمداني : (٢)

والماء يفصل بين زهرِ

الروض في الشَّطِّين فصلا

كبساط وشى جردت

أيدي القيون عليه نصلا

الماء كالبساط الموشى وقد حاكت الجواري أطرافه ، كأن سكيناً حاداً قد عملت عليه.

العنصر الرابع :

وصف الهواء

أولاً : النسيم

يقول عثمان ود جماع البطحاني : (٣)

يا أم هَبَجَ المثل نسّام عدن هَبّابك

زرّقن فوق مهاويك يا المرية سحابك

(أم هَبَجَ) هو اسم للبطانة وشبه نسيمها بنسيم جنات عدن ،(نسّام) هي صيغة جمع محلية للنسيم (والهَبّاب) أيضاً صيغة جمع (للهبوب) وهذا النسيم يسبق هطول المطر لأن تجمع السحب ينذر بهطول الأمطار .
ويقول ابن المعتز : (٤)

ونسيمٌ يبشّر الأرضَ بالقطرِ

كذيل الغلالة المبلول

ووجوه البلاد تنتظر الغيث

أنتظار المحب ردّ الرسول

هذا النسيم أيضاً يبشّر بهطول الأمطار، والبلاد في شوق للمطر كأنها محب بعث إلى من يحب برسول وهو ينتظر الرد .

(١) صلاح الدين المليك ،صور من الأدب العربي ،ص(١٥٥)

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني ،رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه،دار صادر ،بيروت ،١٩٦١،ص (٢٣٩)

(٣) ديوان عثمان ود جماع البطحاني،ص(٣٨)

(٤) أبو هلال العسكري ،ديوان المعاني ،ص،الجزء الثاني (٤٦)

قول طه عبيد الله البطحاني * : (١)

النَّسَامُ سَرَقَ بَعْدَ الْهَجُوعِ وَالنَّوْمِ

وَجَابَلُو حَلَاةَ عُطُورٍ مَا بِشُمِّهَا الْمَزْكُومِ

بعد أن انتصف الليل هب النسيم حاملاً معه روائح طيبة ومنعشة.

ويقول ابن الرومي واصفاً مسرى النسيم : (٢)

بنسيمٍ كأنَّ مسراهُ في الأرواحِ . مسرى الأرواحِ في الأجسادِ .

وقول عثمان ودجماع البطحاني : (٣)

بعد قابورة الصيف جاب هميريب نسامك

فوقك رقّ أبوفريوة ونفض عثامك

والهميريب تسمية محلية للنسيم

وقول ابن الرومي في النسيم: (٤)

يا حبذا ليل ايلول إذ بردت فيه مضاجعنا والريحُ سجواءُ

وشهر (ايلول) وهو الاسم السرياني لشهر (سبتمبر) فيه يبرد الطقس بعد سخونة الصيف .

ثانياً :الرياح

قول محمد الحسن ود سالم الفادني: (٥)

سير يا ريح وأقري السلام لمن أهوى

وقول ليهو أنا هانما

يرسل بأشواقه وتحاياهم إلى من يحب مع الريح ويطلب منها أن تبلغه حبه .

(١) محمد الفاتح أبو عاقلة ، من خصائص الشعر الشعبي السوداني ، ص (١٣٢)
* طه عبيد الله من البطاحين وهو من منطقة أربجي وله قصيدة معروفة بإسم السبحة وقد مزج في شعره بين القصائد الصوفية بالمساذير ويمتاز بصوت عذب في الإنشاد توفي قبل بضع سنين وتسنن أسرته بأربجي .

(٢) ديوان ابن الرومي ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، المجلد الثاني ، دار الهلال ص (٥٠٨)

(٣) ديوان عثمان ود جماع البطحاني، ص، (٤٢)

(٤) ديوان ابن الرومي ، المجلد الأول، ص (٢٩)

(٥) شعراء الفادنية ، ص (٣٣)

وقول مجنون ليلي : (١)

فإن الصبا ريح إذا تنسمت على نفس مهموم تجلت همومه

ويا ريح مري بالديار فخبري أباقية هي أم تعفت رسومها

والريح هنا رسول يحمل أشواق المحبين ورسائلهم إلى بعضهم بعضاً . فهي (ساعي بريد) .

وللرياح أسماء تعرف بها، لدينا رياح محلية هي رياح الهبائي ذكرها إسماعيل

حسن في قوله : (٢)

قليبي رهيف وما بقدر

على الهبائي في عز الصيف

يقول: إن المحب رقيق المشاعر لا يحتمل الألم حتي أنه لا يحتمل مرور رياح الهبائي الرقيقة على جسده و الهبائي تكثر في الشرق.

قول ابن الأعرابي يذكر رياح الجنوب في قوله : (٣)

تبسمت الريح ریح الجنوب فهاجت هوى غالياً وأدكارا

والريح تستطيع الابتسام فهي مجسمة في شكل إنسان وأيضاً لها دلالة فهي تذكر بالأحباب وهي تشبة البرق في دلالتها في الشعر العربي . والشاهد هنا أن الريح لها مسمى (الهبائي) و (الجنوب)

العنصر الخامس :

وصف المناظر الطبيعية:

ود الشلهمه يصف الأرض بعد توقف هطول المطر ونمو الأعشاب: (٤)

اتكسى بالخضار وشك الكان عاري

واتحلن مناظرك يا الهواك متماري

(١) ابن الشجري ، هبة الله بن حمزة العلوي الحسني، الحماسة الشجرية ، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ١٩٧٠، ص (٥٨٠)

(٢) إسماعيل حسن ، ديوان ، ريحة التراب، مؤسسة اشراقة للنشر والاعلان والتوزيع ص (٧٦)

(٣) أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني، الجزء الثاني ، ص (٥)

(٤) محمد الفاتح أبو عاقلة ، من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص (١٦٨)

أبو هلال العسكري : (١)

والروض يزهوهُ عشبٌ أخضرٌ نصرُ والعشب يجلوهُ نورٌ أبيض يققُ

يصف الأرض بأنها مخضرة والأزهار المتفتحة والمناظر الجميلة تغري بقول الشعر
لذا نجد أن وصف المناظر الطبيعية كثير وشائع عند الشعراء .

يقول محمد بشير عتيق : (٢)

شفت القمر والنيل

وشجر الخميلة ظليل

والطقس هادئ عليل

وشبيهه بقول أبي هلال العسكري : (٣)

مرَّ بنا يهتَزُّ في خطرة

ما بين أغصان وأقمار

يديرُ في أنمله وردة

جاءت من المسك بأخبار

ودائماً ما يذكر الشعبيون النيل في شعرهم لارتباطه الوثيق بحياتهم فهم يسكنون على
ضفافه ويشربون منه ويزرعون بمائه .

والقمر يمثل عنصراً مهماً في الشعر الذي يصف الطبيعة .

إبراهيم العبادي يتحدث عن أصوات الحمام في قوله : (٤)

شوف نواحي الوادي الخديرة

والحمام بشجيك هديلا

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (١٠)

(٢) د.كامل إبراهيم ادريس، خواطر وذكريات أهل الفن بشمبات، دار عزة للنشر والتوزيع، ص (١٦٤)
محمد بشير عتيق ولد بحي ابو روف ١٩٠٩ كان والده معلم للغة العربية والقرآن، التحق بالمدرسة الأولية
بالدويم وبعدها عمل بالبرادة بمصلحة السكة الحديد وتقاعد في عام ١٩٦٩

(٣) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص (٢٢)

(٤) د.كامل إبراهيم ادريس، خواطر وذكريات أهل الفن بشمبات، ص (٢٥)

وهذا ما ذكره بعضهم في قوله يصف صوت الحمام الذي طربت له الزهور : (١)

طربَ الشقائقُ للحمامِ وقد شجا شجوا القيانَ فشققَ فضلَ ردائه

والشقائق هي شقائق النعمان وهي نوع من الزهور مشققة الأطراف وقد عزا الشاعر هذه الشقوق لشدة طرب هذه الزهور لصوت الحمام (حُسنُ تعليل)

العنصر السادس :

وصف الظواهر الكونية :

أولاً : النجوم

الثريا : (٢)

يقول ود شاوراني في مسدار النجوم * :

بي زنق الثريا الحر أزعج وضيق

وين النادي وأصفر وسيد وشاماً زنق

والثريا هي واحدة من عين الصيف * وفيها يشتد الصيف ولا يبرد الجو إلا عند

(سقوط الثريا) في العُرف السوداني في قولهم : (الثريا وقعت) .

وذكر بشر بن أبي خازم * الثريا فقال : (٣)

وعاندتُ الثريا بعد هدءٍ معاندةً لها العيوق*جار

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٢٥)

(٢) النيل عبد القادر أبو قرون، عبد الله حمد شاوراني، سلسلة جوائز السلمابي، العدد الثاني جامعة الخرطوم، شعبة أبحاث السودان، ١٩٧٢، ص (٥٤)

* والعين هي منازل القمر عددها ٢٨ منزلاً في السنة وعين الصيف سبع هي :

١/النطح ٢/البطين ٣/الثريا ٤/الدبران ٥/الهكعة ٦/الهنعة ٧/الذراع

(٣) المفضليات، ص (٣٤٠)

* بشر بن أبي خازم، شاعر فارس وجاهلي قديم شهد حرب أسد وطى

*العيوق:نجم في السماء ، *عاندت :سقطت

ويقول الطبيب ود مصطفى * المسلمي في مسدار العين : (١)
دخل زنق الثريا وطار عصارو مَعْلَج
وين نلقاهو جسماً في البقونه يتَلَج

ويقول ابن المعتز : (٢)
وأرى الثريا في السماء كأنها
شبة الثريا بامرأة جميلة في ثياب سوداء حداداً على عزيز لديها .
نلاحظ الآتي :

*استخدم الشعبيون الثريا باعتبارها زمناً محدداً وهو الزمن الذي يسبق دخول الخريف
وفيه يشتد الحر ربما اشتدت الأتربة أيضاً .
*بينما استخدم العرب الثريا باعتبارها نجم في السماء فقط
ثانياً : بنات نعش

ذكر حاتم حسن الدابي * بنات نعش فقال: (٣)
في الليل والجراح نتاحة
والناس ناموا بعد الهجعة
شفت (بنات نعش) في دمعي
يتهاذن بهيات طلعة
صورّ الدموع قد تمنّعت على النزول وحبست في المآقي كأنها بنات نعش في لمعانها .
وربما رأى بنات نعش حقيقة.

ذكر المتنبي بنات نعش فقال: (٤)
كأنّ بنات نعش في دُجَاهَا
خرائد سافرات في حداد

(١) محمد الفاتح أبو عاقلة، من خصائص الشعر للشعبي السوداني، ص (٨٠)
*الطبيب ود مصطفى من قبيلة المسلمية من قرية الحقينة محلية أم القرى بالجزيرة، عمل مزارع بمشروع
الرهد الزراعي، نظم العديد من الأشعار، كان يميل إلى الألغاز في شعره واستخدام لزوم ما لا يلزم، كان
أمياً لا يعرف القراءة والكتابة نظم مسدار العين وتوفي في عام ٢٠٠٣
*البقونة :شدة البرد
(٢) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٣٣٦)
(٣) نصر الدين سليمان على فضل الله، الشعر الشعبي عند الشايقية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة جامعة
النبيلين، كلية التجارة والدراسات الاقتصادية والاجتماعية سنة ٢٠٠٣ ص (٣١٥)
*من الشعراء الشباب، ولد بمنطقة القرير، ريفي مروي سنة ١٩٦١، خريج مدرسة كريمة الصناعية عمل
بالفاشر ومشروع القرير الزراعي له شعر غنائي كثير ومتداول .
(٤) ديوان المتنبي، المجلد الثاني، ص (٧٦)

وذكرها بشر بن أبي خازم فقال: (١)

أراقبُ في السماءِ بناتَ نعشٍ وقد دارتُ كما عطف الصوارُ*

أشترك ابن المعتز مع المتنبي في رسم صورة النجوم ، وصف ابن المعتز (الثريا) بينما وصف المتنبي (بنات نعش) كأنهن نساء في حالة حداد في إشارة إلى بياض النجوم مع شدة سواد الليل.

ثالثاً : الدبران :

نجم الدبران نجم أحمر يتلو الثريا ويمكن رؤيته بالعين المجردة .

الطيب ود مصطفى المسلمي في وصف الدبران : (٢)

الدبران بریقاتو القرن هضليمن

زادن ولهي بی ریح الدعاش ونسيم

يقول الشريف الرضي في وصفه : (٣)

نجوتُ من العماءِ وهي قريبة نجاة الثُّريا من يدِ الدبران

وقول أبي نواس أيضاً يصف الدبران: (٤)

ترى الكأسَ في كفِ المُدير كأنها على راحتيه كوكب الدبران

قول ود شاوراني في مسدار النجوم : (٥)

ريدها الجاب لها الدبران بريقاً لامع

ما فيقتني أفكر في معاش ومطامع

(١)المفضلات، ص (٣٤٠)

*الصوار:قطيع من البقر

(٢)محمد الفاتح أبو عاقلة، من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص (٨٠)

(٣)ديوان الشريف الرضي، شرح محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة السابعة، دار احياء الكتب العربية، سنة ١٩٤٩، ص (٥١٣)

(٤)ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت ص (٦٠١)

(٥)النيل عبد القادر أبو قرون ، ود شاوراني، ص (٥٥)

وقول ذي الرمة يصف الدبران : (١)

وردن اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماءٍ محلّق
يدفُ على آثارها دبرانها فلا هو مسبوقٌ ولا هو يلحقُ

استخدم الشعبيون أيضاً الدبران باعتباره (عينة) من عين الصيف كما وصف شعراء
الفصحى الدبران باعتباره نجم أحمر يتبع الثريا .

رابعاً : الكواكب

الحسن ود سالم يتحدث عن كوكب زحل: (٢)

مقامك يا زحل فيهو العقول جايه
ويحك يا نفسي للغنى ماك طائلة

وقولة أيضاً: (٣)

غابت محاسنك يا زحل

واصبح ربيعي وراك محل

ذكر الشعراء زحل ولكنهم لم يعنوا زحل حقيقة وإنما شبهوا المحبوب بزحل وذلك
لجماله وبعده في الوقت نفسه .

وفي هذا يقول أبو تمام في مدحه لعلي بن الجهم الشاعر المعروف : (٤)

له كبرياء المشتري وسعوده وسورة بهرام وظرف عطارد

لو كنت يوماً بالنجوم مصدقا لزعمت أنك أنت بكر عطارد

وأبو تمام ذكر الكواكب باعتبارها كواكب فقط لا غير، وقد زعمت العرب أن عطارد
يتولى الشعراء والكتّاب وأنه يلهمهم ما يكتبون.

(١)ديوان ذى الرمة ،شرح الامام أبي نصر الباهلى ،تقديم وتحقيق د.واضح عبد الصمد،دار الجيل
،بيروت،ص (٤٠١)

*اسمه غيلان بن عقبة بن مسعود الرُّمة بضم الراء وتشديدها وتعني قطعة الحبل البالية
*اعتسافا على غير هدى ،*ابن الماء :نوع من الطيور ،*يدف :يطير طيرانا خفيفا

(٢)شعراء الفادنية ،ص(٤٠)

(٣) المرجع السابق ،ص (٣٨)

(٤)ديوان أبي تمام ، ،ص(٤٠٣)

الأصفهاني يصف الزهرة : (١)
لاَحَ الهلالُ فويقَ مغربه
والزهرةُ الزهراء لم تغب

والكواكب المذكورة هي :
المريخ – الزهرة – المشتري – زحل

خامساً : الأبراج
القوس :

عبد الرحمن الرياح * يتحدث عن برج القوس: (٢)
والغريبة كمان قلبي صار ليك منزل
وأنت فوق (للقوس) والسماك الاعزل
علوت نجوم

الحوت :

ود شاوراني يتحدث عن برج الحوت : (٣)

(الحوت) انصرف فاضل الربيع والصيف

نحن غرام عشوقنا معاهو نعمل كيف

الجوزاء :

كعب بن سعد الغنوي* يصف الجوزاء: (٤)

وقد شالتُ الجُوزاءُ حتى كأنها فساطيطُ ركبٍ بالفلاةِ نزول

شبه الشاعر مجموعة نجوم الجوزاء كأنها خيمة ضربت في الفضاء وكثيرا ما يصف
العرب النجوم بأنها قبة السماء.

(١) أبو هلال العسكري ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٣٤١)
(٢) الروائع الحبيبة في أغاني الحقيبة، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، ص (٥٨)
* عبد الرحمن الرياح ولد بحي العرب بأم درمان في عام ١٩٢٢ لم يتعلم بالمدرسة ولكنه التحق بخلوة الفكي
أحمد عبد الرحيم، عمل بالتجارة مع والده بسوق أم درمان ثم انتقل إلى صناعة الحقائب النسائية توفي في
عام ١٩٩١

(٣) النيل عبد القادر أبو قرون، ود شاوراني، ص (٧٧)

(٤) الأصمعيات، ص (٧٥)

* كعب بن سعد الغنوي شاعر مجيد، من التابعين
* شالت: ارتفعت

وقال ابن المعتز أيضاً يصف الجوزاء (١)
 وقد هوى النجمُ والجوزاء تتبعه
 كمثّل رمح جرّه راح
 وقول أبو هلال العسكري يصف الجوزاء (٢)
 وكأنّ الجوزاء حين تهافت
 فارسٌ مالٌ عن سِراةِ حصانه
 شبه الشاعر مجموعة نجوم الجوزاء كأنها خيمة ضربت في الفضاء وقد درج العرب
 على وصف النجوم بقبة السماء.
 الهلال أو البدر
 تجدر الإشارة إلى أن الشعراء الشعبيين ذكروا الهلال أو البدر في تعبيرهم عن جمال
 من يحبون
 ويظهر ذلك في قول عبيد عبد الرحمن* يصف الهلال: (٣)
 في سمانا هلال لاح ضو دنيتنا
 ملأ العيون بجمال الشوفتو غايتنا
 وقوله أيضاً (٤)
 أفكر فيهو وأتأمل
 أراهو اتجلى واتجمل
 هلالى الهل واتكمل
 وقول سيد عبد العزيز* (٥)
 شفتك يوم تضوي تلالي
 قلت الليلة هل هلالى

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٣٣٧)
 (٢) المرجع السابق، ص (٣٣٧)
 (٣) علي محمود التريزي، قبسات من شعر الحقيية، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي ص (١١٨)
 * ولد عبيد عبد الرحمن بحي السوق الكبير بأمر درمان في عام ١٩٠٥، تلقى تعليمه بخلوة الفكي علي حيث
 تلقى تعليم القرآن ثم التحق بمدرسة الشيخ الطاهر الشبلي، عمل ترزيا في دكان والده بسوق أم درمان.
 (٤) محمد عبد الرحيم، نفثات اليراع ص (٥٨)
 (٥) مختارات من روائع الحقيية، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي ص (٩٥)
 * اسمه عبد المحسن عبد العزيز ولد بحي المسالمة بأمر درمان من أب مؤلد مصري وأم سودانية، لم ينل
 حظاً من التعليم المنظم ولكنه قضى فترة بالخلوة أتاحت له تعلم القراءة والكتابة وحفظ اليسير من كتاب الله
 عمل فترة بمصلحة النقل الميكانيكي ببحري

بينما يقول ابن المعتز : (١)

وكانَّ الهلالَ مرآةَ تبرٍّ تتجلي كلَّ ليلةٍ أصبعين

قول أبي هلال العسكري : (٢)

في هلال كأنه حيَّة الرمل صابت على البقاع مقيلا

وقول ابن المعتز : (٣)

إذا الهلالُ فارقتُه ليلته بدأ لمن يُبصره ويتبعه

كهامة الأسود شابت هامته

الواضح أن هؤلاء الشعراء وصفوا الهلال من حيث هو ولم يقصدوا معنى آخر

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الجزء الثاني، ص (٣٤٠)

(٢) المرجع السابق، ص (٣٤١)

(٣) المرجع السابق، ص (٣٤٠)

المبحث الثالث

وصف الصيد

ونعني بالصيد هنا الوحش الذي يصاد من ظباء ونحوها وهو في عاميتنا الطريدة أو الصيدة وتجمع على صيد (١) وهي من الفصيح في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) (٢)

وأشهر من وصف الصيد في عاميتنا هو محمد أحمد عوض الكريم أبو سن (الحار دلو) * في مسدار الصيد وهو قصيدة طويلة تبلغ نحو أربعين رباعية قد نظمت على نسق الدوبيت .

وإذا كان الحار دلو قد أفرد مسداراً بذاته لوصف الصيد وهو موضوع هذا الجزء من دراستنا فهو أيضاً قد ذكر الصيد في مسادير مختلفة كما أن القارئ لشعر امرئ القيس يجد أنه قد بث أبياتاً متفرقة في أشعاره عن وصف الصيد .

وصف الحار دلو رحلة صيد عبر وهاد البطانة وأبتدر رحلته بوصف الطقس قائلاً :

(٣)

الشم خوخت بردن ليالي الحرّة

والبراق برق من منا جاب القرّة

شوف عيني الصقير بجناحو كفت الفرّة

تلقاها أم خدود الليلة مرقت بره

رَحِمَ كلمة (الشمس) ونطقها (الشم) وهذا شائع في اللهجة العامية السودانية ويعني أن الشمس قد إنكسرت حدثها وبردت أيام الحر، وللبرق كما ذكرنا آنفا دلالة في الشعر وهي ذكر الأحبة والاشتياق إليهم وقد تحققت هذه الدلالة بذكره (أم خدود) والتي خرجت من خدرها لتنعم بالطقس وربما أراد بأم خدود الصيدة .

(١) د. إبراهيم القرشي، بين أميرين شاعرين امرئ القيس والحار دلو قصة التشابه المذهل، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص (٢١٦)

(٢) سورة المائدة، الآية (٩٥)

(٣) ديوان الحار دلو، شرح وتحقيق إبراهيم الحار دلو، الدار السودانية للكتب، ص (١١)

* خوخت: بردت شدتها، * القرّة: البرد، الفرّة: نوع من الطيور، * من منا: من هنا

ثم أنتقل إلى وصف الرحلة، وقد أختزلت مشاهد الرحلة في أربعة عناصر هي
العنصر الأول :

وصف ألوان الطباء وهيئتها وتحركاتها :

أول ما يلفت النظر إلى الطباء ألوانها وتحركاتها ويصف ذلك قائلاً: (١)

صَفْرًا دِرْعَتَيْنِ تَدُلِّي لَا لِبَهَالٍ

وَبُيُضْتُ شَاشٍ قَرَابِيَيْنِ تَرِيعُ الْبَالُ

هذه الطباء صفراء ولكن ليس صفاراً خالص فهو مشوب بألوان أخرى تشبه الدرع الذي يلبس على الملابس كما أن بياضها في العجيزة ناصع كالشاش وهو قماش قطني أبيض وشبه اللون الأبيض في العجيزة بامرأة ترتدي قرقاب* .

أو قوله : (٢)

لَوْنٍ مِنْ بَعِيدٍ مِثْلُ الْبَلْبِيلِيِّ نَضَافٌ

حُرْدٌ وَمَعَصْرَاتٌ مِنْ شَبَّتِ الْاِكْتَاْفُ

أو قوله : (٣)

اِنْقَلَبْنَ مِنَ الْقَوْرِ اِلَ مَقَامُو ثَمَامُ

لَوْنٍ بِشَبَّةِ الْبَقْتِ الْجَدِيدِ وَالْخَامُ

أكد على بياض لونها الذي يشبه الطيور البيضاء الناصعة ،وهي أيضاً تشبه القماش الأبيض .

الواضح أن هذه القطعان مختلفة الألوان والأشكال مما يعني أنها لأكثر من نوع من الحيوانات .

(١) ديوان الحارذلو،ص(١٥)

*درعتن :نوع من الدروع يلبس فوق الملابس،*القرقاب:ماترديه المرأة داخل بيتها

(٢) ديوان الحارذلو ،ص(٢٦)

*البلبيلي :طائر أبيض اللون

(٣) ديوان الحارذلو ،ص (٣٢)

*البفتة: نوع من القماش

وقوله: (١)

فِيَوْمًا عَلَى سِرْبٍ نَقِيًّا جُلُودُهُ وَيَوْمًا عَلَى بَيْدَانَةٍ أُمِّ تَوَلَّبِ

فِيِينَا نِعَاجٌ يَرْتَعِينَ خَمِيلَةً كَمْشَى الْعَذَارَى فِي الْمَلَأِ الْمَهْدَبِ

أو قوله في قصيدة أخرى من الديوان (٢)

ذُعُرْتُ لَهَا سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهُ وَأُكْرِعُهُ وَشْيَ الْبُرُودِ مِنَ الْخَالِ

أو قوله: (٣)

فَعَنَ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي الْمَلَأِ الْمَذِيلِ

يبدو أن قوله نقيًّا جلوده في الموضعين يعنى أبيض الجلود إلا إنه يوجد سواد في قوائمها واتفق على أن البياض في معظم الجلد .

(وأكرعه وشي البرود من الخال) أيضاً اختلاف لون القوائم وكأنها برود يمانية ذات ألوان مختلفة وهذا شبيهه بقول الحارث بن عزة صفراً درعتن تدلى للبهال أراد اختلاف الصفرة والسواد والبياض في القوائم .

والملاء المهذب والملاء المذيل هي مايشبهه (القرقيب) التي ذكرها الحارث بن عزة وللطبية ملاءة أو قرقاب في الحقيقة ولكن التشبيه جاء لتوصيل الصورة والتي يختلف فيها لون القرقاب عن باقي الجسد وذلك في الجزء السفلي من المرأة والجزء السفلي من الطبية .

(١)ديوان امرئ القيس ،ص ،(٤٩)

*بيدانة :إتان في البيد لا تقترب من الناس،*تولب:الولد الصغير،*المهدب :صارت له اهداب،نعاج :اناث بقر الوحش

(٢)المرجع السابق ،ص (٣٧)

(٣) المرجع السابق، ص (٢٢)

ونقاء الجلود دليل على امتلاء الجسد وهذا ما أشار إليه الحارذلو في قوله: (١)

مِنْ بَيْلَا الصَّبَاحِ اسْرَبِقْنَ هُمَالُ

وَالدُّوفُ فَوْقَ حَقَائِبِهِنَّ كَثَرَتْ جَمَالُ

كثرة اللحم على أعجاز هذه الطباء زادها جمالاً على جمال .

ويقول امرؤ القيس: (٢)

وَيَأْكُلْنَ مِنْ قَوِّ لُعَاعَا وَرَبَّةَ

يُطِيرُ عِفَاءً مِنْ نَسِيلِ كَأَنَّهُ

سُدُوسٌ أَطَارَتْهُ الرِّيحُ وَخُوصُ

وهذه الطباء رعت النباتات المختلفة وسمنت وطار عنها الشعر القديم ونبت بعده شعر جديد .

وهذه الوحوش (الطبّاء) وصفها بالضمور على الرغم من السمن الذي ذكره وهي خلقت عالية الأكفال وممتلئة ولكنها خمصانة البطون وضامرة وهو من محاسن الطبّاء والحارذلو خشي أن يعتقد أن ضمورها من قلة الكلا لذلك بادر إلى توضيح ذلك في قوله: (٣)

تَيْسِنْ دَوْرَ الْوَادِي الْوَرَى الْقُلْعَاتُ

ضُمِّرَ خُلُقُهُ مَوْ مِنْ قِلِّ مَعَاشٍ ضَايَعَاتُ

(١) ديوان الحارذلو، ص (١٧)

*بَيْلَا: جبل معروف، *اسْرَبِقْنَ: سرن الواحدة تلو الاخرى، *همال: ليس لها قائد

*الدوف: اللحم، *حقائبهن: اعجازهن

(٢) ديوان امرؤ القيس، ص (١٨١)

*قَوِّ: اسم موضع، *لُعَاعَا: نوع من النبات، *رَبَّة: نوع من النبات، *نَمِيص: صغير طلع ورقه، *تَجْبِر: كثر

نباته، *عِفَاء: الريش الصغير، *سُدُوس: حرير، *خُوص: رداء

(٣) ديوان الحارذلو، ص (٣٨)

ويعني أنها ضامرة البطون جمالاً واكتمال خلقة ولسن جائعات وهذا المعنى وارد أيضاً عند امرئ القيس في قوله يصف الثور الوحشي : (٢)

طواه اضْطَمار الشَّدَّ والبطنُ شازب معالي على المتَّين فهو خَميصُ

هذا الثور الوحشي ضامر البطن وهو مرتفع الظهر وهذا من الصفات الجيدة لأن ذلك يساعده على الجري .

ويتفق الشاعران في وصف الظباء بالهور وهو سواد وبياض العين خلقه .

يقول الحار دلو : (٣)

في عاقِبِ نِهارِ سوْنٍ لهنَّ مُرحالُ

وعينيهنَّ خلقهنَّ زُرُقُ بلا كحالُ

رحلت هذه الظباء في آخر النهار وهي ظباء سوداء العيون، والزرقة عندنا هي السواد ويقول في مقطع آخر . (٤)

الحَيِّ في الوجودُ والقالوا قبلنا ماتُ

كلَّوْ بَلاهي بى لَهْجِ الطَريفاتُ

شِن ما قُلنا في دُغس العيون ساوِياتُ

قبلي (ود أب شوارب) جاب لهن كَلَماتُ

يقول إن الأحياء من كانوا قبلهم كلهم يلهج بمدح الظباء بسواد العيون (الدغس – الدغساء) وتعني السواد .

(١) ديوان امرئ القيس، ص (١٨٠)

*شاذب: ضامر، *الاضطمار: الضمر، الشد: العدو *خميص: ضامر البطن
*معالي: مرفوع

(٢) ديوان الحار دلو، ص (٢٢)

(٣) المرجع السابق، ص (٤١)

*بلاهي: يلهج، *الطريفات: الظباء

وذكر الحارذلو (ود أب شوارب) بوصفه سابق له وكذلك فعل امرؤ القيس عندما ذكر (ابن خزام) في قوله : (١)

عُوجًا عَلَى الطَّلِّ المحِيلُ لَعْنًا

نُبْكِي الدَّيَّارَ كَمَا بَكَى (ابنُ خِذَام)

وابن خذام هذا قد سبق دون شك امرأ القيس ولم نسمع بشعره .

نعود إلى وصف العيون عند امرئ القيس : (٢)

نُظِرْتَ إِلَيْكَ بَعِينَ جَازِنَةً

حَوْرَاءَ حَانِيَةٍ عَلَى طِفْلِ

شبه الطيبة الصغيرة بالمرأة التي تحنو على طفلها ويبدو ذلك واضحاً في الطريقة التي تنظر بها إليه، وهي عيون سوداء. والجازنة هي الطيبة التي ترعى العشب الأخضر.

والطباء بطبيعتها حذرة وأكثر حذراً في مواضع المياه لشعورها بالخطر فالصياد يتربص بها هناك وهي تشرب خائفة مسرعة ويقول الحارذلو في ذلك . (٣)

دِيلُ الدِيَمَةِ مِنْ رَدِّ الْإِنْسِ نَاجِعَاتُ

وَكُلُّ حَيْنٍ فَوْقَ عَلْيُونِ نَابِي مُنْجَمَعَاتُ

ويزعجهن الصوت أيا كان ويحذرن الإنسان والضواري: (٤)

قُلْتُ أَمَّاتُ قُرُودٍ وَرَدُّنُو بِي الْقِيَالُ

خَلَقْنَ كَيْفَ بَرْمُولِهِنَّ * دَمِيرُ حَبَالٍ*

(١) ديوان امرئ القيس، ص (١١٤)

(٢) المرجع السابق، ص (٢٣٨)

(٣) ديوان الحارذلو، ص (٣٨)

(٤) المرجع السابق، ص (١٨)

*برمولهن: من يرمى بمعنى يضع، *دمير حبال: الشراك من الحبال الذي يصطاد به

ويقول امرؤ القيس في ذلك : (١)

فيشرِبُنْ أنفاساً وهنَّ خوائفٌ وثُرَعَدَ مِنْهُنَّ الكلى والقرِئَصُ*

في الصورتين تقارب فظباء الحار دلو نافات يردن مواضع شرب الماء في النهار (القيال) وهو يعبر عن شدة حذرهن وعدم اطمئنانهن وظباء امرؤ القيس كذلك خائفات حتى أنهن ترتعد فرائصهن من شدة الخوف. و(أما قرود) اسم لجبال في البطانة.

العنصر الثاني :

وصف التيس و الكلاب

والتيس هو قائد القطيع من الظباء ويسمى أيضاً الثور الوحشي والصيد دائماً يترصده لأن السرب يتبعه أينما ذهب .

يقول الحار دلو : (٢)

نَوْنُ بِي النَّجِيعِ* يَاسَابِلُ الْاَكْمَامِ
أَسْبَلُ سَبْرَكُ السَّابِلِ عَلَى النَّيَّامِ*
تَيْسَنُ جَكَّ مَعْرَبُ وَ بِي الْمَلَّيْنِ* حَامُ
جَاهَنُ وَعَافَطْنُو* وَحِيلُ سَدَوْهِنُ* قَامُ

أو قوله : (٣)

مِنْ دَعَتِ* السَّرَّاوِيلِ* قَبْلَنْ دَارَتَاتِ
عَلَى الْعَاشْتُوقِ* لِقَنْ زَوَايِ* وَبَى فَارَاتِ
عَسْكَرُ خَافَ عَلَيْهِنَّ فِي ضَرَا مِيعَاتِ*
وَجَاهِنُ وَزَاعِلِنَ بَعْدَ النَّهَارِ مَا فَاتِ

(١) ديوان امرؤ القيس، ص(١٨٣)

*الفريص هي العظمة التي ترتعد عند الخوف

(٢) ديوان الحار دلو، ص (٣٤)

*النجيع :الرحيل ،*النيام :النائمون ،*الملايين :المناطق اللينة ،*عافطنو :اشتبكن معه

*الحيل :معظم الشيء ،*سدوهن :السد هو الخيط الطويل

(٣)المرجع السابق، ص (٣٥)

*دعت :الهوام والحشرات التي تعيش على الأرض،*السراويل ،العاشنوق :اسماء أماكن

* زوزاي : هو المتفرق من النباتات *فارات :من فرّ أى نهض للرعى والسرّح

*الميعات :المناطق المنخفضة التي يتجمع فيها ماء المطر وهنا استعملها اسم للنبات الذي ينبت فيها بعد أن يجف الماء

وقد ذكر امرؤ القيس التيس في قوله : (١)

دُعِرْتُ بِهَا سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهُ وَأَكْرَعُهُ وَشَيْ الْبُرُودِ مِنَ الْخَالِ
كَأَنَّ الصَّوَارَ* إِذْ تَجَهَّدَ عَدُوَّهُ عَلَى جَمَزَى* خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالِ
فَجَالَ الصَّوَارَ وَأَتَقَيْنَ بِقَرْهَبٍ* طَوِيلَ الْقِرَا* وَ الرُّوقِ* أَخْنَسَ* ذِيَالِ

نلاحظ أن في وصف السربين حركة جماعية واضحة يقودها التيس . غير أن سرب امرئ القيس خائف ومذعور وسرب الحارذلو مطمئن وفي الحالتين فأمر التيس هو مصدر الحماية فعند امرئ القيس احتمى السرب بالتيس في قوله " أتقين بقرهب " بينما تيس الحارذلو يحاول ان يجد للسرب ملاذاً آمناً " عسكر خاف عليهن "

أغلب الظن أن الحارذلو لم يكن يصف طباء حقيقية وإنما كان يصف أسراباً من الحسان ، وهو لم يكن يصطاد للصيد في حد ذاته وإنما كان يتمتع نفسه بمنظر الصيد وأسراب الطباء أي انه كان يفعل ذلك للمتعة فقط وانعكس ذلك في تصويره للقطيع الآمن وقائده الذي يمشي متمهلاً ليوفر له الحماية بينما صيد امرئ القيس ملئاً بالإثارة والعنف وما ذلك إلا لأنه يصف صيداً حقيقياً ، وانعكس ذلك في تصويره التيس عنيفاً في قوله . (٢)

فَأَصْدَرَهَا تَعْلُو النَّجَادِ عَشِيَّةً أَقْبُ* كَمَقْلَاءَ* الْوَلِيدِ شَخِصُ*
فَجَحَّشَ عَلَى أَدْبَارِهِنَّ مُخَلَّفُ وَجَحَّشَ لَدَى مَكْرَهِنَّ وَقِصُ*

الحركة عنيفة ودائبة كأنها معركة تسقط فيها صغار الطباء وتداس بالأقدام بيد أن الحارذلو يظهر عطفه على هذه الوحوش في قوله : (٣)

مَرَقْنِ يَا مُجِيبُ لِي جُمْلَةَ السَّعَالِ

شَاخِذَكَ تَجْمَعْنَ مِنْ مَطْبِقِ الْحَلَالِ

مَا يَنْقُصُ حَسَابُ الدَّرَجِ وَلَوْ بِي عَجَالِ

وَنَحْنَا نَجِيبُ لِهِنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَثْوَالِ

(١) ديوان امرئ القيس، ص (٣٧)

*جمزى : اسم موضع ،*الصوار : قطيع بقر الوحش ،*قرهب : فحل البقر المسن *أخنس كقصير الأنف

،*الروق : القرن *القرأ : الظهر

(٢) المرجع السابق ، ص (١٨٣)

*أقب : ضامر البطن ،*شخيص : مرتفع ،*مقلاء الوليد : العود الذي يضرب به الغلام *وقيص : سقط وكسرت عنقه

(٣) ديوان الحارذلو ، ص (١٦)

فهو يخاف عليهن ويسأل الله القدير أن يوصلها سالمة لا ينقص فيها عجلًا. وامرؤ القيس يطلق كلابه الضارية خلف الصيد حتى وإن سلمت الطريدة من الموت فأنها لا تسلم من خدوش وجروح .

العنصر الثالث

في وصف الفحل والكلاب :

يقول الحارذلو : (١)

تيسن جا من الرّيح ضبلان
من قفر بلاداً بعيد قسيان

ويقول أيضاً:

كلبي الشارعو فيهن جا منقلب هقلان
أثحيرت قعدت ساكت بقيت محنان

هذا التيس الذي اعتاد الركض " الرّيح " حتى لم يبق هذا الركض من جسمه شيء فهو ناحل ضامر كما وصفه امرؤ القيس "طواه اضطمار الشد " يعني شدة الركض طوته وجعلته ضامراً في قول الحارذلو " من الرّيح ضبلان " ولكن الكلب لم يصل غايته من الصيد فهو في الأخير جاء يجر جر أذيال الخيبة " جا منقلب هقلان " و كلاب امرؤ القيس رجعت أيضاً خائبة في قولة : (٣)

فأدركنه يأخذن بالساق النسا

كما شبرق* الولدان ثوب المقدس*

وغورن في ظل الغضى وتركته

كقرم* الهجان* الفادر* المتشمس

أراد أن هذه الكلاب توشك أن تمسك بذلك الثور فهي تارة تعض ساقه وأخرى تنهش عروقه ، ولكنه أفلت منها بعد أن تركت مؤخرته ممزقة مثل ثوب الراهب حين ينزل من صومعته فيتعلق به الصبيان يشقون ثوبه يتبركون به ، ومن فرط ما لحق هذه الكلاب من جهد المطاردة وحر الرمضاء يؤنس منه فتوغلن في ظل أشجار الغضا يلهثن من الأعياء ويتجرعن مرارة الخيبة ومضى الثور يتصبب نشاطه ناجياً .

(١)ديوان الحارذلو،ص (٤٦)

(٢)المرجع السابق،ص(٤٥)

(٣) ديوان امرؤ القيس،ص(١٠٤)

*شبرق :خرق ومزق،*القدسى :الراهب الذي يأتى بيت المقدس ،*قرم :فحل الإبل الذي لا يركب،*الفادر :الممسك عن الضراب،*المتشمس:النفور حدة ونشاطا

وفي وصف الكلاب يقول الحار دلو : (١)
يلاقطن في نبات عشب ولو عفين

مرقن من صقير (موسى) و كلاب (جادين)

بينما يذكر امرؤ القيس الكلاب فيقول : (٢)

فُصَّبَحُهُ عِنْدَ الشَّرْوَاقِ غَدِيَّةً كِلَابَ (ابن مَرْ) أَوْ كِلَابَ (ابن سِنْبِس)
مَعْرَثَةً زُرْقًا كَانَ عِيُونَهَا من الدَّمَرِ وَالْأَيْحَاءِ نُورًا عِضْرَسَ

ورد في شرح ديوان امرؤ القيس – إن ابن مر وابن سنسب صائدان مشهورين من قبيلة
طي كلابهما مجوعة والجوع يزيدها ضراوة وعيونها حمر مثل عين شجرة العضرس
وهو شجر شديد الحمرة وقل أن تفلت ظباء امرؤ القيس من هذه الكلاب الضارية .

والملاحظ أن كل من امرؤ القيس والحار دلو قد ذكر أسماء لأعلام معروفة في زمنهما
فامرؤ القيس ذكر ابن مر وسنسب بينما ذكر الحار دلو موسى وجادين

وقت الخروج للصيد :

حدد الحار دلو وقت الصيد في قوله: (٣)

ضاربابو الهويده من عصر تاقبابو
خوف البادر الغبشة ومرس كلابو

وحدد امرؤ القيس وقت الصيد في قوله: (٤)

وقد أَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بمنجرد قيد الأوابد هَيْكَل

ظباء الحار دلو أبتعدت مع صغارها في أقصى الفلاة ووصلت بهم إلى مكان يقيهم
ويجمعهم خوفاً من الصائد الذي يتربص بالظباء ساعة العشية وهي بقية الظلمة يخالطها
بياض الفجر وهو وقت مشهود للصيد .

(١) عبد المجيد عابدين والمبارك إبراهيم، الحار دلو شاعر البطانة، الطبعة الثانية، ١٩٥٨، ص (٦٤)

(٢) ديوان امرؤ القيس، ص (١٠٤)

* صبحه : اتاه صباحا ، * غدية : الصباح الباكر ، * معرثة : مجموعة كلاب مجوعة ، * الذمر : زجرها واغراها
بالصيد ، عضرس : نوع من الشجر احمر اللون

(٣) عبد المجيد عابدين والمبارك إبراهيم، الحار دلو شاعر البطانة، ص (٦٢)

(٤) ديوان امرؤ القيس، ص (١٠٣)

ووقت خروج امرؤ القيس للصيد هو الغداة وهو ذات الوقت الذي حدده الحار دلو.
ارتياذ التيس الموارد بسرية :

ويصف الحار دلو كيفية ارتياذ التيس الموارد بسرية خوفاً من الصياد فيقول : (١)

خَلَّاهُن رُتُوعٌ* فِي بَقِيلٍ* وَخَرَجَتْ نَالٌ*

لَا مَن دُورٌ* الْوَادِي السَّرَى* سِيَالٌ*

فَوْقَ قَمْزُوزٍ طَلَعَ شَافٌ فِي مَلَيْتُو زَوَالٍ

وَقَلَعَتْ كَوْ* حَفِيرُهَا لِقَا لَوْ فِيهَا نُعَالٌ*

يعني أن هذا التيس ترك أناته يرتعن في نبات البقيل والنال وذهب يستكشف المكان وصعد في حواف الوادي وقد رأى خيال من بعيد اخافه واعاده إلى مكانه فوجد في حفيرها بقية ماء .

أما فحل امرئ القيس فيقول عنه : (٢)

سَتِيمٌ* كَذَلِقَ الزَّجُّ* ذِي ذُمَرَاتٍ*

عَنيفٌ بِتَجْمِيعٍ* الضَّرَائِرِ فَاحِشٌ

وَيَشْرَبُنْ بَرْدَ الْمَاءِ فِي السَّيِّيرَاتِ*

وَيَأْكُلْنَ بُهْمَى* جَعْدَةً حَبْشِيَّةً*

يَحَازِرُنْ عَمْرًا صَاحِبَ الْفُتَرَاتِ*

فَأَوْرَدَهَا مَاءً قَلِيلاً اُنْيُسُهُ*

سرب امرئ القيس في خصب لأنه وصف البهمى بأنها حبشية ويعني شديدة الخضرة تضرب إلى السواد كلون الأحباش والعرب تصف الخضرة الشديدة بالسواد ، كما نقول عن الشخص الأسود بأنه أخضر في تبادل للمعاني والألفاظ .

(١)ديوان الحار دلو، ص (٢١)

*رتوع :راتعات ،*بقيل :تصغير بقل وهو نوع من النباتات،*خرجة نال :ما يتفرع من نبات النال وهو يشبه سنابل القمح ،*دور :اكتشف ،*سرى :جمع سراة وتعني ما ارتفع من جانب الوادي ،*سيال :جمع سائل وتعني جوانب الوادي ،*ملينتو :المكان اللين ،*قمزوز :مكان ،*زوال :خيال ،نعال :ماء قليل ،*قلعة كو :اسم مكان

(٢)ديوان امرئ القيس، ص (٨٠)

*شتيم :قيح المعاملة ،*ذلق الزج :حد الرمح ،*ذى ذمرات ،*بهمى :نبات ،*حبشية :خضراء مائلة للسواد،*السييرات :جمع سبرة هي الصباح الباكر،*الفترات :مفردها قفرة وهي المكان الذي يختفي فيه

الصياد

العنصر الرابع:

وصف مراتع الأطباء واسمائها :

وللحار دلو أماكن مخصصة ومراتع تألفها طبائمه فتنسب إليها منها (ود فهيد)

(أم روس) (حقو السروال) (وظباء النال) و (معزى السيسبان) ونحوه

(ود فهيد) جاءت في قوله : (١)

سخله ود فهيد ديمة الثنايا برق

أراد ظبية شابة منسوبة إلى هذا الكان المشهور بالطباء في البطانة .

(حقو السروال) جاءت في قوله : (٢)

مابيات البلد دأيرات حقو السروال

وصفاً متع الغنّاي قدر ماقل

ونذكر موضع آخر هو أم روس في قوله : (٣)

في المخلوقة شين تشبه معيز أم روس

غير ال في وريدن شولقن مرصوص

وامرو القيس يذكر (وحش وجرة) (وثيران الصريم) (وتيس الربل)

ومن المعروف أن الشعراء كانوا يذكرون أودية بعينها وبقاعاً تألفها الأطباء .

يقول عن وحش وجره : (٤)

تصد وتبذي عن أسيل وتنقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

ووجره موضع معروف بين مكه و البصرة ليس فيه منازل وهو مسرح للوحوش

(١) عبد المجيد عابدين والمبارك إبراهيم ، الحار دلو شاعر البطانة ، ص (١٠٤)

(٢) المرجع السابق ، ص (٢١)

(٣) المرجع السابق ، ص (٢٨)

* الشولق : نوع من الحلّى يلبس في العنق

(٤) ديوان امرئ القيس ، ص (١٦)

وَيَصِفُ الصَّرِيمَ وَهُوَ الرَّمْلُ الْمَنْقُطَعُ فِي قَوْلِهِ: (١)

وِظْلٌ لَثِيرَانِ الصَّرِيمِ غِمَاغُمُ يُدَاعِشُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمَعْلَبِ

وَقَالَ أَيْضاً: (٢)

وَرَاحَ كَثِيرِ الرِّبْلِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ إِذَاءَ بِهِ مِنْ صَائِكٍ مَتَحَلِّبِ

والربل نبات ينبت في أواخر الصيف وأوائل الشتاء أراد أنه يعيش في موضع لا ينقطع
خصبة صيفاً وشتاءاً .

والشعراء كثيرون ما يسمون الحيوانات الوحشية بأسماء مستأنسة فكثيراً ما يسمي الشعراء
الظبية شاة أو نعجة ويسمون صغارها سخلاً .

وذكر الحارثي ذلك فقال : (٣)

قَوْزٌ وَدُ ضِيَابُ اللَّيْلَةِ تَرَا بِي شِيَاهُو

بِهِمَا يَطْرُدُ فَرَحَانَ وَعَاجِبُو خَلَاهُو

فاطلق تسمية الشاة والبهم على الظباء تجاوزاً كما فعل امرؤ القيس في قوله : (٤)

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَدَّارِي دَوَارٍ فِي الْمَلَأِ الْمَذِيلِ

وقوله أيضاً :

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

المراد أنه اصطاد قبل أن يتعب ويعرق

(١) ديوان امرئ القيس، ص (٥٢)

* السمهري : الرماح

(٢) المرجع السابق، ص (٥٤)

(٣) الطاهر إبراهيم، من أشعار الحارثي، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ص (١٠)

(٤) ديوان امرئ القيس، ص (٢٢)

(٤) نفس المرجع والصفحة

المبحث الرابع المطلب الأول - في وصف الشيب

يعتبر الشيب أول نذير للإنسان بأنه قد كبر وتقدم في السن، وغالبا ما يشعر الإنسان بالصدمة عند رؤية أول بواذر الشيب على رأسه وغالبا ما يكون ذلك في المفارق والسوالف .

ويبدأ بعد ذلك في التحايل عليه ليعطي لنفسه الإحساس بانه لم يصبه الكبر و ذلك بصبغ شعره .

ويجب أن يكون الشيب مدعاة للإنسان ليراجع نفسه ويعرف مواطن الضعف والخلل في شخصيته ويعالجها حتى يستعد لمتطلبات المرحلة القادمة من حياته .

وأكثر من يعاني من ظهور الشيب هم الشعراء فالشيب يذكرهم بأن الوقت قد حان ليتروا الحياة اللاهية التي يعيشونها وإن كان هناك شعراء كثر يلتزمون الجدية في حياتهم ولا يميلون إلى العبث وملاحقة الشهوات .

كما أن الشيب ينفر النساء من الشاعر باعتباره قد غادر محطات الشباب إلى محطات أخرى . هذا أكثر ما يؤلمه .

١/ يقول عبد الحفيظ محمد أحمد من شعراء الرباطاب : (١)

بعد شيب النواصي زما ولى

والعيون لقيتين شوفن قل

يتحسر الشاعر على زمانه الذي ولى وهو أيضا يتحدث عن ضعف إبصاره وهذا دليل على أنه قد كبر .

ويقول أبو عبادة البحتري (٢)

هاهو الشيب لائما فأفيقي واتركيه إن كان غير مضيق

يخاطب نفسه أولاً وربما كان يخاطب امرأة، وهو يريد أنه يجب أن يفيق إلى نفسه بأن يترك ارتكاب المعاصي وأن يكثر من فعل الحسنات لأن الوقت قد مضى .

(١) عبد الله على إبراهيم وأحمد عبد الرحيم نصر ، من أدب الرباطاب الشعبي ، ص (٩٦)

(٢) ديوان البحتري ، ص (٨٢٥)

- الصادق حمد الحلال* (ود آمنة): (١)

بعد الشيب عمتني ونفسي مدة قرعا

عُقب الليلة عادت للهوى السرحا

(عمت) في العامية السودانية تعني أخذ على حين غرة ودون انتباه أي لم يدع مجال للتفكير أو التصرف في إشارة إلى أن الشيب قد باغته وأن له الأوان (لينقرع) يعني أن يترك ما كان يفعل من أفعال الشباب إلا أن ذلك لم يدم طويلا لأنه عاد إلى ما كان عليه .

ويقول علي بن الجهم: (٢)

لا يُرْعَكِ الشَّيْبُ يا بنة عبدالله فالشَّيْبُ زينة ووقار

يطمئن نفسه أولاً أن الشيب إنما هو هيبة ووقار ويحاول أن يطمئن ابنه عبدالله .

وللصادق حمد الحلال أيضاً: (٣)

طريت مهلي وطریت أيضاً شيوم أم زين

هبش راسي ولقيت عامتني شيبا شين

يحن إلى أيامه الأولى وإلى ذكريات رحلاته إلى ديار الحبيبة إلا أنه أُنْتَبِهَ إلى الشيب الذي غطى رأسه .

وقد شكى أبو هلال العسكري قبج الشيب فقال: (٤)

والشَّيْبُ زورٌ يجتوى وقربُه لا يرتضى وفقدُه لا يُشتهى

يقول أنه ما من أحدٍ يرغب في رؤية الشيب فالشيب يمثل الشيخوخة التي يتجنبها الناس.

(١) د.سعد عبد القادر، مع الدوبيت، ص (٣٥)

*الصادق المعروف بود آمنة من فحول الشعراء بالبطانة، منطقة السبعات بمشروع حلفا الجديدة ولد عام ١٩٠٠ ينتمي إلى قبيلة الشكرية فرع الحساناب من الشهر شعراء المسادير ومن مساديره مسدار قوز رجب، له محاورات شعرية مع ود شاوراني توفي عام ١٩٨٨

(٢) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص (٨٢٦)

(٣) محمد الفاتح أبو عاقلة من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص (١٦٥)

(٤) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص (١٥٩)

الجزولي ود سبوبة البوادي : (١)

جاني الشيب وسلطان الكبر وهجمني

أجري على النشاط القى الضهر عسمني

والشوف من ملاحظة الهويتو ظلمني

يقول الشاعر إنه ظهرت عليه كل مظاهر الشيخوخة والتي تبدت في الشيب والإرهاق عند محاولته للقيام بنشاط كما أن نظره لم يسعفه برؤية من يحب ويهوى

بينما ظهرت ملامح الشيخوخة عند خفاف بن ندبة في قوله : (٢)

فإمّا تريني أقصرَ اليوم باطلِي ولاحَ بياضُ الشَّيبِ في كلِّ مفرقِ

وزايلنِي ريقُ الشباب وظِلُّهُ وبُذِلْتُ منه سَحَقُ آخِرِ مُخلِقِ

يريد القول أنه تاب عن الباطل وما ذلك إلا لأن الشيب قد اجتاح رأسه وقد فارقه الشباب وتبدلت أحواله من حال إلى حال .

وقول عبد الله حمد شاوراني: (٣)

الخلاني أقيم الليل ملاقي صباحو

بعد الشيب خفيف الروح جرحني سلاحو

وقول المرار بن منقذ: (٤)

عَجَبٌ خَوْلَةٌ أَذْ تُكْرِنِي أُم رَأَتْ خَوْلَةً شَيْخًا قَدْ كَبُرَ

إِنْ تَرَى شَيْبًا فَأَنْيَ مَا جَدُّ ذُو بَلَاءٍ حَسَنٍ غَيْرِ غَمُرٍ

(١) د.سعد عبد القادر، ص (١٩٣)

الجزولي ود سبوبة البوادي ينتمي إلى قبيلة البوادية، من قرية أم شجرة ناحية القضارف ولد عام ١٩٠٨ وتوفي عام ٢٠٠٨ عن عمرنا هز المائة عام وهو جد الشاعر ميرغني الكردوسي لأمه.

(٢) الأصمعيات، ص (٢٢)

(٣) النيل أبو قرون، ود شاوراني (٣١)

(٤) المفضليات، ص (٨٢)

* الغمر: هو الذي لم يجرب الامور

المطلب الثاني

الشعر التعليمي والتربوي

يؤدي الشعر دوراً مهماً في إيصال الأفكار والقيم التربوية بأسلوب جاذب وسنحاول إبراز جزء من هذه المفاهيم التربوية.

أولاً : حفظ السر

يقول ود الرضي* : (١)

سرك اكنمو لو بيهو اتمرضت

لا تلوم إلا نفسك فيهو إن فرطت

إن خبرت بيهو براك للتعب عرضت

وإن حسنت ظن عاد دابك اتورطت

في أسلوب تربوي يرشد الشاعر إلى أن الإنسان يجب عليه أن يحفظ سره ولا يشرك أحداً فيه لأن السر إذا اشترك فيه أكثر من شخص لم يعد سرا وبعدها سيذيع وينتشر .

وهذا شبيه بقول الشعر العربي : (٢)

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

إذا عجز المرء عن حفظ سره فلا بد أن الآخرين أعجز عن حفظ السر، ولا ينطبق هذا على كل الناس فهناك أشخاص يمكن انثمانهم على أسرار يكونون فيها حريصين أشد الحرص على كتمانها مثل الأم ، والأب والإخوان وكذلك بعض الأصدقاء يمكن انثمانهم على أهم الأسرار وأدقها.

وقول عمر البنا في التحذير من البوح بالأسرار: (٣)

السر مامرق كان سيدو ما فتاهو

وكعب الما عطا وكعب العطا ونّاهو

(١)ديوان ود الرضي ،جمع وتحقيق الطيب الرضي ،الجزء الثاني،ص (٣٧)
*محمد ود الرضي ولد بالعلفون في عام ١٨٨٤ كان والده من قبيلة العسيلات ولكنه مقيم بأم ضواً بان،تفتحت عيناه على مناظر الطبيعة الساحرة ،حفظ القرآن ،عمل بخزان مكوار اطلق عليه الخليفة حسب الرسول ود بدر أسم تنبيه الغافلين لدوره الكبير في الدعوة إلى الحق بدأت شاعريته بنظم الدوبيت (٢)أبو هلال العسكري ،ديوان المعاني ،الجزء الأول ،ص (١٤١)
(٣)د.سعد عبد القادر ،مع الدوبيت ،ص (٢٢٥)

لا يمكن أن يعلم الناس سرّاً لم يبيح به صاحبه وهو يقول أن البخل ليس من مكارم الأخلاق ، والأسوأ من البخل أن تعطي وتمن بعطائك .

ويقول كعب بن سعد الغنوي (١)

ولستُ بمبدٍ للرجال سرّيرتي وما أنا عن أسرارهم بسؤولٍ

فهو لا يعطي سره لأحد كما أنه لا يسأل عن أسرار الآخرين .

ثانياً : معامله الأصدقاء

عمر البنا: (٢)

صاحبك درجو لا تحاسبو بي سيئاتو

واحمل عملو دائماً على حسن نياتو

يوصي الشاعر الشخص الذي يخاطبه بالرفق في معاملة الصديق ويوجه بعدم محاسبته بأقل الأخطاء كما أنه يحب أن يلمتس له العذر ويحمل أعماله على حسن نيته ولا يفترض فيه سوء النية .

وقول أحدهم في فضل الصديق: (٣)

إن أخا الصدق الذي لن يخدعك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا صرف الزمان صدعك شئت شمل نفسه ليجمعك

يقول إن الصديق الحق لا يخدع صديقه ، وهو يضر نفسه لينفعه ، ويشئت شمله حتى يجمع شمل صديقه.

(١) الأسمعيات ، ص (٧٦)

(٢) د. سعد عبد القادر ، مع الدوبيت ، ص (٢٢٥)

(٣) أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ص (١٢٣)

ثالثاً: أحوال الدنيا والزمان
يقول ود الرضي : (١)

يادار الندم من كان ليهو تغري
يا الغشاشة لابد من تعقبي تصري
تماثلك بي لطف وثمارها ليك مخضر
في الحين تنخسف تصبح عجاجة يضري

يصف الدنيا بأنها دار ندم وهي تغري الإنسان بالإنخراط في المعاصي عند إقبالها عليه
ولكن ذلك لايدوم طويلا فهي لابد لها من الأدبار وهي تتلطف بطالبيها حتى يصبحوا
من محبيها ولكنها لاتلبث أن تدير لهم ظهرها .

وفي ذلك يقول سهم بن حنظلة : (٢)

ألا ترى إنما الدنيا مُعللة
أصحابها ثم تُسرى عنهم سلبا
بيننا الفتى في نعيم يطمئن به
رد البينس عليه الدهرُ فانقلبنا
أو في بينس يُقاسيه وفي نصب
أمسى وقد زایل البأساء والنّصبا

يصف الدنيا بانها تخذع طالبيها ثم توليهم ظهرها وهو يضرب الأمثال بالفتى الذي نشأ
في النعيم واعتاده وإذا بالدنيا تبدل حاله من النعيم والسعادة إلى الشقاء والبؤس
والعكس تماما مع الشقي البائس والذي أعطته الدنيا فوق ما يصبو ويتمنى.

رابعاً : النصح والإرشاد

ينصح الصديق محمد العوض وهو من شعراء منطقة الجزيرة ينصح قائلاً (٣)

تعال نوصيك قبال ما تضوق لك غشة

نفسك في مطبات ضيقة ما تخششه

تلقى الفتنة نائمة اوعاك ما تكشكشه

والعقرب كمان في ضنيبها ما تهبشه

(١)ديوان ود الرضي ،الجزء الثاني، ص (٣٧)

(٢) الأصمعيات ،ص (٥٥)

(٣) محمد الفاتح أبو عاقلة ،من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص (٣٢)

*ينتمي إلى قبيلة الخوالة قرية راما الخوالة بمحلية أم القرى وهو أُمّي يجهل القراءة والكتابة ولكنه يتمتع
بتقافة عالية اكتسبها من التجوال في سهول البطانة توفي عام ٢٠٠٦

وتتلخص نصائح الشاعر في النقاط الآتية :
يجب على الإنسان أن يكون حريصا ونبيها حتى لا يخدع .

لا يجب عليه أن يضع نفسه في مواضع لا تليق به

لا يثير الفتنة . فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها .

لا يورد نفسه موارد التهلكة .

ويقول سعد ود النصيح : (١)

قَالَ وَدُّ رِيًّا : الشَّرُّ دَائِمًا لَا تَبَادَرُ
قَالَ وَدُّ رِيًّا : الْقَادِرُ عَلَيْكَ مَا تَقَادَرُ
قَالَ وَدُّ رِيًّا : الْإِبْلَمُ بَلِيدٌ لَا تَعَاظِرُ
قَالَ وَدُّ رِيًّا : لَا تَشْهَدْ عَلَى الْمَاكِ حَاضِرُ

(ود ريا) المقصود به الشيخ العبيد ود بدر خليفة (أم ضوا بان) وهو من كبار أقطاب الصوفية في السودان.

نصائح غالية وواضحة فهو ينصح بالآتي :

تجنب المبادرة بالشر .

لا تصطدم بمن هو أقوى منك

لا تجادل الأحمق حتى لا يخلط الناس بينكما ،أيكما الأحمق

لا تشهد على شيء لم تره بعينيك .

وهذا الأسلوب التعليمي الإرشادي نجده في شعر عبد القيس بن خفاف* في قوله : (٢)

أوصيك إيصاء امرئٍ لك ناصحٍ طبن برببٍ الدهر غير مغفلٍ

الله فاتقة واوف بنذرهِ وإذا حلفت مमारياً فتحلٍ

والضيِّف فاكِرمه فان مبيته حق، ولاتك لغنة للنزلِ

واعلم بأن الضيف يُخبر أهله بمبيت ليلته وإن لم يسألِ

وصل المواصل ماصفا لك وده واحذر حبال الخائنِ المتبدلِ
دارُ الهوان لمن رآها داره افراحل عنها كمن لم يرحلِ

(١) محمد الفاتح أبو عاقلة ،من خصائص الشعر الشعبي السوداني ،ص (١٦)
*سعد ود النصيح من قبيلة الاحامدة مواليد ١٩٥٣ بقرية بير الجلل بضواحي شندي ويسكن الآن بمحلية الحصاصيما.

(٢)المفضليات ،ص (٣٨٥)
*هو من عمرو بن حنظلة من البراجم

وأترك محل السوء لاتحلُّ به وإذا نبأ بك منزل فتحول
واستغن ما اغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتجمل
وإذا همت بامر شر فأتد وإذا هممت بامر خير فافعل

مجموعة من الإرشادات إلى القيم النبيلة والشيم السمحة صادرة من شاعر جاهلى ولكن يبدو أنه كان يعرف الله حق المعرفة وتتلخص ارشاداته في :

تقوى الله والإيفاء بالنذور وعدم الحنث باليمين .

إكرام الضيف وعدم التعرض للمذمة لأن الضيف يخبر بما لاقى .

صلة الأفاضل من الناس ومقاطعة الخائن الذي لازمة له ولاعهد .

لا تنزل بمحل سوء وإذا حدث ونزلت دون علم فاتركه في حال علمك .

الصبر على رقة الحال والتجمل به .

إذا أردت فعل سيئة فتمهل وإذا أردت فعل حسنة فأفعلها في الحال.

المطلب الثالث

في الاسترحام والشفاعة

والاسترحام هو طلب الرحمة للآخرين كأن يطلب شخص الرحمة لشخص آخر استنجد به لمكانته الكبيرة، وقد يسترحم الشخص لنفسه مظهراً ضعفه وقلة حيلته وعادة ماتكون الجهة التي تطلب منها الرحمة حاكم أو شخص ذو مكانة عالية .

يقوم المسترحم بذكر محاسن الشخص المطلوب له الرحمة ويذكر ندمه على ما فعل ويطلب السماح ولا ينسى المسترحم أن يثني على الحاكم أو المسترحم عنده ويمدحه مبينا صفاته الحميدة من حلم وكرم وسعة صدر وعظيم أخلاق والنماذج كثيرة في تاريخ الشعر العربي للاسترحام سيرد ذكرها لاحقاً ، أما في شعرنا الشعبي فهي كثيرة أيضاً وهذا الحار دلو يسترحم لعمارة محمد أحمد أبوسن لدى الخليفة عبد الله التعايشي وهو يقول : (١)

من قومه الجهل ولداً مميز عومو

وحافلات اللبوس فيهن بغزر كومو

خليفة المنتظر عمارة أغفر لومو

جاك كبش الضحية الليلة آخر يومو

جاء المعتذر إلى المعتذر منه وهو يظهر أسفه وندمه على ما بدر منه، الحار دلو تحمل عبء الاعتذار والشفاعة عله يؤثر في الخليفة أو ربما لمكانة الحار دلو عند الخليفة وهذا شائع منذ القدم أن يقدم المخطئ شخصاً ذا مكانة مؤثرة للحديث نيابة عنه .

ولعل أشهر من اعتذر في التاريخ الإسلامي هو كعب بن زهير عندما أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) معتذراً، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أهدر دمه، أتى معتذراً في قصيدته (بانت سعاد) والتي يقول فيها (٢).

والعفو عند رسول الله مأمول

نبئت أن رسول الله أو عدني

والعذر عند رسول الله مقبول

وقد أتيت رسول الله معتذراً

(١) محمد عبد الرحيم ،نفقات اليراع، ص (٣٨)

(٢)ديوان كعب بن زهير ، ص (١٩)

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
القرآن فيها مواعظ وتفصيل
أذنب ولو كثرت في الأقاويل

غير أننا نجد أن كعباً بن زهير قد أتى معتذراً بنفسه عما بدر منه، ربما لأنه شاعر
صنعتة الكلام وهو يجيد هذه الصنعة، كما أنه قد أتى إلى خير خلق الله كلهم مسلماً
مبايعاً .

ويواصل الحارثي : (١)

من قومة الجهل بركب على المتشابي

وحافلات اللبوس فيهن بعزل النابي

خليفة المنتظر عمارة جاك ما مابي

طالبك بالرسول تقول له من أصحابي

استحلف الحارثي الخليفة بعزة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يغفر لعمارة
(طالبك بالرسول) وهو يطلب منه أن يدخله في صحبته والقسم (بالرسول) و(النبي)
(صلى الله عليه وسلم) شائع عندنا في السودان وقد انحصر هذا الأمر في النساء في
الأونة الأخيرة فقلما تجد رجلاً يحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وقد حبس الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الحطيئة لكثرة هجائه للناس
فأرسل إليه مسترحماً : (٢)

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرخٍ زُغب الحواصل لا ماءً ولا شجرُ

القيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فأغفر عليك سلامُ الله ياعمرُ

أنت الإمام الذي بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النُّهي البشرُ

لم يوثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

(١) محمد عبد الرحيم، نفثات اليراع، ص (٣٨)

(٢) أبو الفرج الأصفهاني الأغاني، الجزء الثاني، ص (٥٥)

يستعطف الحطيئة عمر (رضي الله عنه) وذلك بذكره لأطفاله وشبههم بالأفراخ لأنهم يعتمدون على أبيهم في حياتهم ويدعو لعمر بالمغفرة من الله سبحانه وتعالى ثم ينتقل إلى مدحه واصفا أياه بالإمام وأنه أهل لهذه الإمامة. والحطيئة استدعى المؤثرات التي يمكن أن تؤثر في الخليفة عمر والمتمثلة في حاجة أطفاله إليه ، ووصفه بصفات كريمة والدعاء له بالخير .
والحارث دلوا قدم شفيعا في حادثة الأشراف لمحاولتهم اغتيال الخليفة عبد الله التعايشي فقال : (١)

فوق رغد وفوق محل في الجاية ما بتمحن

فراج كربه الهم القبايلو بوحن

وكت حسناك الستيهن ما صحن

صبر أيوب بتتقلبو الليالي إن شحن

ويوأصل الحار دلو استرحامه :

الزول إن كظم غيظو وعليهو اتجلد

ووسع صدره من وقع البلا وما اتبلد

صبر ايوب صحيح بيهو الليالي بتشهد

ومعلوم الصبر منو الكمال بتولد

يمدح الحارث دلوا الخليفة ويصفه بأنه لن يعدم رأياً صائباً في كل الأحوال ويخلع عليه كل الصفات الكريمة ثم ينتقل إلى إبراز قيم تربوية متمثلة في الحلم والصبر ويشير إلى أن كل مكارم الأخلاق مصدرها الصبر .

(١) محمد عبد الرحيم ، نفثات اليراع ، ص (٣٧)

وهذا المتنبي يسترحم عند سيف الدولة لبنب كلاب فيقول :

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب
وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العقاب

استرحم الشاعر لدى الأمير باعتباره الأجدد بان يغفر لأنه ولي أمر الناس ولا بد أن يكون متسامحاً وهو يشير إلى أن الجاني لابد أنه يشعر بالخجل من فعله وهذا وحده كفيل بان يكون عقاباً له .

وأمن على المقولة الشائعة (بأن الشر يعم والخير يخص)

في إشارة إلى أن بعض الناس لا يكون عليه ذنب فيما جرى ولكن الأذى يلحقه .

(١) ديوان المتنبي ، المجلد الأول ، ص (٥٨)

الفصل الثالث (الشعر الفصيح والعامي حول المرأة)

المبحث الأول : الفزل

المبحث الثاني : الفزل الحذري

المبحث الثالث : النسب

المبحث الرابع : الشعر حول المحارم من النساء (الأم والزوجة)

المبحث الأول

الغزل

الغزل من الموضوعات الشعرية المحببة إلى النفوس وهو تعبير عن عاطفة الحب التي يكنها الشاعر للمرأة وقد يكون تعبيراً عن الإعجاب العابر للشاعر بالمرأة التي يتغزل فيها دون وجود لعاطفة الحب بينهما .

هناك غزل عفيف يعبر فيه الشاعر عن عواطفه النبيلة نحو المرأة يتعفف فيه عن ذكر مفاتها الحسية فهو يصف أخلاقها وعفتها وشرفها .

والغزل الحسي يحتوي على ذكر مفاتن المرأة الحسية ، والحسية هنا ليست بالمعنى المناقض للعفة بل هي مقابل للرمز والإيحاء ، فالشاعر خاضع لبيئة معينة لها أعرافها السائدة ونماذجها المطلوبة لذا فهو يعبر بصوت مجتمعه عن المقاييس المطلوبة .

والمقاييس الحسية كلها اتفقت تقريباً على استحسان صفات محددة مثل اللون الأبيض والشعر الأسود الناعم والطويل وعلى العيون الناعسة الحوراء والأسنان البيضاء المصطفة وأيضاً المفلجة والأرداف الممتلئة و يشبهون المشية بمر السحابة والكثير من الصفات المتفق عليها في المجتمعات العربية القديمة والحديثة.

أولاً : الغزل العفيف:

العنصر الأول:

الأخلاق : " العفاف "

محمد صالح الشفيع ود تروة* : (١)

مستورة القناع شلبية ثم حشيمة
ما بتلقاها قاشة الحلة شائلة هديمة
ولا بتجيك ترح شائلة العلال في قديمة
يعني أن هذه المرأة محتشمة لا تخرج من بيتها إلا للضرورات كما أنها تمشي مشية
معتدلة لا تثير الغبار حولها .
قول ود شاوراني : (٢)

عفيفة وقاطعة عشم العيل البدنع
مادام راقية وهبي ذكاها ماهو تصنع
مافي أسباب يخلني من غناها اتمنع
هي عفيفة ولا تغري الرجال بالكلام اللين امتثالاً فيها لقوله تعالى : (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) صدق الله العظيم (٣)

وهي راقية وذكية بالفطرة لا تدعي الذكاء و هو لا يرى ضيراً من حبها والتغني بها .
وقد ذكر الشنفرى* عفاف المرأة وأخلاقها في تايئته والتي يقول فيها (٤)
لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها إذا ما مشت ،ولا بذات تلقت
تبيت بعيد النوم تُهدي غيوقها لجارتها إذا الهدية قلت

(١) د.سعد عبد القادر ،مع الدوبيت ،ص(١١٨)

*محمد صالح ود تروة من قرية أم حريزات بنواحي رفاعة عاصر كبار الشعراء من أمثال الحارثي

(٢) النيل عبد القادر أبو قرون ، ود شاوراني ،ص (٤٨)

(٣) الآية (٣٢) سورة الأحزاب

(٤) المفضليات ،ص (١٠٩)

*الشنفرى هو زيد بن أوس وسمى الشنفرى لغلظة شفتيه وهو من الشعراء الصعاليك في الجاهلية

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا* تَقْصُهُ
أُمِيمَةً لَا يَخْزِي نَهَا حَلِيلَهَا
فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْتَبْكَرَتْ* وَأَكْمَلَتْ

عَلَى أُمِّهَا* وَإِنْ تُكَلِّمَكَ تَبَلَّتْ*
إِذَا ذَكَرَ التُّسْوَانَ عَقَّتْ وَجَلَّتْ
فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ

نلاحظ أن الشاعر قد وصف هذه المرأة بأنها محتشمة في زيها ، قناعها على رأسها ، لا تدعه يسقط فيكشف شعرها وإذا مشت مشت في رزاة ووقار ، لا تتلفت لتتنظر إلى الناس وهذه شيم النساء الفضليات ، وهي كريمة تهدي إلى جاراتها من طعامها ومن شدة حيائها إذا مشت خفضت نظرها إلى الأرض كأنها تطلب شيئا ضاع منها فهي تطيل النظر إلى الأرض وهي عفيفة طاهرة الذيل لا تحوم حولها الشبهات فليس فيها ما يخجل زوجها، جميلة ، رقيقة الملامح ليست مترهلة ، جليلة القدر ، ممشوقة القوام ، مكتملة المحاسن فلو كان الجمال يصيب الإنسان بالجنون لجننت هذه المرأة من حسنها . في هذه القصيدة دليل على أن الإسلام هو دين الفطرة السليمة لأنه أقر ما هو موجود من أعراف الناس وأخلاقهم فهذا الشاعر جاهلي لم يعرف الإسلام ولكن فطرته أحبت المرأة بالصورة التي أرادها لها الإسلام . وفي هذا يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). (١)

٢-طريقة حديثها :

العاقب ود موسى* في مسددار الضكير : (٢)

على الما قالوا منزوعة حيا وزقارة

خلت عيني لي نومي اللذيذ نقارة

يقول إنها حلوة اللسان لا ينطق لسانها بالفحش.

وقول حميد بن ثور الهلالي في أخلاق المرأة : (٣)

وليست من اللائي يكون حديثها أمام بيوت الحي إن وإنما

يقول :هي مهذبة لا تقف أمام بيوت الحي تتناول سيرة الناس بالحديث.

*نسيا :شيء مفود ،*امها :امامها ،*تبلت :لاتطيل الكلام ،*اسبكرت :طالت

(١)أخرجه الحاكم في المستدرک،حديث رقم (٤٢٢١)

(٢)د.سيد حامد حريز ،فن المسددار،معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم ،سنة ١٩٧٦،ص (١٣٤)

*من شعراء المساديرمن قبيلة الشكرية ويسكن منطقة قبلي

(٣)ديوان حميد بن ثور الهلالي،نحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى ،الدار القومية للطباعة والنشر ،ص (١٥)

٣-علاقتها بالجيران

يقول صديق عباس عن علاقة هذه المرأة بجيرانها: (١)

الجيران ما سبوكي

وفي السوق ما جلبوكي

أو قوله أيضاً:

ما بتجيب غلط الجار

ولا بتقول دا شن قال

وما بتشب للختار

بت عرباً عز ماها كوار

ومن علاقتها بالجيران يقول الأعشى : (٢)

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِيرَانَ طَلَعَتْهَا وَلَا تَرَاهَا لَسِرَ الْجَارِ تَخْتَلُّ

يقول إنها لا تتطلع لكشف أسرار جيرانها كما أنها محبوبة لديهم .

* نلاحظ أن الجاهلين بالرغم من أنهم لم يكن لهم دين ينظم حياتهم إلا أنه كانت لديهم قيم فاضلة ومقاييس لأخلاق المرأة أقرها الإسلام فيما بعد .

العنصر الثاني :

تفضيل الحسن الفطري على الحسن المستجلب .

قول صديق عباس مفضلاً الحسن البدوي على الحسن المستجلب : (٣)

درعاة القنوب الجفلا الأبالي

سمحة قوام وسمحة عيون ولهجها حالي

ماركبت مع سواق وجالبا تسالي

(١) د.سعد عبد القادر ، مع الدوبيت ، ص (٦٧)

(٢) ديوان الأعشى ، ص (٥)

*صديق عباس فضل المولى من مواليد حداف ريفي تمبول ، من الجعليين الحموراب ، يسكن الآن حلفا الجديدة حي علي كرار في حوالي الـ ٧٥ من العمر يعمل بالزراعة

وله أيضاً (١)

درعاة القنوب السمعت الجبخانة

سمحة قوام وسمحة عيون وماليا الخانة

ما ركبت مع سواق وطاقة لبانة

سمحة بدون دلالة وحننا ودخانا

يصف هذه المرأة البدوية بانها جميلة الصفات كما أنها ذات أخلاق كريمة لاتقوم بعمل سفاسف الامور ولا تخرج مع رجل ليس من محارمها .

درعاة القنوب هي الظبية التي تعيش في المناطق المرتفعة (سمعت الجبخانة) دليل على نفورها كأنها سمعت صوت طلقات الرصاص . وهي فطرية الحسن لم تستخدم المساحيق التي تظهر الجمال .

وقول إبراهيم العبادي : (٢)

أنظر يانديمي شوف يد القدرة وشوف حسن البداوة الما لمس بدرة

وشبيه بذلك قول المتنبي : (٣)

كأوجه البدويات الرعابيب	ما أوجه الحضر المستحسنات به
وفي البداوة حُسن غير مجلوب	حُسن الحضارة مجلوب بتطرية
وغير ناظرة في الحُسن والطيب	أين المعيز من الآرام ناظرة
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب	أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها
أوراكن صقيلات العراقيب	ولا برزن من الحمام مائلة

فضّل الشاعر الحسن الفطري على الحسن الذي استخدمت فيه أدوات الزينة وشبهه البدويات بالآرام والمعيز وكذلك فعل الشاعر الشعبي ونفي عن البدويات التصنع ومضغ الكلام . (طاقة لبانة) تحمل المعنى نفسه لأن اللبان يمضغ .

(١) د.سعد عبد القادر ،مع الدوبيت ،ص (٤٥)

(٢) صلاح الدين المليك ،صور من الأدب العربي (١٦٧)

(٣) ديوان المتنبي ،المجلد الأول ،ص (١١٦)

ثانياً : الغزل الحسي

العنصر الأول :

تشبيه المرأة بالظبية :

ود الفراش يشبه المرأة بالريل وهو نوع من الغزلان : (١)

ود الأريل الضارب حقبتو

ضامر من وسط تعجب رقتو

تشبه هذه المرأة (بالريل) وهو صغير الغزال وهي ضامرة البطن طويلة العنق .

وفي تشبيه المرأة بالظبية يقول علقمة بن عبده : (٢)

صفر الوشاحين ملء الدرع خرغبة كأنها رشا في البيت ملزوم

هذه المرأة ضامرة البطن ناعمة تشبه ظبي صغير تمت تربيته في المنزل .

أما أحمد محمد الشيخ الجاغريو فيطلق عليها اسم شادن : (٣)

شادن ربيب البطر في فؤادي ريدو انفطر

وكلمة شادن شائعة الاستعمال في العامية السودانية بالرغم من أنها لا توجد بكثرة في العاميات العربية وتعني صغير الغزلان .

ولكنها مستخدمة كثيراً عند شعراء الغزل عندنا ونحن نطلق على البنت اسم شادن

يقول طرفة بن العبد في استخدام كلمة شادن : (٤)

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

واستخدمها محمد بشير عتيق في قوله : (٥)

غير شادن الآرام لا شك عيشي حرام

يا نفسي ذوبي غرام

واستخدمت بالتصغير أيضاً في قول أحمد عبد الرحيم : (٦)

يا الشويدين الأسر الأسودا

ليهو دانت طمعا وخوفا

(١) ديوان ود الفراش ، جمع محمد علي الفراش، الدار السودانية للكتب ، ص (٧٠)

(٢) المفضليات ، ص (٣٩٨)

* علقمة بن عبدة شاعر جاهلي مجيد

* خرعبة : ناعمة

(٣) مختارات من شعر الحقيبة ، ص (١١٨)

من منطقة العيلفون بمحافظة شرق النيل ، شاعر مجيد تغنى له الكثير من المغنيين و(الجاغريو) كما يقول هو ، انها تحريف لـ (جاك ريو) ممثل امريكي ذائع الصيت في الثلاثينيات والذي كان يطلقه عليه اصدقائه.

(٤) ابن الأنباري ، المعلقة السبع الطوال ، معلقة طرفة بن العبد ، ص (١٣٩)

(٥) ديوان محمد بشير عتيق ، ص (١٣)

(٦) صلاح الدين المليك ، صور من الأدب العربي ، ص (١٩٣)

قول النابغة الذبياني في إيراد كلمة شادن : (١)
نظرت بمقلة شادن متريب أحوى أحم المقلتين مقلدا

وقول عبد الرحمن الريح : (٢)

الشادن الهالكني ريدو هلك النفوس والناس تريدو

وقد استخدمها مسلم بن الوليد (صريع الغواني) في العصر العباسي في قوله : (٣)

تحملت هجر الشادن المتدلل وعاصيت في حب الغواية عزل

العنصر الثاني :

وصف الشعر :

يقول ودالفراس : (٤)

ماكلاني نارا

ست السكس أم روبة غزارة

ترباية بطر من بيت إمارة

الروبة في العامية هي الشعر ، وصفها بأنها غزيرة الشعر وهي من بيت كريم .

ويقول سويد بن أبي كاهل اليشكري (٥)

وَقَرُونَا سَابِغاً أَطْرَافَهَا غَلَّتْهَا رِيحُ مِسْكِ ذِي فَنَعْ

والقرن هو الشعر ، يعني شعر طويل معطر الأ[طراف].

(١)ديوان النابغة الذبياني ،ص (٣٩)

(٢)الروائع الحبيبية في أغاني الحقيبة ،مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي ،ص (٢٨)

(٣)ديوان صريع الغواني ،مسلم بن الوليد،تحقيق سامى الدهان ،الطبعة الثانية،دار المعارف ،مصر،ص (٣٤١)

(٤)ديوان ود الفرّاش،ص(٤٤)

(٥)المفضليات ،ص (٩٠)

سويد بن أبي كاهل ،شاعر مقدم مخضرم عاش في الجاهلية عصرا وعمر في الإسلام

موسى علي منصور الدلكاوي : (١)

ديسك لي القصيرات غلب النجاد

يا ليلة القدر ويا ليلة المعراج

صمدك ما بنوم الهجعة والفجاج

والديس أيضاً من أسماء الشعر، ويقول أن هذا الشعر لشدة طوله أتعب (المشط) وهو يبدي تعجبه من سهر هذا العاشق.

وفي هذا المعنى يقول المرار بن منقذ: (٢)

تُهلِكُ المِدَارَةُ* في أفنائه فإذا ما أرسلته ينْعِفِر

يقول هذا الشعر أتعب المشط كثيراً عند تسريحه، يشبه الأغصان إذا هي جدلته وإذا أطلقت فانه يصل إلى الأرض.

يقول أحمد عوض الكريم أبو سن في سواد الشعر : (٣)

ديسا القادا هضيلم النعام الفزن

جيذا الباهي كل حزن بيطرد حزن

شبه شعر هذه المرأة بريش النعام في النعومة والسواد.

يقول امرؤ القيس في صفة السواد : (٤)

وَفَرَعٌ يُعْشِي المَتْنَ أسود فاحم أثيثَ كَقَتْنِ النَّخْلَةِ المتعَثَلِ

يقول هذا الشعر أسود اللون كما أنه يشبه أغصان النخل المحملة بالثمار.

الواضح أن الصفات المتفق عليها بين شعراء العامية والفصحى هي النعومة والطول والسواد. في الشاهدين الأخيرين شبه كلا الشاعرين الشعر حسب معطيات بيئته.

(١) عبد الله على إبراهيم وأحمد عبد الرحيم نصر، أدب الرباطاب الشعبي، ص (١٤٢)

(٢) المفضليات، ص (٩٠)

*المرار بن منقذ، بفتح الميم وتشديد الراء، شاعر إسلامي عاصر جرير والفرزدق.
*المدارة: المشط

(٣) حسان أبو عاقلة، من عيون الشعر القومي في البطانة، ص (٥٠)

(٤) ديوان امرؤ القيس، ص (١٦)

*أثيث: كثير النبات، *القنو: العنق، *المتعَثَل: المتداخل في بعضه

العنصر الثاني :

وصف العيون

(أ) الحور والكحل :

يقول أحمد أب تلة* : (١)

عينيك دعة اللينة المنحضن

يا حافظ المكروه لا يلحظن

شبه عينيها بعين الجدي الصغير، ودعة تعني شدة السواد مع شدة البياض وهو الحور في الفصح، وهو يسأل الله ألا يصيبها مكروه.

وهذا عدي بن الرقاع العاملي يصف الحور في قوله : (٢)

لولا الحياء وإن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

فكأنها بين النساء أعارها عينية أحور من جآذر جاسم

كأنها استعارت عيني جدي والحور هو شدة البياض مع شدة السواد.

تشبيه العيون بعيون الغزال

قال أحد شعراء الرباطاب وهو عبد الحفيظ محمد أحمد : (٣)

لونك بندقاوي وتبري أصهب

عينيك ود أريل والسنون شب

البندقاوي هو اللون الذهبي نسبة إلى البندقية ، وهي ليست ذهبية اللون في الحقيقة بل يشبه لونها لون القمح ووجه الشبه هو الصفار حيث درجنا في العامية على وصف البشرة فاتحة اللون بالصفار نقول (فلان أصفر) كما أن عينيها تشبهان عينا الريل.

يقول علي بن الجهم : (٤)

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

،شبه عيون فتيات الرصافة بعيون الأطباء في الجمال والانتساع.

(١) عبد القادر عوض الكريم ،دراسات في الأدب الشعبي،ص (٥٠)

* أحمد أب تلة،عابد من المتصوفة يشهد له بالتقوى والصلاح

(٢) ابن الشجري ،الحماسة الشجرية ،ص(٦٨١)

* عدي بن الرقاع العاملي شاعر كبير من أهل دمشق كان معاصرا لجرير مهاجيا له

(٣) د.الطيب أبو سن ،الشعر الشعبي عند الرباطاب ،ص (١١٨)

* عبد الحفيظ محمد أحمد من شعراء منطقة الرباطاب،اشتهر بالشعر الغزلي

(٤) ابن الشجري ،الحماسة الشجرية ،ص (٦٨٩)

وعثمان ود جماع البطحاني يورد صفة الحور في قوله: (١)

عيونا كبار وحوراء ظبية ريل

سماحة قاصرات الطرف في التنزيل

يظهر الأثر الإسلامي في ذكر الحور العين .

وقول جرير في وصف العيون بالحور: (٢)

إن العيون التي طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

هذه عيون جميلة تقتل بجمالها ولا تهتم لمن قتلت .

يقول ود الفرائش في وصف العيون الكحيلة: (٣)

دغس من غير كحل عينيها زرق

تقول ود الأريل الأماتو برق

(الزرقعة) عندنا تعني السواد وهي عيون كحيلة تشبه عيون الريل.

(ج) النعاس :

قول محمد علي عبد الله (الأمي): (٤)

أنت صاحي ولا نائم

ولا طرفك من طبعو نعسان

ويذكر أبو نواس النعاس في قوله: (٥)

ضعيفة كر الطرف تحسب أنها قريبة عهد بالإفاقة من سقم

وقول عدي بن الرقاع: (٦)

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

رنقت مفردة تحمل معنا حميم وهو نظرة مملوءة بالأمل .

(١) ديوان عثمان ودجماع البطحاني، ص (٧٤)

(٢) ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان أمين طه دار المعارف بمصر، ص (٧٥٣)

(٣) ديوان ود الفرائش، ص (٥٣)

(٤) صلاح الدين المليك، فصول في الأدب والنقد، ص (٣٢)

(٥) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٦٨٣)

(٦) المرجع السابق، ص (٦٨٢)

العنصر الرابع :

وصف الأسنان :

قال بشرى البطانة في جمال الأسنان وبياضها : (١)

متين يحظي تعسك يندرق بققاي

وأشوف البسمو زي برق الدجا الا لاى

شبه الابتسامة بلمع البرق دلالة على شدة بياض الأسنان .

وقول سلامة بن جندل في وصف بياض الأسنان: (٢)

تَجْرِي السَّوَاكِ عَلَى غُرِّ مُقْلَجَةٍ لَمْ يَغْرِهَا دَنْسٌ تَحْتَ الْجَلَابِيبِ

دلل على بياض الأسنان في قول (غُرِّ) كما أشار إلى أنها أسنان مقلجة وهو بعد جمالي في أعراف الكثير من الناس.

٢ – ويقول أحمد أبو عاقلة أبو سن في تشبيه الأسنان بالأحجار الكريمة : (٣)

الليل فوق ضهرك بهيم لا نصو

أسنانك صف الماس المنظم صفو

شبه الأسنان بالأحجار الكريمة في بريقها ولمعانها .

ويقول البحتري مشبهاً الأسنان بالؤلؤ : (٤)

كانما تضحك عن لؤلؤٍ منظم أوبرد أو أقاح

ويقول ود السميري في تشبيه الأسنان بالبرق: (٥)

ريقك عجو الأكباد ما يطممن

وفواطرك بروق قادن غاممن

(١)د:سعد عبد القادر ،مع الدوبييت ،ص (١٨٤)

*بشرى إبراهيم علي من أبناء شرق البطانة قرية قرقيس ،تخرج من جامعة الجزيرة كلية هندسة الحاسوب ينتمي إلى ثلاث قبائل الشكرية ،البوادرة ،اللوحيين ،

(٢)المفضليات ،ص (١٢٠)

*سلامة بن جندل ،شاعر جاهلي قديم كان من فرسان العرب المعدودين وأشداهم

(٣)حسان أبو عاقلة أبو سن ،من عيون الشعر القومي في البطانة ،ص (٦٢)

(٤)ديوان البحتري ،المجلد الثاني ،ص (٢٣٦)

(٥)حسان أبو عاقلة ،من عيون الشعر القومي في البطانة ،ص (٩٥)

وقول المرقش الأكبر*مشبهاً الأسنان بالبرق : (١)

وَذُو أَشْرٍ شَتَّيْتُ النَّبْتَ عَذَبٌ نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرُّودٌ

شتيت النبت تعني الأسنان متفرقة أى مفلجة وهي تشبه البرق في بياضها ولمعانها والبياض دليل على نظافة الأسنان ، نلاحظ ان الفلج صفة محببة عند الشعراء العرب .
العنصر الخامس :

النكهة الطيبة وعذوبة الريق

يقول محمد زين اللحوى مشبهاً عذوبة الريق باللبن : (٢)

سَنَكُ بَرَقِ الْهَرَجَتِ

وَرِيْقَتِكَ لَبْنِ الدَّرَجَتِ

الهرجت هي الأمطار الغزيرة و (الدرجت) هي الناقة وريقها في عذوبتها يشبه لبن هذه الناقة .

ويقول كثير عزة في هذا المعنى : (٣)

سَبَّته بِعَذْبِ الرِّيقِ صَافٍ غُرُوبِهِ رَقِيقِ الثَّنَايَا بَارِدٍ لَمْ يُفْلَلِ

ريق عذب بارد والعرب تصف الريق بالبرودة استحساناً له.

المدني الكردوسى يصف عذوبة الريق: (٤)

فِي آخِرِ النِّعَايِمِ نَعْمَةٌ إِنْ فَازَ بِبِهَا

وَشَرَبَ الصَّافِي مِنْ فَاهَا وَزَلَالَ شَفْتَيْهَا

هي ذات ريق عذب ونكهة طيبة تشبه الماء الصافي في عذوبته .

ولكثير عزة أيضاً: (٥)

بَأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا لِمَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَقَدْ لَاحَ ضَوْءُ النَّجْمِ أَوْ كَادَ يَنْجَلَى

(١)المفضليات،ص(٢٢٤)

*هو عمرو بن سعد بن مالك والمرقش لقب له من متيمى العرب وعشاقهم وفرسانهم

(٢)د.سعد عبد القادر،مع الدوبيت،ص(١٥٠)

*محمد زين اللحوى من القصارف منطقة القردود،كان متيماً بأُم عيسى وسترده قصتهما لاحقاً

(٣)ابن الشجري،الحماسة الشجرية،ص(٦٦٦)

(٤)د.سعد عبد القادر،مع الدوبيت،ص(١٥٤)

*المدني الكردوسي

(٥)ابن الشجري،الحماسة الشجرية،ص(٦٦٧)

ويقول صديق عباس نافياً أن تكون عذوبة الريق مستجلبة، بل هي فطرية : (١)
فيك خلق الجمال تامات وسمحة لون

فاطرك فرو يلمع وزاكي غير معجون

هذه المرأة زكية الأنفاس دون الحاجة إلى استعمال المعجون أو السواك .

ولابن الرومي أيضاً في فطرية الريق العذب : (٢)

وما تَعْتَرِيهَا آفَةٌ بَشْرِيَّةٌ من النَّوْمِ بل تزدادُ طيباً وتَعْطُرُ

طيب النكهة وعذوبة الريق من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الإنسان رجلاً كان أو امرأة، ونسبة لأهمية هذا الأمر جاء التوجيه النبوي في قوله صلي الله عليه وسلم : (لولا أن أشق على امتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة). (٣)
وذلك من الفطرة ولعل من أكثر الأشياء إيذاءً للنفس السوية الروائح النتنة التي تنبعث من الإنسان سواء أكان ذلك من رائحة العرق أم البخر أم أي رائحة أخرى
العنصر السادس :

المشي وثقل الأرداف

يقول ود الفراش في صعوبة المشي لثقل الأرداف : (٤)

كفيل المنتني العلاهو ربو يناتل فيهو داير يتقلبو

هذه الأرداف لشدة ضخامتها تجاهد صاحبها المشي حتى تكاد تنقلب على وجهها .
وفي هذا يقول أبو العتاهية : (٥)

بَدَتْ بَيْنَ حَوْرٍ قِصَارِ الخُطَى تُجَاهِدُ بِالمَشْيِ أَكْفَالُهَا

الصورة متقاربة في ثقل الأرداف وصعوبة المشي.

(١) د.سعد عبد القادر، مع الدوبيت، ص (١٨٠)

(٢) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٦٧٠)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٨٤٧)

(٤) ديوان ود الفراش، ص (٢٨)

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء الرابع، (أخبار أبي العتاهية) ص (٣٥)

يقول ود الفراش في صعوبة المشي الناجم عن ثقل الأرداف : (١)

عناق التوتو الخضر عسينا

تُقود الديس على الرُوبة الدهينة

بتتسند تقول ماسكاها طينة

ويقابلة قول الأعشي : (٢)

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

هذه الصورة شائعة في الشعر العربي والشعر الشعبي فهذه المرأة ثقيلة لضخامة أردافها.

ولود الفراش صورة أخرى قليلة الاستخدام : (٣)

عناق التيتل الخضر تبوكة

تقود الديس على الرُوبة الدهوكة

تنسند تقول طاعناها شوكة

سبقه إليها الأعشي بقوله : (٤)

هركولة فُتق دُرْم مراففها كأن أحمصها بالشوك منتعل

صورة قليلة الاستعمال في الشعر فهي ترفع أقدامها ، بخفة كأنها تمشي على الشوك

ود شاوراني يصف طي الأرداف للثياب : (٥)

ردفك طاوي لينك عن متانيك جايبو

إنت ثنوك ما حرق كبدنا لهايبو

(١)ديوان ود الفراش،ص (٢٨)

(٢)ديوان الأعشى الكبير،ص (١٠٥)

(٣)ديوان ود الفراش ،ص (٢٨)

(٤)ديوان الأعشى ،ص (١٠٥)

(٥)إبراهيم سالم البطحاني ،مسابير البطانة ،ودشاوراني ،ص(٣٠٤)

انطوت الثياب على الأرداف في إشارة للضخامة.
وللأعشى أيضاً : (٢)

روادفة تنثي الرداء تساندت الى مثل دعص الرملة المتهيل

نقول إن هذه الصورة التي رسمها هؤلاء الشعراء للمرأة ضخمة الأرداف التي تعجز عن المشي لم تعد مقياساً من مقاييس الجمال لهذا الزمان فقد تغيرت المفاهيم . وربما استغرب الناس أو سخروا إذا رأوا امرأة بهذا الشكل إذ لاتواكب متطلبات العصر التي تنادي بالرشاقة وخفة الحركة بل وتعتبر خفة الجسم مقياس للجمال، فالمرأة اليوم لم تعد (نؤوم الضحى) فهي متعلمة وعاملة ولها دور فاعل في المجتمع سواء أكان ذلك داخل بيتها أم خارجه.

ولكن لازالت هناك مواصفات قديمة مطلوبة مثل جمال العيون واللون والأسنان والشعر الطويل .

العنصر السابع :

وصف مغامرات الشاعر النسائية :

هذا الضرب من المغامرات كان منتشر في البوادي حيث أن المساكن سهلة الاختراق فهي عبارة عن خيام .

قال ود الفراش يصف مغامراته النسائية في دخول منزل إحدى الحسان : (١)

رسلت الفريخ شداها جابا

ترا أم كراب محدرة فوق سنايا

دخلت البيت على جضن كلابا

تقول (وي هيلمن أودهن برابا)

يبدو أنه دخل المنزل ليلاً ومما يجعلنا نعتقد ذلك قوله (جضن كلابا) إذ أن الكلاب غالباً ما تنبح القادم ليلاً . وهو قد أبدل الحروف شأنه شأن الكثير من الناس في قوله (جضن) بدلاً عن (ضجن) .

(١)ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، ص (١٤٠)

(٢)ديوان ود الفراش، ص (٧١)

والكلمات الأخيرة (وي هليمن أودهن برابا) كلمات بجاوية تعني(يا ويلاه الناس لم يناموا) اذاً هي فوجئت بدخوله فخافت افتضاح أمرها .
وأظهر (ودالفراش) مقدرة كبيرة في استخدام اللغة البجاوية في الدوبيت بشكل يتفق مع المعنى والوزن وكان قد عاش فترة طويلة مع البجا وذلك بحكم عمله .

وشبيه بهذه المغامرة قول امرئ القيس يصف مغامرة : (١)

ويومَ دخلتَ الخدرَ خدرَ غُنيزةٍ فقالت لكِ الويلاتِ إنَّك مُرْجَلِي

تقولُ وقد مَالَ الغبيطُ بنا معاً عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزل

يصف دخوله خدر غنيزة التي أدهشها دخوله عليها وأذهلتها جراته وهي بذلك تتمتع وهي راغبة.

أما دخول ود جماع البطحاني على صاحبتة فهو مختلف :

يقول : (٢)

دخلت البيت على عَنز القنوب أم خدْ

وجد ونسة وحلاوة نغمة وسماحة ردْ

يفوح من جسمها الني الفرير والنْدْ

واتونسنا عقبان السَّما التَّهْدْ

اذاً هي موافقة على دخوله فهو تسامر معها واستمع إلى حديثها الطيب ووصف جسمها (الني) يعني (اللدن البض) وهي تفوح منها روائح زكية ويختم قوله بأنه قد نال ما تمني ولا يهमे إذا اتهدت السماء.

(١)ديوان امرئ القيس ،ص (١١)

*الغبيط :الهودج

*مرجلي:تاركي امشي علي رجلي

(٢)ديوان عثمان ود جماع البطحاني،ص (٢٦)

وهذا الدخول المطمئن دخله المنخل اليشكري : (١)

ويقول في ذلك :

ولقد دَخَلْتُ على الفتاةِ	الخِدرَ في اليومِ المطيرِ
الكاعِبِ الحسناءِ تَرْفُلُ	في الدَّمَقسِ وفي الحريرِ
فَدَفَعْتُها فتَدَا فَعَتْ	مَشَى القِطَاةِ إلى الغديرِ
ولثَمْتُها فَتَنَفَسَتْ	كَتَنَفَسَ الظُّبَى البَهِيرِ
فَدَنَّتْ وقالتِ يامُنْخَلُ	ما بجِسمِكَ من حرورِ

هذا الكلام يعني موافقتها الضمنية فهي قد تجاذبت معه أطراف الحديث وسألته عن سبب سخونه جسمه.

(١) الأصمعيات، ص (٦٠)

المبحث الثالث

الغزل العذري

الغزل العذري نشأ في بادية نجد والحجاز وينسب الغزل العذري إلى بنى عذرة . أو ما يعرف بالعذريين ويكون الهيام فيه بحبيبة واحدة تشغل العقل حبا والقلب هياما والشعر عند هؤلاء العذريين أقرب إلى شعر المأساة لأن المحب لم يهنأ بمن أحب ولم تكتمل قصة حبهما وغالبا ما تحدث فرقة بين الاثنين فالتقاليد والعادات قد قضت ألا يتزوج الشاعر بالفتاة التي قال فيها الشعر مخافة أن تنتهم في عفتها . فيهمم العاشق على وجهه لا يعلم عن الدنيا شيئا ولعل أشهر هؤلاء العذريين مجموعة على رأسها قيس بن الملوح والذي يعرف بمجنون ليلى وقد فقد عقله بسبب فقدته لليلى وقيس بن ذريح الذي هام حبا بلبنى وجميل بن معمر والذي يعرف بجميل بثينة وكثير عزة والغالب على هؤلاء أن الناس لم يعرفوا أسماءهم إلا وهي مقترنة بمحوباتهم بصورة كادت تغطي على أسمائهم الحقيقية . وشبيه هؤلاء في شعرائنا الشعبيين علي ود محلق والذي يعرف بالمحلق وقد هام حبا بتاجوج وخلدها شعرا وهما من قبيلة الحمران . أيضا من اللحيين محمد زين اللحوي والذي هام حبا بأم عيسى وقد صاغ الأثنان مأساتهما شعرا يردده الناس في البوادي والمدن .

أولاً :

المحلق وتاجوج :

أورد نعوم شقير في كتابه تأريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته قصتهما ونقلها كما أوردها :

(تاجوج بنت الشيخ أوكد شيخ الحرمان ظهرت في أواسط القرن التاسع عشر وكانت أبرع الناس في الحسن والجمال حتى كان الناس يفدون من كل صواب للتفرج على جمالها . وقد تزوجها أولا ابن عم لها يسمى محلقا وكان يحبها حبا شديدا يقرب إلى العبادة فطلب منها ذات يوم ان تتمشى أمامه متجردة من ثيابها فابت فألح عليها فتكدرت من إلحاحه وقالت : إذا أجبتك إلى طلبك فماذا تفعل قال : كل ما تريدين قالت : أقسم أنك تبر بقولك فاقسم لها فتجدت ومشت أمامه ذهاباً وإياباً إلى أن قال لها كفي ثم قال : اطلبي الآن ما تريدين قالت أن تطلقني في الحال فطار صوابه لهذا ووقع على قدميها قبلهما ويسألها العفو ولما أصرت لم يجد بدا من البر بقسمه فطلقها وهام على وجهه ينشد في حبها الأشعار وحاكى فيها مجنون ليلى ومن أقواله :

أنا الجنب التعيس سويت بايدي

في كلمة مزاح قليت غميدي

فواطر أم قبيل ملح الرشيدي

تاجوج ما أتلت يا الخمله زيدي

وله أيضاً: (٢)

أمسى الليل وانجمع الشمل

واتلمم الحيوان حتى النمل

راقداً رقاد الديك فوق الحبل

يوماً بلا تاجوج ما بنحمل

(١) نعوم بك شقير، تأريخ السودان القديم والحديث، جغرافيته، تقديم د. فدوى عبد الرحمن مختار، الجزء الأول، دار عزة للنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٧، ص (٦٨)

*الجنب : المشؤوم

*فواطر : أسنان

*ملح رشيد: يضرب به المثل في البياض *الخملة: يقصد نفسه

وله أيضا :

بعد الدلكه مثل الملجة

وبعد العنقريب أب علجة

قول لنسيبتي أم فلجة

راقد فوق برش في الدلجة

ثم أن تاجوج بعد ما طلقها محلق تزوجها شاب من وجهاء قبيلتها وكان محلق أفرس منه فأخذ يترصده في كل حين يسلبه ماله ثم يرجعه إليه إكراما لتاجوج.

وبقى يتغنى بذكرها ويتأسف على فقدتها إلى أن مات قالوا ولما اشتد عليه المرض أكثر من ذكر تاجوج وألح على أهله أن يمكنوه من رؤيتها قبل موته فذهبوا إلى تاجوج وأخبروها بما صار إليه محلق فرقت له وجاءت معهم . وكان المكان غاصا بالنساء اللواتي كن ينددن بها ليصرفن قلب محلق عنها فلما أطلت لم يسعهن إلا الوقوف احتراما لها وإعجابا بجمالها وأجلسنها إلى جانب سرير محلق فلما رآته على تلك الحال وقد هزله المرض وأضناه الوجد تنهدت وقالت إلى هذه الحال صرت (يا عشاي) وأنا لا أدري ثم وضعت رأسه على ركبتهما وكان قد أغمي عليه فأفاق من إغمائه وشخص إليها وأنشد :

أتاري يا أم قبيل الغي عباده

مسحوك بالعطر والناس مراضة

حسيسك في الضمير قاطع الكبادة

تكتلي الزول سريع قبل الشهادة

ثم شهق شهقة وأسلم الروح فأخذت تاجوج والنساء حولها يبكين ويذرين التراب على رؤوسهن وبندنبه إلى أن دفن ...) (١) انتهت القصة التي أوردها نعيم شقير .

(١) نعيم شقير ، تأريخ السودان ، ص (٦٩)

*الملجة:الملساء ،*أب علجة:مفروش بالحرير ، *أتاري:حقاً ،*أم قبيل :الجميلة،*الغي: شدة العشق

وله أيضاً: (١)

طول الليل مساقد وليلي كُلوَ هموم
بحسب في كواكب الليل بدور ونجوم
البنوت برا ست الحشا المروم
يا ازرائيل تعال لملم عقابهن قوم

وله أيضاً: (٢)

طول يا ليل على من ساهرك واعيك
وكرّ يا ديك أريتك زاملة للساعيك
البنّت أم حديثا يشبعك يرويك
وقعت في حدار* فارساً بخمش الكيك

وله: (٣)

أشرب ما يرويني شراب هيني
وأدخل في البحر يابسات مصاريني
أنوح ما لقيت حيا يباكيني
بلا نوريق سواقي مين يحاكيني

وله أيضاً: (٤)

طول يا ليل على من شامل الأوكات
وخرخر يا جبين وغلب السكات
لامن غاب سهيل وعد أم براطم فات
قاعد في رجا تمر المحس ماجات

(١) حسان أبو عاقلة، من عيون الشعر القومي بالبطانة، ص (٦٨)
(٢) الطيب محمد الطيب، تراث الحمران الشعبي، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم
ص (٥٣)
* حدار: حماية
(٣) المرجع السابق، ص (٥٩)
* أم براطم: أم حدود

نلاحظ أن كل معاني شعر المخلق تعبّر عن مأساته لفقده تاجوج فهو يعبر عن طول ليله ودموعه التي لم ينقطع جريانها ويمكن أن نلخص معاناته في الآتي :

اولاً: أعرب عن شديد أسفه للمزاح الذي أدى إلى انهيار حياته فهو قد أقر بأنه تعيس وذكر حقيقة المزحة التي أدت إلى هذه النهاية.

ثانياً : سهره الليالي الطوال وقد نامت كل المخلوقات فيما عداه .

ثالثاً : وصفه لتاجوج وجمالها وزهده في النساء دونها حتى أنه يتمنى لو أن ملك الموت يقبض أرواحهن كما أنه انصف الرجل الذي تزوجته بعده ووصفه بأنه فارس، وأظهر معرفته بثقافة المزارعين لوصفه أنين السواقي وذكر النوريق وهو (عمود رئيس في الساقية) أيضاً هو يعرف النجوم وأسماءها ويمكنه أن يميز سهيلاً عن بقية النجوم وهو قد اتصل بالمحس وهو يعرف أن تمرور المحس من أشد التمور الموجودة حلاوة لذلك شبه تاجوج بها .

هذه المعلومات تشير إلى عمل المخلق مع الهمباته فقد ذكر الطيب محمد الطيب . أن (ود مخلق) عمل ردحا من الزمن في الهمبته، والهمباته يجوبون كل بقاع السودان ولا يستقرون في مكان واحد . (١)

والحمران يتحفظون كل التحفظ عند الحديث عن تاجوج والمخلق وليس من السهل التحدث عنهما مع أحد منهم .

ويعتقد بعضهم أن هذه القصة إنما هي أسطورة نسجها العقل الجمعي لقبيلة الحمران وربما كان هناك أصل لهذه القصة ولكن زاد عليها التداول أو نقص منها كما هو حال الأدب الشعبي ككل .

(١) الطيب محمد الطيب ،تراث الحمران الشعبي ص (٤٣)

ثانيا :قيس وليلى

ومن أشهر قصص الحب العذري قصة قيس وليلى والتي ذاع خبرها وانتشر حتى أصبحت مضرب الأمثال وقد سمي قيس بمجنون ليلى لشدة ولها وهيامه بها والقصة كما يرويها أبو الفرج الأصفهاني :- (١)
(هو قيس بن الملوح بن مزاحم وقد قال عنه الأصمعي : لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثة أحدثها العشق فيه ، كان يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى ، واسمه قيس بن معاذ ذكر هشام بن محمد الكلبي أنه قيس بن الملوح وأن أباه مات قبل اختلاطه فعقر على قبره ناقته وقال في ذلك : (٢)

عقرتُ على قبرِ الملوّحِ ناقتي بذى الرمثُ لَمّا أن جفاه أقاربه
وقلت لها كوني عقيراً فإنني غداة غدٍ ماشٍ وبالأمس راكبهُ

مما يؤكد أن اسمه قيس بن الملوح .

وكان قيس يهوى ليلى وهما حبيبان فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلها فلم يزاالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه ويدل على ذلك قوله : (٣)

تعلقتُ ليلى وهي ذات ذؤابةٍ ولم يبد للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البهْمُ ياليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهْمُ

يحكي قصة هيامه بليلى منذ طفولتها وهي لم تبلغ بعد مبلغ النساء ويتمنى لو أنه لم يكبر ويتحسر على حبه الضائع .

ولما أشتهر أمر قيس وليلى، تناشد الناس شعرة فيها ، خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء .

وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشر من الإبل وراعيها فقال أهلها نحن مخيروها بينكما فمن اختارته تزوجته ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختاري ورداً لنمثلن بك فاختارت ورداً وتزوجته على كره منها .

(١)أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني،الجزء الأول،ص (١٦١)

(٢)المرجع السابق،ص (١٦٢)

(٣)المرجع السابق،ص (١٦٤) — (١٦٩)

ويروى أنه مر بزواج ليلي وهو جالس يصطلي في يوم شات وقد أتى ابن عم له في
حي المجنون لحاجة فوقف عليه وانشأ يقول :

بربك هل ضمنت إليك ليلي قبيل الصبح أو قبّلت فاها

وهل رفّت عليك قرون ليلي رفيفاً الأفعوانة في نداها

فقال ، اللهم إذ حلفتني فنعم ، قال فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر فما
فارقهما حتي سقط مغشياً عليه وسقط الجمر مع لحم راحتيه فعض على شفته فقطعها
فقام زوج ليلي مغموماً بفعله متعجباً به .

ويروي أنه لما منع أبو ليلي للمجنون وعشيرته من تزويجه بها كان لا يزال يغشى
بيوتهم ويهجم عليهم فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه لهم فاخبروه بذلك ولم يهتم
فأرتحلوا وابتعدوا وجاء المجنون عشية فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بلاقع فقصد
منزل ليلي الذي كان بيتها فيها فألصق صدره به وجعل يمرغ خديه على ترابه ويبكي
وانشأ يقول :

أيا حَرَجاتِ الحيّ حين تحمّلوا بذني سلمٍ لا جادكنّ ربيعُ

ندمت على ما كان مني ندامةً كما ندم المغبونُ حين يبيعُ

وله أيضاً :

فوا كبدًا من حبٍ لا يحننُ ومن زفراتٍ ما لهن فناءُ

أ تاركتي للموت أنت فميتٌ وما للنفوس الخائفات بقاءُ

يتفجع على كبده والملاحظ أن العشاق والمحبين دائماً ما يذكرون الكبد باعتبارها مكن
العشق وليس القلب ؟

وهو يقول إن زفراته وآهاته ليس لها نهاية وهو يتحدث عن كونه ميتاً لتركه ليلي .

(١) الأغاني ، الجزء الأول ، ص (١٧٠)

(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص (١٧٦)

(٣) المرجع نفسه ، ص (١٧٧)

وله أيضاً :

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا
اقضي نهاري بالحديث وبالمنى
لي الليل هزنتى إليك المضاجعُ
ويجمعني والهَمُّ بالليل جامعُ
لقد ثبتت في القلب منك محبة
كما تثبت في الراحتين الأصابعُ
يتحدث عن ليله الذي لا يشبه ليل الناس فهو مضطرب لا يستطيع النوم من ألم الهوى
وهو يقضي نهاره متأسياً بالحديث إلى الناس ولكن الليل يبقى فيه وحيداً ليس له انيس
سوى الهم.
ولقد أكد على حبه ليلي كما تبقى الأصابع ثابتة في اليدين

أوجه الشبه بين القصتين :

يعتقد أن هنالك شكاً كبيراً في قصة مجنون ليلي حيث ذكر الأصفهاني أن كثيراً
من الناس من بينهم بنو عامر أنفسهم لم يتعرفوا على قيس وأنكروا وجوده بينهم
قد ذكر أيضاً أن كثيراً من العشاق قالوا الشعر ونسبوه إلى قيس وكل ماذكر شاعر اسم
ليلي في شعره نسبوه لقيس أي أن قيساً قد يكون شخصية أسطورية ، ذكرنا أيضاً أن
قصة تاجوج والمحلّق قد تكون من إنتاج العقل الجمعي للحرمان أضاف إليها الرواة
وحذفوا منها مما يؤكد شعبية القصتين.

وان كان هذا صحيحاً فليس هذا مجال بحثنا وإنما نهتم بالشعر الذي ورد على لسان
الشاعرين .

(١) عبر كل من الشاعرين عن عميق أسفة وشديد ندمه على ذنب اقترفه فهذا المحلق
يقول :

أنا الجنب التعيس سويت بإيدي

في كلمة مزاح قلت غمضى

وهذا المجنون يقول :

ندمت على ما كان مني ندامة
كما يندم المغبون حين يسيع

(٢) ذكر كلا الشاعرين الكبد باعتبارها موطن العشق

هذا المحلق يقول :

حسيسك في الضمير قاطع الكبادة

مسحوك بالعطر والناس مراضى

والمجنون يقول :

فوا كبداً من حب من لا يحنن ومن زفرات مالهين فناء

وقولة أيضاً :

فقد طال امساكي على الكبد التي بها من هوى ليلى الغداة صدوع

(٣) طول الليل عند الشاعرين

قول المحلق:

أمسى الليل وانجمع الشمل

وتللمم الحيوان حتى النمل

راقداً رقاد الديك في الحبل

يوماً بلا تاجوج ما بنحمل

وقوله :

طول يا ليل على من ساهرك واعيك

وكر يا ديك أريتك زاملة للساعيك

وقوله المجنون :

نهاري نهار الناس حتي إذا بدا لي الليل هزنتي إليك المضاجع

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم باليل جامع

(٤) بعد المسافة بينهم وبين محبوباتهم

قول المحلق :

فواطر أم قبيل ملح الرشيدي

تاجوج (ما اتلقت) يا الخملة زيدي

وقول المجنون :

كيف السبيل إلى ليلى وقد حجبت عهدي بها زمناً ما دونها حب

ثانياً :

محمد زين اللحوي وام عيسى

وهو من قرية ود النابر من ناحية القصارف وكان زوجاً لبنت عمه (أم عيسى) وكان يحبها حباً شديداً حتي رآها تاجر فاغرى أباهما بالمال . فاتفقا على التفريق بين محمد زين وزوجته خرج أبوها إلى محمد زين بصحبة بعض الشبان فحلف عليهم بالطلاق أن يطيلوا البقاء عنده ليكرمهم فأبوا وتضيف رواية أخرى أن عمه حلف بالطلاق – بعد حلف محمد زين ألا يقيموا عنده فوق طلاق محمد زين الذي جن ومرض مرضاً شديداً مات فيه . (١)

وهذه قصة تشبه من بين قصص الحب العذري ، قصة قيس بن ذريحولبنى ويقال ان قيس رأى لبنى في بعض أسفاره فأحبها وطلبها زوجاً له فمنعه أبوه ثم لان فتم الزواج . وعاد فغير رأيه وسعي في تطلقة أياها فحار قيس بين من يحب وما يطلب أبوه وأخيراً نزل عند رغبة أبيه فطلقها وطلق معها سعادته وهناءة عيشه ، وراح يبكي ويتحسر حتى مرض وزاد مرضه ثقلأ أن تزوجت لبنى غيره ففقد بذلك عقله وصبره . ونحل جسمة إلى أن قضى صريع الحب ... (٣)

وقد قال محمد زين في الرحيل :

أهلك رحلوا وحاحو

وبي كتارهن راحو

وشك بي شلاخو

قمرأ لاقى صباحو

أهلك رحلوا ودرجو

على المرضان ما عرجو

يابكيرة الاتقرجو

البكا للزول شن فرجو

(١) د.سعد عبد القادر ، مع الدوبيت ، ص (٦١)

(٢) د.يوسف عيد ، ديوان العذريين ، دار الجيل ، بيروت ، ص (٣٦٧)

(٣) د.سعد عبد القادر ، مع الدوبيت ، ص (٦٢)

(وقول ابن ذريح: (١)
بانت لبُني فانت اليوم متبولُ
استودع الله إذ تفارقني
في ذكر الكبد:
محمد زين : (٢)

والرأي عندك بعد الحزم مخمولُ
بالرغم مني وقول الشيخ مفعولُ

كبدي عليها انقصت

بالكركار انعست

وبالمحلب تتمشط

وقول ابن ذريح : (٣)
فوا كبدي وعاولدني رداعي
تكنفني الوشاة فازعجوني
الاستغراق في التفكير بحبها :

وكان فراقُ لبني كالخداعِ
فيا لله للواشي المطاعِ

محمد زين : (٤)

وبرا شغله البيت بغشا

برا تنادينني بقولك ها

وقول ابن الذريح : (٥)

ويثني بها الداعي فافيقُ

بلبني أنادي عند أول غشيةٍ

ذكر أوصافها الحسية :

محمد زين : (٦)

إن جاتو هبوب كلو يلين
طول رقبة ولون ايدين

الفرع الفي الجخين
فايته الصيد باثنين

قيس بن ذريح: (٧)

ومتن كغصن البان مصطمر الخصرِ

لها كفل يرتج منها إذا مشتُ

(١)ديوان العذريين ،ص (٤٠٢)

(٢)د.سعد عبد القادر ،مع الدوبييت ،ص (١٥٠)

(٣)ديوان العذريين ،ص (٣٨٦)

(٤)د.سعد عبد القادر،مع الدوبييت ،ص (١٥١)

(٥)ديوان العذريين ،ص (٣٩٨)

(٦)د.سعد عبد القادر،مع الدوبييت ،ص (١٥٠)

(٧)ديوان العذريين، ص (٣٨٢)

المبحث الثاني

النسيب

النسيب هو الوقوف على الأطلال والبكاء عليها ويدخل فيه الحنين إلى الأحبة والبكاء على من رحلوا وشدة اللوعة ومكابدة الأشواق فالمحب عانى من ويلات الحب ولا يجد سبيلاً لوصال من يهوى لدرجة أنه يرى طيفه في المنام وأحياناً يراه صحوً ، كما أنه يسهر الليالي الطوال لا يعرف طعماً للنوم فهو يراقب نجوم السماء كما لو أنه موكل بها ويعاني من النار المتقدة بداخله والتي لا يطفئها سوى لقاء من يحب .

وفوق كل ذلك يفتقد التركيز لدرجة أنه لا يتمكن حتي من أداء عباداته بصورة صحيحة ويزداد الامر سوءاً بتدخل الحساد والوشاة ليفسدوا ما بينه وبين من يحب .

العنصر الأول :

الوقوف على الأطلال :

يقول حسن سالم *من شعراء الرباطاب : (١)

ظعنوا يا خلي حباني رحلوا وهيجوا أحزاني

وله أيضاً :

حييت يا أوطاني أين سكانك يا مغاني

الوقوف على الأطلال وبكاء الراحلين قديم في الشعر العربي ونجد أن معظم المعلقات قد استهلّت بالوقوف على الأطلال ولعل الشعراء الشعبيين اقتبسوا هذا الوقوف في أشعارهم فالشاعر يقف على الأطلال ويسالها عن سكانها .
وامرؤ القيس من الرواد في هذا الوقوف وذلك في مطلع معلقته (٢)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

بكى الشاعر واستبكى من معه عند مروره بمنازل الأحبة والعرب في الجاهلية كانوا في معظمهم بدو يرتحلون من مكان إلى آخر طلباً للماء والكأ (وسقط اللوى ، الدخول، وحومل أسماء أماكن)

(١) عبد القادر عوض الكريم ،دراسات في الأدب الشعبي السوداني ،ص (٦٦- ٦٧)
*حسن سالم من شعراء منطقة الرباطاب، كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة شاعر رقيق ومطبوع ،كان يعمل في صناعة سروج الجمال.
(٢)ديوان امرئ القيس،ص (٨)

ويقول محمد علي عثمان بدري : (١)

مرضان باكي فاقد فيك علاج طبيبي
قالوا ترك سكونك يادار وين حبيبي

يتحدث إلى الدار يسالها عن احبائه وربما تخيل الدار كائناً يمكنه الرد عليه .

ووقف طرفة بن العبد على الأطلال في قوله : (٢)

لخولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

شبه بقاء آثار هذه الديار بالوشم على ظاهر اليد وبرقة تهمد مكان كانت تنزل فيه .

يقول إبراهيم ود علي سليمان المرغومابي : (٣)

رحلت يا علي ونزلت معالق شاور

وكيل جسمي كيل سم عقربا المتفاور

يخاطب الشاعر شخص اخر كان معه ويقول إنها رحلت إلى مكان اسمه معالق شاور وإن فراقها فعل فيه فعل السم في الجسد .

وقول امرئ القيس : (٤)

كأنّي غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمّرات الحيّ ناقف حنظل

بشبة مرارة الرحيل بمرارة الحنظل

وقول علي المساح* : (٥)

صياحك يا فراق يا خراب

ذكرت البين ليه يا غراب

خبن بانن تحت التراب

ديار أم زين كانن قراب

ويقول النابغة الذبياني : (٦)

عجلان ذا زادٍ وغير مَزودٍ

أمن آل مِيّة رائحٍ او مُغثدي

وبذاك نبأنا الغراب الأسود

زعم البوارح أن رحلتنا عدا

اتفق الشاعران في وصف الغراب بالشؤم،فصوت الغراب ينذر برحيل الأحباب.

(١) د.صلاح الدين المليك،فصول في الأدب والنقد؛ص (٧٣)

(٢) ابن الأنباري،المعلقات السبع الطوال،معلقة طرفة بن العبد،ص (١٣٢)

(٣) د.سعد عبد القادر،مع الدوبيت،ص (٤٦)

إبراهيم المرغومابي،ينتمي إلى المرغوماب وسمي شاعر الناقة لشدة حبه للإبل ويقال إنه أوصى بنيه أن يدفنوه في معاطن الإبل يسكن العريض من قرى حلفا الجديدة توفي في عام ٢٠٠٨

(٤) ديوان امرئ القيس،ص (٩)

(٥) علي محمود الترتزي،قبسات من شعر الحقيبة،ص (٨٢)

ولد علي أحمدادي في حوالي عام ١٩٠٠ بحي الإسبتالية بأمرمان نزع والده إلى ود مدني والشاعر لا يزال طفلاً،عمل ترزياً إفرنجياً بود مدني والمساح لقب له لأنه لم يكن يستقر في مكان واحد فهو كالمساح

(٦) ديوان النابغة الذبياني،ص (٣٨)

يستخدم العبادي اداة النداء في خطابه للدار في قوله : (١)

في وداعة الكريم الليلة في نيتي خاطر
ويا دار ريا ما كان الفراق بالخاطر

يودع الديار ويقول إنه ذاهب دون إرادته.

وهذا عنتره بن شداد يخاطب ديار عبلة في معلقته قائلاً: (٢)
يادارَ عبلةً بالجواء تكلّمي وعمي صباحاً دارَ عبلة واسلمي
العنصر الثاني :

الطيف أو الخيال

قول صالح عبد السيد أبو صلاح: (٣)

في الطيف أو في الصحيان
زورني يا حبيبي أنا عيان

يتمنى عليه أن يزوره سواء أكان ذلك في الحقيقة أم في الحلم فهو مريض ولكن ليس
مرضاً حقيقياً .

وقول البحتري: (٤)

سرى الطيفُ من ظمياءٍ وهناً فمرحباً وأهلاً بمسرى طيفِ ظمياءٍ من مسرى
إذا ما الكرى أهدى إلى خياله شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
ذكر مرضه من بعد الأحبة ولكن إذا زاره خيالهم فلا بد أنه سيشفي.
وقول عبد الرحمن الريح : (٥)

جاني طيفو طائف

لحاظو كالقذائف

وأنا من عيونو خائف

يخاف من نظرته التي تشبه القذائف.

(١) إبراهيم العبادي، مسرحية المك نمر، ص(٤٨)

(٢) ابن الأنباري، المعلقات السبع الطوال، ص (٢٩٦)

(٣) بروفيسر الفاتح الطاهر، مع رواد الأغنية السودانية، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، ص (٢٧)
ولد صالح عبد السيد بحي الموردة بأمر درمان في عام ١٨٩٠ شرب وترعرع وقرأ القرآن بخلوة الفكي
مكي حسن حسين ثم انتقل إلى الخرطوم بحري والتحق بمدرسة الأمريكان وعمل نجاراً بالحملة
المكنيكية، كان شاعراً مجيد ومطبوع، توفي العام ١٩٦٣ .

(٤) ديوان البحتري، المجلد الأول، ص (٥١)

*ظمياء: اسم امرأة، *وهنا: تعب

(٥) الروائع الحبيبة في أغاني الحقيقة، ص(٢٣)

قد خاف ابن الرومي قديماً من هذه النظرات في قوله: (١)

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام وتزعهن أليم

ويقال إن أول من ذكر الطيف هو عمرو بن قميئة في قوله : (٢)

نأتك أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً يوافي خيال

يخاطب الشاعر نفسه قائلاً : إن (أمانة) و هي غالباً محبوبته قد ابتعدت عنه ولم يعد يراها إلا في الخيال .

قول أحمد الفرجوني : (٣)

طيفك جاني بالليل والجمال شافنو

والطيف غالباً ما يزور ليلاً او في الساعات الأولى من الفجر وذهب الشاعر بعيداً في تصويره أن الجمال قد رأت الطيف بالرغم من وجوده في مخيلته هو .

وقد ذكر الرضي " رضي الله عنه " الطيف فقال : (٤)

إن طيف الخيال زار طروقاً والمطايا بين القنان فشغب

كان مسافراً وزاره الخيال وهو بين موضعي القنان وشغب .

قول محمد سعيد دفع الله* في حديثه عن الطيف : (٥)

قليل يا طيف أقيف وأرجاني وين فايتني عابر

شن حارس وراك أنا تاني ياني معاك مسافر

أما النوم أبى وجافاني واصبح داجي ساهر

حتى الطيف رحل وخلاني ما طيب لي خاطر

يرجو الطيف أن يبقى معه و يشكو من سوء حاله ، قله النوم وكثرة السهر وبلغ من سوء حاله أن الطيف لم يعد يزوره .

(١) ابن الشجري الحماسة الشجرية ، ص (٨٨٤)

(٢) المرجع السابق ، ص (٦١٢)

(٣) محمد الفاتح أبو عاقلة ، من خصائص الشعر الشعبي السوداني ، ص (٤٨)

(٤) ابن الشجري ، الحماسة الشجرية ، ص (٦٢٧)

(٥) نصر الدين سليمان علي فضل الله ، الشعر الشعبي عند الشايقية ، ص ١٨٣

* محمد سعيد دفع الله من منطقة القرير ريفي مروي مواليد عام ١٩٤٨ تخرج من جامعة الخرطوم كلية الآداب ، عمل بالإذاعة السودانية ، هاجر إلى السعودية ويعمل الآن مصححاً بمؤسسة الجزيرة الصحفية للطباعة والنشر بالرياض .

ويقول نصيب في الطيف : (١)

تَأْوَبَنِي طَيْفُ الْخِيَالِ الْمَوْرِقُ هُدُوءٌ فَهَبَ الْآلِفُ الْمُتَشَوِّقُ

يقول إن الطيف الذي زارة ليلاً قد أثار فيه لواعج قديمة وكأنها هبت من نومها .

العنصر الثالث :

الاشتياق عند نوح الطيور

قول محمد ود الرضي : (٢)

ينوحن ليل حماماتن همن عيني غماماتن

بريدن شوقي لي لماتن

يقول إن هذه الحمامات النائحة أثارت فيه الشوق والحنين للقاء الأحبه وجعلت عينيه تدمعان مثل مطر الغمام .

ذكر الصمه القشيري البكاء في قوله: (٣)

أَنْ سَجَعْتُ فِي بَطْنِ وَاِدٍ حَمَامَةٍ تُجَاوِبُ أُخْرَى مَاءُ عَيْنَيْكَ دَافِقُ

ذكر علي المساح الحمام في قوله : (٤)

حمامة الغصون صدّاحة فوق أغصانك

نُكْرِي لِي حَبِيبَ يَاحَمَامَةِ مَوْلَايَ صَانِكُ

يدعو للحمامة بالصون لأنها على ما يبدو ذكرته بالأحبة .

ويقول أبو جعفر المهلبى : (٥)

لَقَدْ هَيَّجَ الشَّوْقَ الْقَدِيمَ حَمَامَةً مُطَوِّقَةً وَرَقَاءُ بَانَ قَرِينُهَا

(١) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٦٢٥)

*نصيب بن رباح شاعر من العصر الأموي، رقيق، مطبوع، كان عبداً أسود

(٢) ديوان ود الرضي، ص (٣٢)

وهناك رواية أخرى هي : (ينوحن لي حمامتن) ولكن الحمام غالباً ما ينوح ليلاً فالرواية التي وردت هي الأقرب للصواب

(٣) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٥٩٧)

(٤) مبارك المغربي، رواد شعراء الأغنية السودانية، دار جامعة الخرطوم للنشر، سنة ٢٠٠٢، ص (٣٦٣)

(٥) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٥٩٦)

هذه الحمامة التي بكت لفراق زوجها ذكرت الشاعر بحاله وهيجت احزانه لأنه يعاني
الفراق مثلها .

وقول علي المساح : (١)

البلابل ناحت في الليل الهزيع

سهرنات عيونن مايبات الضجيع

يقول إن هذه البلابل ناحت في آخر الليل تأبي عيونها النوم ولا تريد أن تهدأ

وذكر قيس بن ذريحنوح البلابل في قوله : (٢)

إذا ذُكِرْتُ لُبْنَى تَأْوَهُ وَاشْتَكَى تَأْوَهُ مَحْمُومٌ عَلَيْهِ الْبَلَابِلُ

وقول حسن سالم : (٣)

مالك يابلِيبُ تَسْجَعُ نَهَارُكَ وَلَيْلُكَ

ومالك يابلِيبُ تَبْكِي وَتَبْكِي نَزِيلُكَ

يسأل البليب وهو (طائر أبيض) عن بكائه المستمر ليلاً ونهاراً ويتساءل عن سبب ذلك .

وقول جهم بن خلف : (٤)

أَبْكَيْتَ أَنْ عَنَّتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً وَرَقَاءَ تَهْتَفُ فِي الْغُصُونِ وَتَسْجَعُ

ذكر سجع الحمام وهو صوت الحمام الذي يشبه البكاء .

(١) علي محمود الترتزي، قبسات من شعر الحقيية، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، ص (٨١)

(٢) ديوان العذريين، ص (٤٠١)

(٣) عبد القادر عوض الكريم، دراسات في الأدب الشعبي السوداني، ص (٣٤)

(٤) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٥٩٦)

العنصر الرابع :

الدموع كثرة البكاء

قول إبراهيم العبادي يصف دموعه: (١)

سَال سَيْلَ الدَّمْعِ هَطَّالٌ

يَا عَازَةَ الْفِرَاقِ بِي طَالُ

هطال صيغة مبالغة من هطل وطال فراقه عمن يحب لذا جرى دموعه سيلاً.

يقابله قول المتنبي : (٢)

شَيْبُ رَأْسِي وَذَلْتِي وَنَحُولِي ودموعي على هواك شهودي

يقول أن الشيب والذل والنحول والدموع هي شهوده على حبه

قول بشرى البطانة : (٣)

أَنَا وَاللَّهِ مِنْ فِرَاقِ الْمَتَّبِرِ لُون

بشيل الليل نويح وارجا النهار مغبون

يقول إنه لفراق من يهوى يبكي ليله ويحس الغبن في نهاره .

وقول الآخر : (٤)

أَوْ مَا كَفَاكَ تَعْبُرِي وَنُحُولَ جَسَمِي شَاهِدًا

يسأله أن يرأف بحاله لأن البكاء ونحول جسمه شاهدان على حبه .

وقول إبراهيم العبادي : (٥)

أَقِيمِ اللَّيْلَ عَلَى سَاقٍ لِي طُلُوعِ الْفَجْرِ

وَأَحْنِ كَحْنِينَ شَفُوقِ دَمُوعِي أَنَا تَجْرِي

(١) علي محمود الترنزي، قبسات من شعر الحقيية، ص (٥٧)

(٢) ديوان المتنبي، المجلد الثاني، ص (٤٣)

(٣) د. سعد عبد القادر، مع الدوبيت، ص (١٩١)

(٤) نقلا عن هامش ديوان المتنبي، المجلد الثاني، ص (٤٤)

(٥) عز الدين إسماعيل، الشعر القومي في السودان، ص (٢٢٦)

يقول إنه لشدة ألمه كأنه ناقة فقدت ابنها.

قول الصمة بن القشيري : (١)

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معاً

عندما نهى عينه اليسرى عن البكاء بكت عينه اليمنى أيضاً .

وقول على المساح : (٢)

هاجت عبرتي ويا دموعي كيف حبسانك

وين تلقي المنام ياعيني غاب إنسانك

العبرة هي الدموع التي تغالب النزول ومن السهل نزولها عند أي مؤثر خارجي .

وقد بكى قديما الحار دلو فقال: (٣)

ظهرت فيا ها الأيام جروحا جداد

بتكدر وأنوح الليل على ما عاد

كثرة البكاء والذل هي أبرز سمات هؤلاء المحبين وهم يعبرون عن معاناتهم بالرغم من المحاولات المبذولة من جانبهم لدحر الدموع ومحاولاتهم الظهور بمظهر قوي إلا أن هذا كله لم يجدي نفعاً أمام سطوة الحب الذي ملأ عليهم أنفسهم وحياتهم .

العنصر الخامس :

الشوق وطول الليالي

يقول الحار دلو واصفاً طول ليله : (٤)

ها الأيام على زايد حصاراً معتوقة

أخذ ليلى تام غمدة نهار مابضوقة

(١) أبو تمام، ديوان الحماسة، القسم الثاني ، ص (٣)

(٢) مبارك المغربي، رواد شعراء الأغنية السودانية، ص (٣٠)

(٣) الطاهر عبد الكريم، من أشعار الحار دلو، ص (١٧)

(٤) المرجع السابق، ص (١٨)

"الحسار" كلمة مستخدمة بكثرة في الشعر الشعبي وتعني الشوق ويقول الشاعر أنه لم يغمض له جفن لشدة شوقه .

وقول المتنبي في الليل الذي يطول على المحبين : (١)
بئسَ الليالي سهرتُ من طربي شوقاً إلى من يبيت يرقدها

يقارن بين حاله في السهر والشوق بينما ينام الآخر قرير العين .

الصادق حمد الحلال : (٢)

اللَّيْلُ حِيلُو رَوْحَ وَنَجْمُو كُلُّ اتَوْعَ

وانا ودُ عيني أبي في نومو ما يترفع

ود العين هو إنسان العين وهو لم يذق طعم النوم في ليلته

قول أبي نواس : (٣)

أطال قصيرُ الليلِ يا رحمُ عندكم فإنَّ قصيرَ اللَّيْلِ قد طال عندنا

وما يعرفُ الليلُ الطويلَ وغمَّه من النَّاسِ إلا مَنْ تنجَّمَ أو أنا

يقول الحارثي : (٤)

إنْ أمسيت الليلَ على بعيدُ

وإنْ أصبحَ حَساراتُ أمْ نعيمٍ يتزيدُ

يسهر طول ليله وقد طال الليل حتى ظن أن الفجر لن يطلع وأصبح وهو يعاني من الشوق " لأم نعيم"

كان للحارثي عدد كبير من المحبوبات ،معظمهن من الجواري ولم يكن يتغزل في الحرائر (٥)

(١)ديوان المتنبي ،المجلد الثاني ،ص (٢٢)

(٢)د.سعد عبد القادر ،مع الدوبييت ،ص(١٤٠)

(٣)ديوان أبي نواس ،دار صادر ،بيروت،ص (٦١٥)

(٤)الطاهر عبد الكريم ،من أشعار الحارثي ،ص (١٠)

(٥)عبد المجيد عابدين والمبارك إبراهيم ،شاعر البطانة ،ص (٧)

قول سيد عبد العزيز في إحساسه بقصر المدة التي تجمعها بالأحبة (١)
في الغصون الرائعة يانعة فائقة زهور

ساعة يبنهن توزن دهور

وقول فضل الله محمد مقارناً بين قصر الساعة بقربه وطول الدقيقة لبعده: (٢)
الغريبة الساعة جنبك تبدو أقصر من دقيقة

والدقيقة وإنت مافي مرة ما بنقدر نطيقا

وهو يشبه قول ابن أبي دباكل الخزاعي: (٣)

يطول الليل لا أفاك فيه وحول نلتقي فيه قريب

رؤية خاصة للنظرية النسبية متناهية البساطة في الإحساس بالزمن
يقول مصطفى بطران: (٤)

دمعة الشوق كبي

حكم حبي أرعى نجم الليل

يستحث دموع الشوق على الانسياب لأن هذا حكم الغرام " أرعى نجم الليل " شبه
الاهتمام بنجوم الليل وكأنها أغنام ملزم بالاهتمام بها ومتابعتها وهذا التعبير تردد في
الشعر العربي .

محمد بن عبد الله الفقعسي: (٥)

وإنى لأرعى النّجم حتّى كأنني على كلّ نجمٍ في السّماء رقيبٌ

وقول جرير: (٦)

أرعى النّجومَ وقد مضتْ غوريّة عصبُ النجومِ كأنّهن صواري

يقول إنه يرعى النجوم وكأنها اغنام، وشبه بعض النجوم بقطيع من بقر الوحش

(١) التيجاني سعيد وأحمد سيد عبد العزيز، الشاعر سيد عبد العزيز، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي
، الناشر دار الاشقاء، ص (٩٤)

(٢) من الأدب الشفاهي

(٣) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص (١٢٦)

(٤) على محمود الترتزي، قبسات من شعر الحقيبة، ص (٧٧)

* محسي الأصل من جزيرة السكوت ولد بالخرطوم في عام ١٩٠٤ كان والده تاجراً ، عمل موظفاً كاتباً
بمصلحة السكة حديد، لم يتزوج لأنه فجع في هواه

(٥) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٥٦٦)

(٦) ديوان جرير، ص (١٥٤)

العنصر السادس نار الهوى وشدة الغرام

أب شقل الفادني : (١)

يا ديفة أب بركة الليل شرك ما اتفج

الليل بوبا وجمرك في عشوقك وج

يقول أصبح داخله أتون مستعر وأشد مايكون كذلك في الليل عندما ينام الناس ويبقى وحيداً يعاني الألم ويكابد الشوق .

وقول أبي فراس الحمداني : (٢)

تكادُ تُضيءُ النَّارُ بينَ جوانحي إذا هي أدكَّتها الصَّبابةُ والفِكرُ

يقول إن النار مشتعلة في داخله حتى أنها تكاد تضيء وتزداد اشتعالاً إذا تذكر أحبابه.

الصادق حمد الحلال : (٣)

انا يا خلي طير الهم على اتدلى

حرقان جوفي زي نار الكمينه اتلى

يقول هبط عليه الهم وألهب داخله وشبه داخله بنار " الكمينه" وهي الحفرة التي يوضع بداخلها الفخار وهي ممتلئة بالجمر .

قول على بن الجهم : (٤)

عيونُ المها بين الرصافة والجسرِ جَلِبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعدن لي الشوقَ القديم لم أكنُ سلوتُ ولكن زدنُ جمراً إلى جمرٍ

يقول ان الشوق القديم قد ازداد اشتعالاً واصبح مثل الجمر وهذا الاشتعال كان نتيجة لرؤية هذه العيون التي تشبه عيون " المها " .

(١) د.سعد عبد القادر ،مع الدوبييت ،ص (٢٠٤)

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني ،ص(١٥٧)

(٣) د.سعد عبد القادر ،مع الدوبييت ،ص (١٣٩)

(٤) ابن الشجري ،الحماسة الشجرية ،ص (٦٨٩)

يقول صالح عبد السيد " أبو صلاح " : (١)
السيوف الحافظك تجهرا

للفؤاد المن بدري انهرا

اخفي ريدتك مرة واجهرا

نار غرامك ربي يقهرا

يسأل الله تعالى أن يطفى هذه النار المشتعلة بداخله.

وقد ذكر الحارثي هذه النار في قوله: (٢)

قالة منامي هن أصبحت وهن كت ماسي

من نار غرام النية كيف خلاسي

قول قيس بن ذريح: (٣)

وهل الحب إلا زفرة بعد زفرة وحر على الاحشاء ليس له برد

يعرف الحب بأنه زفرات حارة ونار في الدواخل لا تبرد ابداً والنار المستخدمة في التعبير، نار مجازية للتعبير عن حرقة الجوى

المقابلة بين شدة النار وكثرة الدموع قول عبيد عبدالرحمن: (٤)

لولا سيل دموعي بلاني وروالي

حرقت جسمي ناري وحرقت الكان حوالي

وقول الحسين ابن الضحاك (٥)

بعضي بنار الهجر مات حريقا والبعض أضحى بالدموع غريقا

لم يشك عشقا عاشق فسمعته إلا ظننتك ذلك المعشوقا

(١) مبارك المغربي، رواد شعراء الأغنية السودانية، ص (٣٠)

(٢) الطاهر عبد الكريم، من أشعار الحارثي، ص (٧)

(٣) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص (١١٤)

(٤) علي محمود التريزي، قبسات من شعر الحقيية، ص (٩٣)

(٥) ديوان الحسين بن الضحاك، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ص (٧٨)

العنصر السابع :
الاختلال وعدم التركيز في العبادات

محمد صالح ود تروة : (١)

يوم جات أم حقيبة تتاتي عقلي انسر
فاضل لي السجود مع اني لاعن أبو مرة
يعلن انه كاد يسجد لتلك الحساء إكباراً وإجلالاً لها بالرغم من انه لعن إبليس .
وهذا مجنون ليلى يقول : (٢)

أراني إذا صليت يمتُ نحوها بوجهي وإن كان المُصَلّي ورائيا
أصلي فما أدري إذا مذكّرُها اثنين صليتُ الضحى أم ثمانيا
وما بي إشراك ولكنَّ حُبها وعظم الجوى أعياء الطيب المداويا
هو عابد يكثر من النوافل حتى أنه صلى الضحى ولكنه لم يستطع التركيز في صلاته
لتفكيره المستمر في حبه لدرجة أن عدد الركعات قد اختلط عليه ،
وهو ينفي عن نفسه تهمة الشرك ولكنه يعزي اختلاله لشدة عشقه وهيامه
ويقول سليمان ود دوقة : (٣)

بعد ما كت فقيراً في الخلاوي بقري
جن سامية وسعاد خلن عجاجتي تضري
يقول أنه بعد أن كان شيخاً يدرس القرآن تبدل حاله وأصبح محباً للحسان .
ويقول مسكين الدارمي* : (٤)

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

(١) د.سعد عبد القادر ،مع الدوبييت ،ص (١١٩)
(٢) ديوان العذريين،ص (٣٥٠)
(٣) د.سعد عبد القادر ،مع الدوبييت ،ص (١١٩)
(٤) أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني ،الجزء الثاني ،ص (١٧٩)
*مسكين الدارمي اسمه ربيعة بن عامر يصل نسبه إلى دارم وهو إسلامي من عصر بني أمية

العنصر الثامن :
الوشاة والمرجفون
يقول الحارثي: (١)

البارح كلام الناس بدور يفرقنا
كلو طلع كضب عقبان حلينا ورقنا
يقول تدخل الوشاة ليفسدوا بين الشاعر وبين من يحب ولكن اتضح كذبهم ومن ثم عاد
الهناء والصفاء.

وقول جميل بثينة : (٢)
ماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة إليّ وإن لم تصف منك الخلائق
يقول :لن يجد الوشاة ما يتحدثون به سوى الصدق، بالرغم من جفاء الحبيبة.
يقول حسن سالم: (٣)

الوشاة هموا يخبروني بيهو وبى زاد همي
قالوا يا عاشق أقسمت أمو لن تريه فلان إن هرق دموا
يقول :اخبر الوشاة العاشق أن أم من يهوى قد اقسمت على حجه حتى وإن أراق دمه
مما ضاعف من همومه و أوجاعه.

ويقول مزاحم العقيلي*: (٤)
وما برح الواشون حتى ارتموا بنا وحي قلوب عن قلوب صوائف
وقول المشتهدى الدمشقي : (٥)
إذا كثر الواشون فينا مقالهم وما لهم عندي وعندك من ثار

(١) من أشعار الحارثي، ص (١٠)
(٢) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص (١٤١)
(٣) د. الطيب أبو سن، دراسات في الأدب الشعبي السوداني، ص (١٣٤)
(٤) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص (١٤٣)
*مزاحم العقيلي، شاعر إسلامي مجيد، عاصر جريراً والفرزدق
(٥) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٨٨٨)

العنصر التاسع:
الخشوع والتذلل

قول إبراهيم العبادي: (١)

برضي ليك المولى الموالى

وفيك لازم الصبر الجميل

لو تحول قصدي العوالى

برضي أغوص في بحوري وأوالى

يعلن عن خضوعه كما يخضع العبد لمولاه ويقر بانه سيصبر مهما أصابه من الأذى

ويقول أبو نواس : (٢)

تخرج أما سفرت حاسرا تدل بالحسن ولا تنتقب

صيرني عبدا لها مذعنا حبي لها والحب شيئا عجب

يقول إن هذه الفتاة تخرج سافرة غير منتقبة وهو يشرح كيف أصبح عبدا لها وما ذلك إلا لحبه الشديد لها.

ويقول ود الرضي : (٣)

هو الحبيب مهما جفاني يا حبيب فيك عمري فاني

لا أقول من نارك كفاني بل أقول هل من مزيد

وقل العباس بن الأحنف : (٤)

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم

فإنك إن لم تحمل الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

(١) على محمود الترتزي، قياسات من شعر الحقيبة، ص(٥٥)
(٢) ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة، ١٩٥٣، ص(٢٧٩)
(٣) ديوان ود الرضي، ص(٥٨)
(٤) ديوان العباس بن الأحنف، دار صادر ودار بيروت للنشر، ١٩٦٣، ص(٢٧٢)

تعقيب

على انه ينبغي أن نذكر خاصية تفرد بها الشعراء الشعبيون وهي أنهم تخيلوا أن للغرام محكمة وقاضياً يشكون إليه أحبابهم وهذا المدني الكردوسي* يقول: (١)

طالبني الغرام رسل لي خمسة عساكر

وانا عامل جنائيات والعقل مو فاكر

بعد ودوني قابلتو القبيح الماكر

قال ختوهو يرقد في السجن لي باكر

وقول عبد الرحمن الريح: (٢)

هو أمير الهوى وقاضي الغرام مفتيهو

ان ما جار علي في قتلي كيف افتيهو

وقول العبادي: (٣)

الليلة الغرام رافعتو عند القاضي

قال لي والمحامي الكان معاك شن فاضي

وقولهم : (٤)

لو تاني عاد الانفصام

بشكيهو عند قاضي الغرام

وأوريهو نارو الفي العضام

سهراجه حامياتي المنام

هذا الخيال الذي صاغه الشعراء الشعبيون شعراً والمتمثل في وجود محكمة بكامل هيئتها للغرام إنما جاء نتيجة للمتغيرات التي طرأت على الحياة بشكل عام فالإنسان الذي يعاني من ظلم إنسان آخر فانه يلجأ للقضاء ليأخذ له حقه وهذا ما جعل الشعراء الشعبيين يلجؤون لهذه المحكمة لشكوى من يحبون لأن هناك ظلم وقع عليهم.

(١) حسان أبو عاقلة أبو سن، من عيون الشعر القومي البطانة، ص (٤٧)

(٢) مختارات من روائع الحقيقة، ص (١٠٥)

(٣) عز الدين إسماعيل، الشعر القومي في السودان، ص (١٠٣)

(٤) من الأدب الشفاهي

المطلب الأول

الأم في الشعر الشعبي والعربي

لا يخفى على أحد مكانة الأم في قلب كل واحد منا . فالأم هي الملجأ والملاذ الآمن الذي نلوذ به في أوقات الشدة فنجد عندها الدفء والأمان . ولكم تغنى الشعراء بالأم ويمكن القول إن أكثر الشعر صدقا هو ما قيل في الأم .

وكانت التوصية من الله تعالى بالوالدين والام على وجه الخصوص في قوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) وفي الحديث النبوي الشريف: (عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال : أمك قال : ثم من قال : أمك قال : ثم من قال أمك قال : ثم من قال : أبوك) . هذا ما كان من أمر الاهتمام بالأم ورعايتها وبرها في الإسلام أما في العصر الجاهلي فالمرأة بصورة عامة كانت مضطهدة وليس لها حقوق بل كانت البنت تدفن حية لئلا تكون عبئا على أهلها وإذا تم سببها فإنها تجلب العار لأهلها وكانت تكلف أهلها عناء رعايتها وإطعامها فهي لا تعمل في أي من الأعمال التي تساعد في جلب المنافع المادية لذا نجد أن ذكر الأم في الشعر الجاهلي نادر وإن كان بعضهم ذكرها فقد هجا عنتر بن شداد أمه وكذلك فعل تأبط شراً . ولكن عند ظهور الإسلام تغير وضع الأم بشكل جذري وتغيرت النظرة القديمة لها .

أما شعراؤنا الشعبيون فقد ظهر أثر الإسلام واضحا في أشعارهم من اهتمامهم بالأم

(١) سورة الاحقاف، الآية (١٥)

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، حديث رقم (٥٦٢٦)

ذكر إسماعيل حسن الأم في ديوان شعر كامل يحمل اسم أمه قام برثائها فيه وكانت أمه تدعى حد الزين وبقول في ذلك:

حد الزين ويا حدود حدود الزين

حد الزين بنية شيخنا إسماعين

نغيم ناين بعيد وحزين

مراكب القدرة شايلاتنو يا ماشالن الطيبين

حليك يا حدود الزين حليك يا قمر دورين

يا هدايا يا ضوايا يا أم الوليد والزين

فراق واحد بكتل الزول وكيف يا يمه إنتو اثنين

خليتونا في درب الضياع ضائعين

عليكم الله يا الراحلين ويا مسافرين

ويا الداجين ويا الشاقين بطون التيه وما عارفين

سلامي كتير تشيلو هو وفي أطراف كفاناتكم تصرو هو

تود هو لحد الزين بنية شيخنا إسماعين

عليكم الله يا مسافرين ويا الراحلين

أنا مشتاق وكايس أمي يا راحليناً

لو لي لحظة لو لي ثانية بس أدوني رمشة عين

في حد الزين بنية شيخنا إسماعين.

(١) إسماعيل حسن، حد الزين، ديوان شعر، مكتبة جامعة الخرطوم، ص (٦)

نجد أن الشاعر قد بث لواعج شوقه كلها في هذا الديوان ويبدو انه كان شديد الارتباط بأمه وقد أثرت وفاتها فيه تأثيرا بالغا فهو حزين لدرجة انه يرسل سلامه مع الموتى إلى أمه .

ويبدو أنه فقد أخته (جواهر) في الفترة نفسها مما ضاعف من أحزانه .

ويتمنى فقط لو أنه وقف لثانية بل لرمشة عين امامها وهذا شيء مستحيل لأنها قد ماتت ولكن الحزن الشديد هو الذي دفعه لتمني المستحيل وجسامة الفقد خرجت به عن التفكير المنطقي السليم .

كما إننا نجد إن أبا فراس الحمداني قد بلغه نبأ وفاة أمه وهو في الأسر فرثاها باكيا :
مكنيا عنها (بأم الأسير) (١)

أَيَّا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكِ غَيْثٌ	بُكَرُهُ مِنْكَ مَا لَقِيَ الْأَسِيرُ
أَيَّا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكِ غَيْثٌ	تَحَيَّرَ لَا يُقِيمُ وَلَا يَسِيرُ
إِذَا ابْنُكَ سَارَ فِي بَرٍّ وَبَحْرٍ	فَمَنْ يَدْعُو لَهُ ، أَوْ يَسْتَجِيرُ
حَرَامٌ أَنْ يَبِيتَ قَرِيرَ عَيْنٍ	وَلَوْمْ أَنْ يَلِمَ بِهِ سُرُورُ
وَقَدْ دُقَّتِ الرِّزَايَا وَالْمَنَايَا	وَلَا وَلَدٌ لَدَيْكَ وَلَا عَشِيرُ
وَوَغَابَ حَبِيبُ قَلْبِكَ عَنْ مَكَانٍ	مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِهِ حُضُورُ
أَيَّا أُمَّاهُ كَمْ هَمٍّ طَوِيلٍ	مَضَى لَمْ يَكُنْ مِنْهُ نَصِيرُ
أَيَّا أُمَّاهُ كَمْ سَرٍّ مَصُونٍ	بِقَلْبِكَ ، مَاتَ لَيْسَ لَهُ ظَهْورُ
أَيَّا أُمَّاهُ كَمْ بُشْرَى بِقَرْبِي	أَتَتْكَ وَدُونَهَا الْأَجَلُ الْقَصِيرُ
إِلَى مَنْ اشْتَكَى ، وَلَمَنْ أُنَاجِي	إِذَا ضَاقَتْ بِمَا فِيهَا الصَّدُورُ
بَأَيِّ دُعَاءٍ دَاعِيَةٍ أَوْقَى	بَأَيِّ ضِيَاءٍ وَجْهِ أَسْتَنِيرُ
بِمَنْ يُسْتَدْفَعُ الْقَدْرُ الْمُوفَى	بِمَنْ يُسْتَفْتَحُ الْأَمْرُ الْعَسِيرُ
تُسَلِّي عَنْكَ أَنَا عَنْ قَلِيلٍ	إِلَى مَا صِرْتَ فِي الْأُخْرَى نَصِيرُ

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ، ص (١٦٢)

استخدم أداه النداء استخداماً جيداً في مخاطبته للغائب والنداء لا يكون إلا للشخص الحاضر . وهذا يدل على أن أمه حاضرة في قلبه ووجدانه وقد دعى لها بالسقيا وهو يعبر عن افتقاده لها ويتساءل من الذي سيدعو له بعد غيابها . ويتحدث عن موافقها منه وموافقها منها .

ويقول الشاعر السر عثمان الطيب : (١)

يا يمه يا نور الصباح وكتين يطلُ
يا يمه يافجري البشع دائما يهلُ
يا يمه يا فيض الحنان الما كملُ
واشرى يا زنوبة ولدك في دروب الشوق كتلُ
محروم من الحب والمحنة وراك هملُ
يا يمه رسلي لي عفوك ينجيني من جور الزمانُ

بذكرك يا يمه في الدّغش النسايمو يهبهب

والطير صغارو يغردن

قائمة الصباح متكلفتى شائلة الحليلة على المراح

جبت اللبن بي انشراح والساعة ديك يا دأبو ديكنا بدا الصياح

بذكرك يا يمه في ساعة الهجير

ولعتى نار الدوكي عوستي لنا الفطير

ختيتي قتي اكلوهو خير

بذكرك يا بسمه الطفل الغرير

(١) إخلاص محمد عثمان ،الطنبور وأغاني الشايقية ،دار عزة للنشر والتوزيع ،ص(٧١)

*السر عثمان الطيب ولد بالقريير ريفي مروي في عام ١٩٤٨ أكمل تعليمه بمعهد المعلمين العالي (كلية التربية حالياً) عمل بالتدريس ثم هاجر غلى السعودية ويعمل آن مترجم بالخطوط الجوية السعودية

بذكرك يا يمه وقت الناس يجونا من البلد
ناعم ترابا على جسيماتم رقد
بذكرك يا يمه والناس قالوا قايمين البلد
رصّوا الهديمات عدلوا ركبوا اللواري وقبلوا
خلونى وحدى بلا أنيس
والشوق يفر جنحينو بي فوق لي يطير
وكتين يوصلو ويقولو ليك سبناهو في بلد الأمان
يا يمه رسلي لي عفوك ينجيني من جور الزمان

مزج الشاعر بين حبه لأمه وحنينه إلى وطنه (البلد) فهو يربط حنينه لأمه بذكرياته في البلد . كل شيء يذكره بذلك الزمان في طفولته ، لدرجة أنه يتذكر خروج أمه في الصباح الباكر و يتذكرها في حر النهار وهي (تعوس) بالرغم من المشقة الكبيرة في هذا العمل ، فالنهار ساخن وكذلك النيران.

ويبدو أنه قد نظم قصيدته هذه وهو بعيد عن أمه لأنه يرسل لها تحياته مع العائدين إلى البلد .

تعليق:

نلاحظ أن إسماعيل حسن و السر عثمان الطيب ينتميان إلى قبيلة الشايقية وقد اشتهروا بشعرهم في الحنين إلى أوطانهم في الشمال أو الحنين بصورة عامه إلى الأهل ، إلى الماضي وإلى أيّ شيء له دور في مسيرة حياتهم ويمكن القول إن هذا الحنين المتكرر في أشعارهم يعود إلى كثرة أسفارهم واغترابهم فهم دائما ما يغتربون للبحث عن الأفضل لحياتهم .

وهذه القصيدة يمكن أن تندرج تحت غرض الحنين .

والشريف الرضي نجده قد رثى والدته فاطمة بنت الناصر في قصيدة طويلة في ديوانه وفيها يقول : (١)

أبكىكَ لَوْ نَقَعَ* الغليلُ بُكَائِي	واقول لو ذهبَ المقالُ بدائي
وأعودُ بالصبرِ الجميلِ تعزّيَا	لو كان بالصبرِ الجميلِ عزائي
فأرقتُ فيكَ تماسكِي وتجملي	ونسيتُ فيكَ تعززي وإبائي
وصنعتُ ما تلم الوقارَ صنيعةً	مما عراني من جوى البرحاء
لو كان مثلكَ كلُّ أم برةٍ	غني البنون بها عن الآباءِ
فبأيّ كفٍ أستجن وأتقي	صرفَ النوائبِ، أم بأيّ دعاءِ
ومن الممّولِ لي إذا ضاقتُ يدي	ومن المَعْلُ لي من الأدواءِ
في كلِّ مظلم أزيمةٍ أو ضيقةٍ	يبدو لها أثرُ اليدِ البيضاءِ
وأهْبَ من طيبِ المنامِ تفرّعا	فزع اللديغِ نبا عن الإغفاءِ
لو كان يُبلِّغُكَ الصَفِيحُ رسائلي	أو كان يُسمعُكَ التَّرابُ ندائي
لسمعتُ طولَ تأوّهِي وتفجّعي	وعلمتُ حُسْنَ رعايتي ووفائي
كان ارتكاضي في حشاكَ مُسبِّبَا	ركض الغليلِ عليكِ في أحشائي

بكى (الشريف الرضي) أمه بكاءً مرًا، لدرجة أنه عجز عن القول ولكنه يستعصم بالصبر. وقع نبأ وفاة أمه عليه وقع الصاعقة مما جعله يفقد تماسكه وتجلده ويشعر بالذل ويخرج عن وقاره لهول المصيبة ويتساءل عن يسانده ويحميه من ريب الزمان ومن يداويه من العلل . وهو عندما يتذكر أمه يهب من نومه فزعا وكأن عقرباً لدغته . ويتمنى لو أنه كان بمقدوره إرسال رسائل لها في الدار الآخرة تسمع فيها آهاته وآلامه على فراقها. وشبه استقرار الألم في أحشائه كاستقراره عندما كان جنينا بطن أمه .

(١) ديوان الشريف الرضي، المجلد الأول، ص (٢٨)
*نقع :سكت وأنتهي ،*الغليل :حرارة الجوف

ويقول التيجاني حاج موسى في الأم : (١)

أمي الله يسلمك يا يمه الله يسلمك
يديك لي طول العمر في الدنيا يوم ما يأمك
أمي يا دار السلام يا حصني لو جار الزمان
ختيتي في قلبي اليقين يا مطمئاني بطمك
يا سعد أيامي وهنائي لو درتي قلبي بسلمك
يا منتهى الريد ومبتدأ يا الليه الله يسلمك

يبدو أن أمه لا تزال على قيد الحياة وهو يدعو لها بالسلامة وطول العمر كما يدعو الله ألا يصيبها الألم في حياتها . (دار السلام) هو اسم والدته واستخدم التورية في ذكر القريب وهو بمعنى الدار والأمان وأراد المعنى البعيد وهو اسمها . ويعتبرها الحصن الآمن عندما يجور عليه الزمان وأمّه ملأت قلبه يقينا واطمئنانا ولو طلبت قلبه لأعطاه إياه سعيدا راضيا .

كنا قد ذكرنا أن الشعر الجاهلي لم يذكر الأم إلا نادرا .

وهذا شاعر جاهلي جادت قريحته بذكر أمه ذكرنا حسنا مما يؤكد أن المشاعر الغريزية تجاه الأم موجودة في كل مكان وزمان والشاعر هو المتلمس* في قوله :

تغيرني أمي رجال ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرما
ومن يك ذا عرض كريم فلم يصن له حسبا كان اللئيم المذمما
وهل لي أم غيرها إن تركتها أبى الله إلا أن أكون لها ابنا

وقصة المتلمس مع أمه . هي أنه نشأ مع أخواله حتى أصبح ينسب إليهم وهجاه بعض الناس معيراً له بذلك فغضب ونظم هذه الأبيات ولكنه لم ينس ذكر أخواله وهو يقول إنه ليس له سواها ولذا فهو لن يتركها ، وكلمة ابنا جاءت بزيادة الميم . هذا موجود في الشعر القديم في قولهم :

ومنا ضرار وابنماه وحاجب مورث نيران العدواة لا المخبي

(١) التيجاني الحاج موسى ، ديوان تباريح الهوى ، ص (١١)

(٢) الأصمعيات ، ص (٢٤٤)

* جرير بن عبد المسيح ، كان خال طرفة بن العبد

المطلب الثاني

الزوجة في الشعر العربي الشعبي

الزوجة هي شريكة الحياة وهي التي قال فيها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: (نعم متاع الحياة المرأة الصالحة) . (١)

وهي إن صلحت فقد صلحت الحياة والعكس صحيح وقد قال تعالى في محكم تنزيله :
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْزُلًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) صدق الله العظيم (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم) . (٣)
والأحاديث في شأن الزوجة كثيرة مما يؤكد على دورها الكبير في الحياة فالزوجة الصالحة قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم : (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرتة وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله) . (٤)
والحياة رجل وامرأة ، بهما يتم إعمار الأرض.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٦٤)

(٢) الآية (٢١) من سورة الروم

(٣) أخرجه أبو داود رقم (١٧٥٤)

(٤) أخرجه ابن ماجه حديث رقم (١٨٥٧)

يقول محمد بشير عتيق : (١)

الملازمة حياتي والمشاركة لروحي

منذ يافعة صغيرة ما سكنت لغيرا يا صديق بأمانة

يا خي أول بادي هي مالكة قيادي وهي ساكنة فوادي

بيها صار إسعادي لو مشيت بي غادي أو بقيت في قصادي

تشفي علة روعي وتروي قلبي الصادي

لى ضم جنانا واكتفيت بجنانا

هي زهرة مصانة في جمالا حصانا

هي معدن باهر هي بل إنسانة

في حياتنا وديعة ولي حليلة مطيعة وحكمة فيها طبيعة

ما سعت لوشايه وما صغت لقطيعة

تحترم أقرانا وترعى لجيرانا

هي روضة وريفة في ربيع وخريفا

لى أقارب زوجا وللعشيرة وليفا

هي أجمل حكمة هي إبلغ معنى وهي أصدق كلمة

ليها غنى الشادي

الإله يرعانا ويستجيب لدعانا يا صديق بأمانة

أسهب الشاعر في وصف محاسن زوجته فهي شريكة روحه، وهو وصف يبين متانة العلاقة بينهما وقد استخدم كلمة (السكن) استخداماً يبين الخلفية الإسلامية التي اعتمد عليها من قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (٢)

والسكن هو الارتكان ويشمل معاني الاحتواء والملاذ والاطمئنان يعني أنها الوحيدة

(١) محمد بشير عتيق ، أيام صفانا ، ديوان شعر ، دار عزة للنشر والتوز (١٩١)

(٢) الآية (٢١) من سورة الروم

التي يشعر حيالها بهذا الشعور . ثم أنتقل إلى وصف العلاقة العاطفية بينهما فهي مسيطرة على تفكيره وقد ملكت عليه لبه . وهي حنونة تماثل الأم في حنانها يعني هي الأم والصديقة والزوجة والحببية أي جمعت كل الصفات التي ينبغي أن تكون عليها الزوجة . وهي فوق كل ذلك جميلة جمالاً واضحاً وهي عفيفة ، إنسانة ، مطيعة وعن علاقتها بجيرانها فهي لها علاقات طيبة معهم تخلو من الوشاية والنميمة وهي تحترم أهل زوجها وتقدرهم . وهذه هي الزوجة المثالية التي يجب أن تكون عليها كل زوجة .

ويقول الحارث بن خالد المخزومي* في زوجته: (١)

يا أم عمران ما زالت وما برحت بى الصباية حتى شفني الشفق
القلب تاق إليكم كي يلاقكم كما يتوق إلى منجاته الغرق
تنيل نزرأ قليلاً وهي مشفقة كما يخاف مسيس الحية الفرق

يتحدث الشاعر عن زوجته وكأنها ليست زوجته بل محبوبته فهو يذكر شوقه إليها وتمنعها عليه .

اما جرير فهو يرثي زوجته خالدة بنت سعد قائلاً :- (٢)

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبیب يُزار
فجزاك ربك في عشيرك نظرةً وسقى صداك مُجلجلٌ مدرار
ولَهتِ قلبي ، إذ علّتي كبرةً ودوّو التمانم من بنيك صغار
نعم القرين وكنت علق مَضنة وأرى بنعف* بُلَيّة* الأحجار
عمرت مكرمة المساك وفارقت ما مسّها صلفٌ ولا إقتار*
كانت مكرمة العشير ولم تكن يخشى غوائل (أم حرزة) جارُ
والريح طيبة إذا استقبلتها والعرض لا دنس ولا خوار
ولقد أراك كُسيت أجملَ منظر ومع الجمال سَكينة ووقار
وإذا سريت رأيت نارك نوراً وجها أعر يزينه الإسفار

(١) أبو الفرج الأصفهاني الجزء الثالث ، اخبار الحارث بن خالد المخزومي ص (٣٣٠)

* هو الحارث بن خالد من بني مخزوم احد شعراء قريش المعدودين لا يتجاوز الغزل إلى أغراض أخرى شأنه شأن عمر بن أبي ربيعة

(١)ديوان جرير ،ص (١٥٤)

*علق مضنة :النفيس الذي ييخل به ،*ذوى التمانم :خرزة تعلق في رقبة الصبي دفعا للعين
*الصلف :بغض الأزواج لبعضهم ،*اقتار :يخل ،*نعف :اسفل الجبل ،*بلية :اسم مكان

والصالحون عليك والأبرار
نصب الحجيح مُلبدِين وغاروا
خُزنَ الحديثُ وعفت الأسرار
ليلُ يَكرُّ عليهمُ ونهار

صَلَّى الملائكةُ الدِّينَ تُخَيروا
وعليك من صلوات ربك كلما
كانت إذا هَجَرَ الحليلُ فراشها
لا يَلبِثُ القُرْناءُ أن يتفرقوا

لولا حرف امتناع لوجود، يقول إنه لوجود الحياء امتنع عن البكاء، يسأل الله أن يجيزيها خيرا عنه بالنظر من الله تعالى إلى وجهها وهو يدعو لها بالسقيا وهذا الدعاء بالسقيا كثير عند العرب فهم عندما يتمنون الخير لإنسان يدعون له بالسقيا ، أحرق قلبه فراقها وهو قد تقدم في السن ولكن ابنائه لا يزالون صغارا يحتاجون لرعايتها وقد كانت نعم الزوجة لم تكن متكبرة ولا بخيلة ، بارة بزوجها وجيرانها وكنى عنها (أم حرزة) وحرزة هذا ابنه ، تتمتع بسمعة طيبة لا تشوبها شائبة ، نظيفة تفوح منها روائح طيبة وهي فوق جمالها وقورة وادعة وتشع من وجهها الأنوار. يدعو لها بالرحمة وذلك كلما ذهب الحجيح إلى منى ، و كانت عندما يهجرها زوجها لأي سبب من الأسباب تحفظ أسرار بيتها وكأنها في خزنة .

وفي آخر حديثه يذكر أنه لا بد أن يتفرق الأحياء وأن طال بقاؤهم معا والموت سنة الحياة .

اتفق الشاعران الشعبي والعربي في صفات الزوجة الصالحة والمتمثلة في جمال روحها فهي ليست جميلة الشكل فحسب بل لديها صفات روحية أجمل والمتمثلة في علاقتها بزوجها اهتمامها بنظافتها وزينتها علاقتها الطيبة بجيرانها ، حفظها لأسرار بيتها وزوجها ، تقدر الحياة الزوجية وتجتهد في إسعاد زوجها .

واتفق الشاعران أيضاً في الدعاء بالخير لزوجتيهما .

وفي الإطار ذاته يقول محمد ودالرضي في زوجته:

ترتاح روحي كل ما أطراها
تجي شائلة وتجي مزاوراها
ونشكر فيها من بي وراها
ما سكاتاً تنوبو بلادا
دايما عندي حلوة جلادا
حافضة لمتعتي وحافظاني
مهما أبقي مر بالعاني

ست البيت بريده براها
قالت جارتا مجاوراها
تلحظ احتياجنا براها
حشيمة سكوتا من ميلادا
نضاف ومنظمين أولادا
ليه ما أشكرا مطاوعاني
حاوية من الأنوثة معاني

(١) ديوان ودالرضي ، ص (٦٦)

ما بتحسب على كُليّة وتكرّم كلّ منسوب ليا

اشفق من جنايا عليا واطوع من بناني إليا

لو كان يوم حبيب وأصلني الكرم العريض يوصل لي

منها قط خلاف ما حصل لي بس لآخمانى بي قوم صلي

يقول عنها إنها زوجة محتشمة قليلة الكلام ونفي عنها أن تكون قلة كلامها لضعف في عقلها وعجز عن التعبير بل على العكس من ذلك ولكنه طبع فيها وهي متدينة ورعة تحته على أداء عباداته.

وهذا مسلم بن الوليد (صريع الغواني) يرثي زوجته قائلاً :

دعاني وإفراط البكاء فإتني أرى اليوم فيه غير ما تريان

غدت والثرى أولى بها من وليها إلى منزل ناءٍ لعينك دان

فلا وجدّ حتى تنزف العين ماءها وتعترف الأحشاء بالخفقان

وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها وسهماهما في القلب يعتلجان

يخاطب شخصين معه ويقول لهما اتركاني ابكى لأنكما لا تعلمان ما سوف يصيبني بعدها ويبدو أنهما حاولا منعه من البكاء .

يقول إنها ذهبت إلى منزل بعيد ويعني به الدار الآخرة بالرغم من أنه بإمكانه رؤية قبرها . (تنزف العين ماءها) تعبير عن كثرة الدموع المنهمرة منها ويتساءل كيف بإمكانه مقاومة اليأس بعد فراقها .

(١)ديوان مسلم بن الوليد ،صريع الغواني ،ص(٣٤١)

تعليق :

الذي يلفت الانتباه في دراسة الشعر العربي بنوعيه الفصيح والعامي قلة أو ندرة تناول الشعراء للأمهات والزوجات في قصائدهم ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الرجل الشرقي بصورة عامة حيث أنه ينظر لخاصة حريمه وكأنهن حرم مقدس لا يجوز المساس به . ولا يزال الرجل العربي يشعر بالحرج عند الحديث عن واحدة من أهل بيته إلى الملام .

والشاعر عندما يتغزل في امرأة لا تنتمي إليه بصلة قرابة لا يجد في الأمر غضاظة وربما كان عقاب الشعراء العذريين الذين تغزلوا بمحوباتهم أن حرموا الزواج منهم لأنهم ذكروا أسماءهن وصفاتهن بصورة اعتبرها المجتمع والعرف مهينة آنذاك .

وإذا نظرنا إلى شعراء البوادي عندنا في السودان خاصة شعراء البطانة لا تجد ذكراً للأم أو الزوجة لأنها من الممنوعات في أعرافهم .

أما شعراء الحضر وسكان ضفاف النيل ، فإن تأثير الحضارة جعل طباعهم أكثر هدوءاً ووعيهم أكثر تفتحاً لدور الأم والزوجة لذا تجدهم يذكرون أمهاتهم وزوجاتهم بالخير في أشعارهم تقديرًا منهم وعرفاناً لدورهن الكبير في الحياة .

وإذا عدنا إلى الشعراء العرب نجد أن بعضاً منهم قد ذكروا أمهاتهم وزوجاتهم في شعر الرثاء ولم يذكروهن وهن على قيد الحياة إلا في حالاتٍ نادرة .

الفصل الرابع (من أشكال الشعر الشبيبي)

المبحث الأول : الدوبيت

المبحث الثاني : المسدّد

المبحث الثالث : البحارة

المبحث الرابع : الشعر الخنائي

المبحث الأول

الدوبيت

الدوبيت ضرب من ضروب الشعر في بعض الآداب العالمية المعروفة وأصل التسمية فارسي و (دو) تعني اثنين وبيت هو بيت الشعر المعروف وإن اعترض بعض الباحثين على أصل هذا التعريف فقد ذهب أبو حاتم الرازي في كتاب الزينة إلى أن شعر الفرس لم يكن محكم الوزن والقافية وإنما أخذوا الوزن والقافية من العرب . (١)

والدوبيت ليس مادة فلكلورية لأن له مؤلفين مشهورين ومعروفين ،حتى الذي يصلنا وليس له مؤلف معروف وإنما ذلك لأن المؤلف ليس معروفاً، وهو ليس مادة متجمدة في قالب واحد ولكنه مادة حية متحركة تتطور بتطور متطلبات العصر وهو تتوفر له كل مقومات الشعر الفصيح والاختلاف بينهما هو اختلاف شكلي محض وهو ان لغة الدوبيت غير معربة وهناك اختلاف بين اللغة المعربة واللغة اليومية أو السوقية وما استشكل منها علينا فهو لهجات عربية قديمة . (٢)

واعترض أيضاً الباحث الطيب محمد الطيب بقوله : (إن هناك اختلافاً بين شعر الدوبيت العربي الذي نظمه العباسيون بغرض إظهار براعتهم وموهبتهم وبين (الدوباي) الذي هو الضرب الشعري المعروف في السودان . وكلمة دوبيت إنما أدخلها الباحثون حديثاً في المصطلحات السودانية بينما كلمة دوباي هي كلمة سودانية أصيلة تعني (الغنا) لأن وزن الدوباي لا يشبه وزن الدوبيت المعروف إطلاقاً وكلمة (دو) الفارسية تشير إلى العدد بينما كلمة (دوبا) تشير إلى (الغنا) . (٣)

والراجح أن الدوبيت قد أنتقل إلى السودان عن طريق القبائل التي دخلت السودان من مصر عن طريق الصحراء الشرقية لأنه انتشر في النصف الشرقي من السودان في البداية في أواسط البجا، ويسمى في الغرب باسم (الحار دلو) تعبيراً عن انتشار هذا الاسم بعد ذهاب (الحار دلو) إلى أم درمان في عهد الخليفة عبد الله التعايشي وأم درمان كانت مركزاً ومعبراً للمواشي من الشرق إلى الغرب . (٤)

(١) أبوحاتم الرازي ،كتاب الزينة نقلاً عن كتاب بين أميرين شاعرين للدكتور إبراهيم القرشي

(٢) د. عز الدين إسماعيل ،الشعر القومي في السودان ،ص (١٠)

(٣) الطيب محمد الطيب ،دوباي ،ص (٤٤)

(٤) عز الدين إسماعيل ،الشعر القومي في السودان ،ص (٣٠)

لغة الدوبيت :

لغة الدوبيت هي العامية السودانية والعامية في كل بلد هي لغته التي يتحدثها سكانه وقد شهد الدكتور عبدالمجيد عابدين أن لغة (الحار دلو) مثلاً هي لغة عربية سليمة وصميّة وهي تمثل لهجة نزحت مع أهلها من شبه الجزيرة العربية بالرغم من مجاورتها لقبايل تتحدث لغات غير معربة فهي ما تزال تحتفظ بلغتها سليمة ويقول دكتور عز الدين إسماعيل : (لغة الدوبيت وان تكن غير معربة إلا إنها ماتزال لغة شعرية من الطراز الأول . بل يمكننا أن نقرر بكل اطمئنان أن مفردات الدوبيت في معظمها فصيحة بل عريقة في الفصاحة وأن ما يبدو منها غريباً لا يعدو أن يكون لهجة من اللهجات العربية القديمة).

أشكال الدوبيت :

هناك ثلاثة أشكال للدوبيت

الشكل الأول :

هو البدوي المغرق في البدواة والذي لا يستطيع سكان المدن فهم معانيه مباشرة إلا بعد الشرح .

والأنموذج لهذا النوع

قال الشاعر الطيب ود مصطفى المسلمي : (١)

الليلة القلب شَعْن جروحُ جُدادُ
وهفت لي البجازنُ عركسن بولادُ
كمَّيع البراطمة تحبَّكن بي سوادُ
يا مُحافظ حواك من لحظك الحُسادُ

الشكل الثاني :

وهو الذي تأثر قائله بروح الحضارة فأصبحت معانيه سهلة نوعاً ما وهو قول الحار دلو يصف شعر محبوبته وكتفها وعنقها :

د(١) د.عز الدين إسماعيل ، الشعر القومي في السودان ، ص (٣٥)

*عركسن :حركة الخيول ،*كميع البراطمة:تقبيل الخدود،*بولاد:الفولاذ

قال الحار دلو: (١)

شعرا ريش نعام والوجه سمح مصقول
وعنقن صبّ قزاز صانعنو في اسطنبول
اكتافا هُدُل والليد تقول مجدول
قامتُ في القياس بين القُصرُ والطول

الشكل الثالث :

وهو الدوبييت المدني حيث تتلاشى كل آثار البدواة من الناحيتين اللفظية والمعنوية واحتفظ بالاطار الشكلي الصرف .

الشاعر حسن خلف الله يحيي علم البلاد : (٢)

الوطن العزيز علمو بيرفرف فوقو
والغاصب طلع يبكي ويحن لسوقو
يا مالك الحلو مر الحناظل ضوقو
سودانا العظيم فتح الطريق لسوقو
وهذه المستويات تتعاصر جميعها في السودان في وقتنا الحالي

(١) عز الدين إسماعيل ، الشعر القومي في السودان ، ص (٥٧)

(٢) المرجع السابق، ص (٣٦)

العلاقة بين دوبيت الهمبابة وشعر الصعاليك

أولاً : الهمبابة

(الهمبابة جماعة من مختلف القبائل البدوية في السودان تقوم بنهب وسلب الإبل وتفخر بذلك ويعرف هذا السلوك القائم على النهب والسلب (بالهمبته) وللهمبته قواعد خاصة يلتزم بها المشتغلون بها ولها قيمها وشعرها الخاص المعبر عنها ومن خلال هذا الشعر تنعكس صورة حياة الهمبابة بكل مافيها من مغامرات وركوب للأخطار كما تبرز من خلال هذا الشعر قيم هذه الجماعة ومواقفها من الحياة ولم يغفل هذا الشعر عن كشف الدوافع وراء هذا النوع من السلوك .)(١)

ثانياً : الصعاليك

(هم جماعة من الفقراء من قبائل شتى جمعت بينهم الخصاصة والحاجة أعوزهم من مال ماهو عند غيرهم فخرجوا على قبائلهم وتحللوا من نظمها وأنكرهم قومهم وأخذوا هم أنفسهم بالاغارة والنهب وسلب القبائل والأفراد مالهم ثم توزيعها فيما بينهم فهم بذلك يمثلون الخروج على النظام القبلي بتقاليده وقيمه إلا ما ارتضوا لأنفسهم من عطف على الفقراء والمرضى والضعاف وعندهم كرم وجود وسخاء فهم لصوص كرام ،شجعان، يغضون عن المحارم .)(٢)

يتفق التعريفان للهمبابة والصعاليك في أنهم جماعة من الخارجين على القانون أنتهجوا منهاجاً متشابهاً في الحياة فهم يعيشون على النهب كما أن لديهم قيماً متفقاً عليها فيما بينهم وهي الشجاعة ، والكرم ، ومراعاة الجوار ، والاتحاد فيما بينهم ضد الآخرين . كما أنهم لديهم شعر خاص بهم .

الاختلافات بين الصعاليك والهمبابة :

١- إلا إن هناك اختلافات بين الجماعتين وهي أن الصعاليك ينهبون كل ما يقع تحت أيديهم من أموال سواء كانت إبلاً أم أبقاراً أم ذهباً أم أي نوع آخر كما أنهم لا يفرقون فيمن ينهبون بين فقير و غني.

بينما اقتصر الهمبابة على سرقة الإبل فقط لايسرقون أي شيء سواها بل ويحتقرون من يسرق غير الإبل ويطلقون عليه لفظة سراق .

(٢)شرف الدين الأمين عبد السلام ،الهمبته في السودان،اصولها ودوافعها وشعرها ،معهد الدراسات

الأفريقية والآسيوية ،الخرطوم ،١٩٨٣، ص (١٥)

(٢)أحمد الشايب ،تأريخ الشعر السياسى ،القاهرة ،١٩٤٥، ص (٣٤)

٢- غير أن الصعاليك قد انقطعت صلاتهم بقبائلهم وأصبحوا فئة منبوذة بينما الهمباته لم تنقطع صلاتهم بقبائلهم ولم يعاملوا كمنبوذين بل إن الهمباتي يجد وضعه المناسب في قبيلته التي ينتمى إليها .

٣- نجد أن الصعاليك فقراء تتعالى صيحات الفقر في شعرهم بينما ليس بالضرورة أن يكون الهمباتي فقيراً فنجد مثلاً الطيب ود ضحويه لم يكن فقيراً بل إن أباه كان من عليّة القوم ويمتلك حظاً وافراً من الغنى والأموال المختلفة من إبل وضأن وأبقار وقد حاول كثيراً إرجاعه من هذا الطريق ولكن باءت كل محاولاته بالفشل .

تمثل المرأة قيمة عليا عند هاتين المجموعتين فهم يذكرونها في شعرهم كثيراً ويحاولون إرضاءها بشتى الوسائل والطرق والمرأة ربما تكون الحبيبة أو الابنة في كثير من الأحيان . الواضح انهم لم يذكروا المرأة في قالب غزلي وربما يعزى ذلك إلى اضطراب حياتهم وعدم استقرارهم وخوفهم الدائم من الخطر ومن الملاحقة المستمرة من قبل أصحاب الإبل أو أصحاب المسروقات بالنسبة للصعاليك ومن قبل السلطة أو الشرطة والسجن من قبل الهمباته . (١)

والسائد في شعر الهمباته أنهم لم ينظموا المسابير وإنما اكتفوا بنظم الرباعيات وربما يعزى ذلك لعدم استقرارهم وانشغالهم بأشياء أخرى .

اتفق الجانبان في العناصر الآتية :

أولاً:

الفخر بالمهنة :

يقول الطيب ود ضحويه : (١)

جنيات المهاجرة لما بختو الشّمته

عند الحارة ما بطروا الجلوس والسّمته

بالله العظيم وبالذات العليه قسّمت

ما بجيب شّمه لي حللي إن بقي اتقسّمت

(١) أنظر شرف الدين الأمين ، الهمبته في السودان ، ص (١٧١)

(٢) المرجع السابق، ص (١٨)

*الطيب ود ضحويه ، من قبيلة الجعليين وهو من الزعماء في طائفة الهمباته كان أبوه موسرا ولكنه عجز عن إرجاعه عن هذا الطريق

يفخر بالمهاجرة وهم الهمباته ويقول إنهم لا يفعلون ما يجلب الشماتة عليهم وهم عند القتال لا يتخاذلون ويقسم ويغلظ قسمة بألا تشفع له امرأة حتى لو أدى ذلك إلى تقسيمه إربا .

أما عروة بن الورد فيقول في الإطار ذاته : (١)

ولله صُلوْكَاً صفيحةٌ وجهه كضوءِ شهابِ القابسِ المتثور
مُطَلًّا على اعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر

ثانياً :

الشكوى من الفقر

قلنا إن الهمباتة لم يشكوا الفقر ولكن بعضهم فعل ذلك ومنه قولهم : (٢)

دَرَدَرْنِي الْفَقْرُ لَأَمِنْ بَقِيَتْ شَنْكِيْتُ
وَدَنِي الْغَبَايْنِ لِي جِبَالُ فَرْتِيْتُ
إِذَا جَبْتَ مَا لَأَفْرَحُ أَمْ سَوْمِيْتُ
وَأَمَّا فَوْقَ جَبَلٍ تَقْلِي أَنْجِدَ مَا جَبْتَ

يشكوى من الفقر حتى إنه أصبح يبدو أكبر سناً من الحقيقة كما أنه ابتعد إلى أقصى البلاد غضباً من وضعه وعملاً في الهبة وهو أمام خيارين لا ثالث لهما وهما إما العودة المظفرة محملاً بالأموال التي اكتسبها من الهمة وإما الموت وحيداً غريباً وبعيداً .

أما فيما يتعلق بالشعراء الصعاليك فقد تعالت أصواتهم بالشكوى من الفقر وذلك في قول السليك بن السلكة : (٣)

ومَانَلْتُهَا حَتَّى تَصْعَلْتُ حَقْبَةً وَكُنْتُ لِأَسْبَابِ الْمَنِيَةِ أَعْرَفُ

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرئى إذا قمت تغشاني ظلالاً فأسدفُ

(١) الأصمعيات، ص (٤٦)

* هو عروة بن الورد أبو الصعاليك وكبيرهم شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها المعدودين

(٢) عبد القادر عوز الكريم وعمر كبوش، وقفات مع شعراء البطانة، ص (٤٧)

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء ٢٠، (السليك بن السلكة اخباره) ص (٣٥٠)

* السليك بن عمرو والسلكة هي امه، أحد الصعاليك من طائفة الاغربة السود، كان عداء يسبق الخيول في عدوه

أو قول عروة بن الورد: (١)

فسر في بلاد الله والتمس الغنى
تَعش ذا يسارٍ أو تموت فتُعذرا

وله : (٢)

ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومُقتراً
من المال يطرح نفسه كلَّ مطرحٍ

نجد هذين الصعلوكين قد اشتكيا الفقر وما يفعل بالإنسان والسلوك بن السلوك يعترف بأنه لم ينل حظه إلا بعد ان عاش حياة الصعاليك و واجه الموت مرات عديدة.

أما عروة بن الورد فينصح بالسير في بلاد الله لكسب الرزق أو الموت دون ذلك وفي الموت عذر واضح وهذا أيضاً يجد لنفسه العذر لأنتهاجه هذا النهج في حياته بأنه فقير وذو عيال .

ثالثاً :

الأخلاق النبيلة :

(أ) الكرم:

الطيب ود ضحوية (٣)

ماني التَّنبُّل القاعد بقول سويت

واشهد خالقي كان يوم السؤال قرئت

إن برَدَن نقود ماني البُخيل صريت

وإن حرَن بُكار ما هن صفائح زيت

والتنبُّل الذي لا عمل له وهذه الكلمة مستعملة كثيراً في شعر الهمباته ونلاحظ أن الطيب ود ضحوية يتمتع بروح إيمانية فهو كثير الذكر لله في شعره وهو يقول إنه يشهد الله العظيم على أنه يلتزم الصمت عند سؤاله من قبل السلطة أي أنه لا يشي باصدقائه وهو ينفي عن نفسه صفة البخل (ماني البخيل).

وفي قوله (إن برَدَن) يعني إنه إذا طالت المسافة فإنه

(١) ديوان عروة بن الورد ، دارصادر للطباعة والنشر وداربيروت، ١٩٦٤ ص (٤٤)

(٢) المرجع السابق، ص (٢٣)

(٣) عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش ، وقفات مع شعراء البطانة، ص (٤٦)

يقوم ببيع الإبل التي نهبها ويستمتع بالأموال التي اخذها ثمنًا لها أو أنه يمكن أن يتمتع بالبكار وهي الإبل وليست شيئاً آخر كصفائح الزيت وفي هذا إشارة إلى تعففه من سرقة غير الإبل، وهو يقصد أنه يجود بهذه الأموال.

أما عروة بن الورد وهو كبير الصعاليك فهو يفخر بكرمه في قوله : (١)

إنى امرؤ عافى إنائي شركةً وأنت امرؤ عافى إنائكَ واحدُ
اتهزأ منى أن سمّنتَ وأن ترى بوجهي شحوبَ الحقِّ والحقَّ جاهدُ
أقسّم جسمي في جسومٍ كثيرةٍ وأحسُّ قراحَ الماءِ والماءَ باردُ
يقول عن نفسه إنه لا يأكل الطعام وحده بل ينتظر أن يأكل معه الناس ويستنكر أن يهزأ منه هذا الذي يخاطبه وهو رجل سمين بينما عروة شاحب وهزيل .
ويجد علة لهزاله إذ يقول إن جسمه مفرق في جسوم كثيرة .

وهذه الأبيات هي التي من أجلها قال عبد الملك بن مروان :

(ما يسرني أن أحداً من العرب ممن ولدني لم يلدني إلا عروة بن الورد)

(ب)مراعاة الجوار :

قولهم : (٢)

ببعد ردي مابدى أخون الجار
و احرت كفي في اليوم أب لطاماً حار

وقول آخر (٣)

ما بشيل الرفيق بي لؤمو بي سيأتو
ما بدنى في غيبتو وبخالي أخواتو
يوم تلقاني في الوعر القنوبا وطاتو
قلبي مكجن البسمع كلام أमतو

نفي هذا الهمباتي عن نفسه صفة الدناءة فهو لا يخون الجار ابداً كما أنه عند الهيجاء فارس مغوار .

وهو أيضاً نفي صفة الدناءة عنه وهو لا يغتنم فرصة غياب صديقه ويصادق أخواته (أخالي أخواتو) أي يصبح خليلاً لهم .

(١)ديوان عروة بن الورد ،ص (٢٩)

(٢)شرف الدين الأمين ،الهمبئة في السودان ،ص (١٠٩)

(٣)المرجع السابق ،ص(١٠٩)

وهذا عروة بن الورد يقول في مراعاة الجوار (١)
وإن جارتني ألوت رياح ببيتها
تغافلت حتى يسُتر البيت جائبه

يقول عروة إنه إذا كان خارج خبائه ورفعت الرياح جانب خيمة امرأة جاره فإنه لا
يقحم نظره فيه بل يتشغل عنه بالنظر بعيدا حتى تعود الخيمة ألى ما كانت عليه.

رابعاً :

عدم استقرار الأحوال والقلق

قولهم (٢)

يومن في خلا ويومن مسوحنا الفتنة

يومن في شجر القصارف بتنا

البينا بترد من خصمنا الباهتنا

نتحزم بي عروضنا ونقضّي وكتنا

أيضاً : (٣)

يومن في بسط عند المقسمّ نومنا
ويوم نضاري من لفحي السّموم بهدومنا
يوم بنوجب العُملة وتجينا لزومنا
نحن إن عبنا (يا كَيْقَة) أم خدود بتلومنا

وقولهم : (٤)

يوم كربيت ويومن عشانا ربيت
ويومن نسف التابة وعليهو نبيت

في الرباعية الأولى يؤكدون على عدم استقرارهم في المكان فهم تارة في الخلا ومرة
في القصارف في إشارة إلى عدم الاستقرار .

وكذلك عدم الاستقرار في الأحوال فهم يوما عن الحبيبة وقد كنى عنها (بالمقسم نوما)
وهم أحياناً يعانون من شدة الحر ومرة هم في حالة مادية جيدة (وكيقة) هذا أحد
(الرفاقه) يخاطبه قائلاً إنه إذا لم يتصرف كما ينبغي فان ذلك يوجب لوم الحبيبة .

(١)ديوان عروة بن الورد،ص (١٩)

(٢)شرف الدين الأمين عبد السلام،الهمبئة في السودان ،ص (١٣٥)

(٣)المرجع السابق،ص (١٥٣)-(٨٧)

الكربيت هو مشي الإبل فهم مرة على ظهور الإبل ومرة أخرى يتعشون لحما وأحياناً لا يجدون ما يقتنون به سوى التبغ .
ويعبر تأبط شراً عن عدم استقراره في قوله : (١)

حمال الويه ، شهاد اندية قوال محكمة ، جواب آفاق

يقول انه قائد القوم الذي يحمل اللواء كما انه يشهد اجتماعات قومه وهو ذو كلمة نافذة وفاصلة بالاضافة إلى أنه صاحب أسفار وغزو .

وهذا عروة بن الورد يقول: (٢)

فيوما على نجدٍ وغارات أهلها ويوما بأرضٍ ذات شتٍّ وعَرُعر

ذات الحالة من التشتت وعدم الاستقرار فهم مرة في نجد يغيرون على أهلها، ونجد غنية بمواردها وبأهلها ونجدهم في ذلك اليوم في رغد من العيش ويوما آخر هم بأرض جافة لا خير فيها .

ويقول تأبط شرا : (٣)

فيوماً بغزائٍ ، ويوماً بسربةٍ ويوماً بخشخاشٍ من الرجل هياض

خامسا :

الحديث عن الرفاق وإليهم:

والمعروف أن الهمباته يسيرون في جماعات أقلها اثنان وربما وصل عددهم إلى ثمانية لذا تجدهم في شعرهم يرددون ذلك .

وهذا أحدهم يقول (٤)

كَمْ شَقِيَّتْ غَرَبَةٌ فِيهَا بَقْلَبْ لُونِي
وَكَمْ بَارَيْتْ (جَنُونًا) فِي الْخَلَا بِشُورُونِي
رَدِّي بِبَعْدُوا أَصْحَابِ سَاحَتِي مَا يَرْبِيُونِي
كُرَاعِي تَقِيلَةُ بَحْرَتْ كَفِي شَنْ لِحَقُونِي

(١)المفضليات، ص (٢٩)

*تأبط شرا هو ثابت بن جابر بن سفيان وسمى بذلك لانه حمل سيفاً وخرج فقيل لأمه اين هو فقالت تأبط شرا وخرج كان احد لصوص العرب وصعاليكهم وهو خال الشنفرى

(٢)ديوان عروة بن الورد، ص (٣٨)

(٣)د.يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ص (٥٢)

(٤)عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش، وقفات مع شعراء البطانة، ص (٤٢)

وقول الطيب ود ضحوية : (١)

الليلة النَّفس أمست حزينة وعامدة

ما بتسلى بي برفع حميدة وحامدة

فارقنا الرباعة أبان قلوباً جامدة

ناس (طه اللحو) ضو القبيلة الهامدة

ويقصد به طه الضرير، وهو من المشاهير في عالم الهمباتة.

وقوله أيضاً : (٢)

الخبر البجيبو الصديق مقفل جوّه

حالف ما بقيف دُونُو إن بقيت في هوّه

عن طرش الدرق ما بنسى شرط الخوّة

كبأس للدهم عند البقول يامروّة

يؤكد هذا الهمباتي على أنه زعيم وصاحب رأى ومشورة وأن أصحابه لا يخونونه ولا يتهمونه بالخيانة وهو لا يسرع بالهرب إذا لحقه أصحاب الإبل .

يعبر ود ضحوية عن وفائه لأصدقائه الذين افترق عنهم ربما لأنهم (سجنوا) فهو لشدة حزنه عليهم لا يأتي صويحاته وأصدقائه في تلك الحالة .

ويقسم ود ضحوية أنه لا يحاول معرفة سر الصديق حتى لو أدى ذلك لهلاكه كما انه عند القتال أخو بأس يحمي صديقه ويموت دونه كما أنه يسارع لإغاثة الملهوف . وللصعاليك الوفاء نفسه فهذا أحدهم يقول : (٣)

فإن أثقفوني فأقتلوني وإن	أثقف فسوف ترون بالي
فأبرح غازياً أهدي رعيلاً	أوم سواد طود ذي نجال
ويبرح واحداً واثنان صحبي	ويوماً في أضاميم الرجال
بفتيان عمارط من هذيل	هم يتفون أناس الحلال
وأبرح في طوال الدهر حتى	أقيم نساء بجلة بالنعال

(١) شرف الدين الأمين عبد السلام ، الهمبته في السودان ، ص (٩٣)

(٢) المرجع السابق ، ص (٩٤)

(٣) د. يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك ، ص (١٩٢)

وقول الشنفرى: (١)

وَأُمَّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدَتْ تَقْوَتَهُمْ إِذَا أَطْعَمْتَهُمْ أَوْ تَحْتَ وَأَقَلَّتْ
تَخَافُ عَلَيْنَا الْعِيَالُ إِنَّ هِيَ أَكْثَرُ وَنَحْنُ جِيَاعُ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتْ
مُصْعَلَكَةَ لَا يَقْصُرُ السِّتْرُ دُونَهَا وَلَا تَرْجَى لِلْبَيْتِ إِنْ لَمْ تَبَيْتْ
ويقصد (بأم عيال) تأبط شراً فهو يقوم على إطعامهم وقد شبه بقية الصعاليك بالعيال
وأمهم تقوم على رعايتهم وإطعامهم وربما قترت عليهم خوف الحاجة إذا نفذ الطعام
ولم يبق من المؤونة شيئاً . وهي تشمر عن ملابسها أي أنها في حركة دؤوبة.
سادساً :

الاستخفاف بمن لم ينتهج منهجهم :

الطيب ود ضحوية: (٢)

ماني التنبل الفي البيت شغلتنو حليب
بدور الشدة فوق إبلا شوافي ونيب
إن حرن نخت الشكرة مابنعيب
وإن بردن نكافيين سوالف أم طيب

وقوله: (٣)

ماني التنبل القاعد براعي الضان
ختاراً بببيت فوق قُجّة أم كيغان
وصباراً على قدر الإله إن كان
أنا أبو فاطنة في اليوم السيوفو سُثنان

يستخف بالرعاة الذين يعملون في رعي الأغنام ويفخر بأنه يركب الإبل ويغزو وينهب
إبل غيره فإما ساقها أمامه وكان ذلك مدعاة لشكره وإما باعها واشترى بثمنها هدايا
لمحبوته

وهذا دليل على أن الهمبته لم تكن عيباً

(١)المفضليات ،ص (١١٠)

(٢)عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش،وقفات مع شعراء البطانة ،ص (٤٨)

(٣)المرجع السابق ،ص (٢٢)

وهذا الاستخفاف يوجهه الصعاليك أيضاً للرعاة في قولهم (١)
ولستُ براعي ثَلَّة قامَ وسطها
طويل العصا غرنيق ضحلُ مُرسَل

وقول أحدهم في المزار عين : (٢)

الجنيات التَّغْيِ وصنعتا الماروقُ

ماربطوا البلاوي للنهيض والسوقُ

بندليهن عطاش من العتامير فوقُ

بنبيع بي قليل ما بنصنع ورق في سوقُ

يقول إن هؤلاء المزارعين لم يقوموا بنهب وسوق الإبل أمامهم وهو يفخر بأنه يأتي
بالإبل من الأماكن البعيدة وهو يقول إن الهدف ليس المال وإنما حب المغامرة .

قول عروة بن الورد : (٣)

وخاطر بنفسك كي تُصيبَ غنيمةً إن الفُعودَ مع العيال قبيح

المالُ فيه مهابةٌ وتجلةٌ والفقرُ فيه مذلةٌ وفُضُوح

وقوله : (٤)

وما طالب الحاجاتِ من كلِّ جهة من النَّاسِ إلا من أجدَّ وشمَّر

كل هذه الشواهد حثت على السير لطلب المال عن طريق النهب والمخاطرة

(١) د.يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص (٣٧)

* ثَلَّة :جماعة الغنم ، * غرنيق: نوع من الطيور

(٢) شرف الدين الأمين عبد السلام ،الهمبنة في السودان ،ص (٢٢)

(٣)ديوان عروة بن الورد ،ص (٢٤)

سابعاً:

عدم الالتزام بالتعاليم الدينية:

هذا أحد الهمماته يقلل من شأن الذين يقومون بالعبادات في خروج سافر على تعاليم الإسلام بقوله :

مابترُشَرَشْ صايمُ

ولا فنقسُ للدايمُ

ببراها أم عرفاً قايم

فوق الكرت حايم

برضي بهجم الناييم

خروج سافر على الدين وهو يسخر من الذين يؤدون عباداتهم من صيام وصلاة وهو يفخر بأنه يروع الأمنين .

وقد ذكر الشنفرى إنه قتل احد الحجيج بالرغم من أنها كانت من المحرمات حتى في الجاهلية في قولة :

قتلنا قتيلاً مهدياً* بملبد* جمار منى وسط الحجيج المصوتس*

يقول انه قتل حاجا في جمار منى وسط الحجيج في خروج واضح على أعراف الجاهليين يدل على أن هاتين الطائفتين لا تلتزمان بعرف أو تقليد .

ثامناً:

المرأة في شعرهم

الطيب ود ضحوية :

كم شديت على تيساً بسوك الناب

وكم جايب زميل من الرهد كساب

(١) الطيب محمد الطيب، دويبي، ص (٥٦)

(٢) المفضليات، ص (١١١)

*مهديا: يسوق الهدى امامه، *ملبد: جعل صمغا في شعره ليتلبد، *المصوت: الملبى

(٣) شرف الدين الأمين عبد السلام، الهممته في السودان، ص (٧٢)

حديث الناس كثير ما عندي ليهو حساب
انقطع اللسان يا فاطنة أبوك إن عاب

يذكر مغامرته التي نهب فيها الإبل كما أنه لا يهتم لأحاديث الناس ويطمئن فاطمة وهي ابنته أنه لن يأتي بما يجلب لها العار .

عروة بن الورد : (١)

دعيتي للغنى أسعى فإتي	رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهولهم عليهم	وان أمسى له حسب وخير
ويقصيه الندى وتزدرية	حليته وينهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال	يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم	ولكن للغنى رب غفور

يخاطب صاحبه مصوراً لها مزايا الغنى ومساوى الفقر وصاحبه هذه ربما نعت عليه خروجه للنهب والسلب فأجابها بالأبيات السابقة وفي هذه الأبيات إشارة إلى أن الصعلكة كانت سلوكاً منبوذاً.

وقول أحدهم : (٢)

عكسنا طرينا يا الممنوع ليالي لعبنا
وسينا سروجنا فوق البيت بعد ما شبننا
قلت نومي فوسية القرير اللينا
كم لرضاها بي درب الدراهم غبنا

يذكر انه كثيراً ما ركب الاخطار في سبيل رضاء المرأة والتي أسماها " فوسية القرير اللينة " والفوسية نبتة خضراء تنبت في الأرض الخصبة ، (القرير) وإرضاؤها يكون بجلب الأموال الكثيرة .

(١)ديوان عروة بن الورد ،ص (٤٥)

(٢)شرف الدين الأمين عبد السلام الهمبته في السودان ،ص (١١٢)

اما السليك بن السلكة فهو يقول : (١)

ألا عتبت عليّ مُصارمتي وأعجبها ذو اللّم الطّوال
فإني يا ابنة الأقبام أربي على فعل الوضئ من الرجال
ولكن لكل صعلوك ضروب بنصل السيف هامات الرجال
عتبت عليه هذه المرأة وقاطعته وربما أحببت رجلاً آخر وهو يعدد لها محاسنه وأنه
قوي يفعل ما لا يستطيعه غيره من الرجال من ركوبٍ للأخطار .
وقول طه الضرير الشهير بأبو الزينة: (٢)

شدوهن مع الأوكات

عقدوا الشورة في سقدي وخبيرن فات

الخبر الوقع هزا المديریات

أبوك يا الزينة ركّازة التقيلة إن جات

وقول تأبط شراً مخاطباً ابنته: (٣)

تقول ابنتي لما رأنتي عشيّة سلمت وما إن كدت بالأمس تسلم
تاسعاً :

المغامرات :

١- : محاولات الهرب

عبد المنان أبو ناجمة : (٤)

عقب الدندر الغيبة ومنوي شروق

وركز العقب حز فوق جد أبو البرقوق

(١) د. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص (٢٣٧)

(٢) الطيب محمد الطيب، تراث البطاحين الشعبي، ص (١٦٥)

(٣) د. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص (٤٥)

(٤) عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش، وقفات مع شعراء البطانة، ص (٤٤)

*ود ابو ناجمة من فحول شعراء البطانة، من قبيلة الفادنية في العقد السادس من العمر واشتهر بشعر
المساذير والفروسية والهنبتة
*البرقوق: جمل الشاعر

يا الخليلت وراك ساف الوطى ومحروق
كُـب آخر إيدك يا لحوري الجلب مسروق

يروى هذا الهمباتي مغامرة له في سرقة الإبل في جهة الدندر ويصور حال الذين نهب
إبلهم بأنهم في أسوأ حال وهو يستحث جملة على الهرب بما سرق ونهب.

ويقول تأبط شراً في الإطار ذاته : (١)

ولم أنتظر أن يذهموني كأنهم وراني نحل في الخلية واكناً
ولا أن تصيب النافذات مقاتلي ولم أك بالشّد الذليق مدايناً
فأرسلت مثنيّاً عن الشر عاطفاً وقلت ترّحّزح لاتكونن خائباً
وحثّحت مشعوف النجاء كائني هجف رأى قصراً سمالاً وداجناً

ويقول أبو خراش الهذلي : (٢)

فإن تزعمى أني جبت فإني أفر وأرمي مرة كلّ ذلك
اقتل حتى لا ارى لي مقاتلا وانجو إذا ماخفت بعض المهالك

ينفي عن نفسه صفة الجبن ويقول انه إنما يفر ليقوى ويعود ليرمي وأنه يقاتل بضرارة
ولكنه يفر إذا تكاثر عليه الناس و خاف الهلاك .

٢- عدم الخوف من الموت

قولهم : (٣)

كم شديت على التلب الكزازي أب دومة

وكم قطعتهن من سنجة طالبات روما

الروح ما بتفارق الجثة قبال يوما

لديه إيمان عميق بأن الموت له ساعة لا يستطيع المرء الفرار منها وهذا الاعتقاد لدى
الصعاليك أيضاً ويظهر ذلك في:

(١) د. يوسف خليل ، الشعراء الصعاليك ، ص (٢١٤)

(٢) المرجع السابق ، ص (٢١٥)

(٣) عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش ، وقفات مع شعراء البطانة ، ص (٤٥)

قول تابط شراً : (١)

إني وإن عُمَرْتُ أَعْلَمُ أَنَّنِي سَالَقِي سَنَانَ الْمَوْتِ يَبْرِقُ أَصْلَعَا

وأيضاً عند الشنفرى في قوله : (٢)

إذا ما اتنتي منيتي لم أبالها ولم تُذِرْ خَالَاتِي الدُمُوعَ وَعَمَتِي

٣- العلانية في النهب

قول الطيب ود ضحوية : (٣)

الزَّوْلُ الْبَدُورُ مِنَ الْبُوَادِي ضَرْبُهُ

يَبْقَى مَوَارِكُ الْغَرْبِ وَيَبْعَدُ الرِّيْبَةُ

مَا بَدَنِي لِلْهَامِلَةِ الْبَشُوفَا غَرِيبَةُ

إِلَّا السَّيِّدَهَا فِي الدَّنْدَرِ مَسِيلُهَا زَرْيْبَةُ

وله أيضاً : في وصف السلاح : (٤)

مَا بَدَنِي لِي عَنَزَ الْعَظِيمِ وَالسَّايِ

بَعْرِفَ سَوْقُ بُكَارِنِ دَلْتَنِ دَادَايِ

بَضْرَبَ مَا يَرِي بِخَالِفِ الْهَدَايِ

كَسْبِي الْعَنِ قَرَانِهِنِ بِهِزَ بَأَمِ يَايِ

أم ياي هي البندقية وهي نوع قديم كان يستخدمه الهمباته

(١) د. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص (٣٥)

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها

(٣) شرف الدين الأمين عبد السلام، الهمببة في السودان، ص (١٠٥)

(٤) المرجع السابق، ص (١٠٤)

وهذا تأبط شراً يقول : (١)
إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جدّ جده
أضاعَ وقاسى أمره وهو مدبرُ
ولكنْ أخو الحزمِ الذي ليس نازلاً
به الخطبُ إلا وهو للقصد مبصرُ
والشنفرى في وصف سلاحه : (٢)
فشنّ! عليهم هِرَّةُ السيفِ ثابتٌ
وصمم فيهم بالحسام المُسيبُ
وظلتْ بفتيانٍ معي أتقيهم
بهن قليلاً ساعةً ثم خيخوا

(١) د. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص (١٨٦)

(٢) المرجع السابق، ص (١٩٧)

المبحث الثاني المسدار

يعتبر المسدار تطور طبيعي لفن الدوبيت مثلما كانت المعلقات تطوراً طبيعياً للشعر الجاهلي، إذاً المسدار دوبيت طويل يصل أحياناً إلى أربعين بيتاً وهو ذو طابع سردي وقد لا يترتب ارتباطاً عضوياً كله بل ترتبط أجزاء منه بأخرى. سميت بالمسدار لأن لفظ (سدر) يرتبط بمعنى السير والإيغال في الطريق ومنها " سدر في غيه " (وسادر في غرور) أي سار موعلاً في الطريق الغي أو في طريق الغرور ويستدل على ذلك من .

قول ود شاوراني في غزلية له : (١)

جنينة الفارس الفوق النحاس فثّار

عملت قلبي خشباً في سدر منشار

فوق الشوقا لديغ الفصوصو كبار

خلى جناني ماسك كل يوم مسدار

والمسدار هو تصوير لرحلة عبر الزمان او المكان او عبر الزمان والمكان معاً .

أنموذج لمسدار مكاني :

مسدار إبراهيم ودالفراش :

من بربر مرقنا على العديلا

تبارك الخطوة يا فارق النتिला

جيت غاشي أب تقرر* للمويه شيلا

المبيت أم عطفه* قاسي عليّ مقيلا

(١) د. عز الدين إسماعيل، الشعر القومي في السودان، ص (٦٣)

(٢) النيل عبد القادر أبو قرون، ود شاوراني، ص (٢٨)

(٣) ديوان ود الفرّاش، ص (٧٥)

*اب تقرر: اسم مكان، *أم عطفة: أيضاً اسم مكان

أما مسدار ود شاوراني فهو عبر الزمان وفيه يقول:

غاب نجم النطح والحر علينا اشتد
ضيقنا وقصر طولو ونهارو امتد
نظرة المنو للقانون بقيت اتحدا
فتحت عندي منطقة الغنا الانسدا

وكلمة المسدار تعني في العامية السودانية كما ذكر عون الشريف قاسم: سدر الرجل في
البلاد ذهب لا يثنى على شيء قال أحدهم: (٢)

وكت الوكت طلع والفقرا قاموا يصلوا
والسادر سدر وأهل الخدار ادلو

كما أن كلمة المسدار قد تعني في البطانة المرعى أو المورد الذي تتجه إليه البهائم .
ولفروع القبائل المختلفة وبطونها مسابير معلومة تسدر إليها مواشيهم طلبا للماء والكأ
وقد استعمل عبدالله أبو سن شاعر الشكرية كلمة مسدار في هذا المعنى حين قال: (٣)

عناق الأريل المسدارها جبره
تحدثني حديثا كلو عبره
أنا إن جنيت قط ما ظني ببره
بلا عناب جناين وادي سبرة

واستخدمت بعض القبائل الأخرى كلمة المسدار في هذا المعنى فقال ودضحوية من
قبيلة الجعليين: (٤)

مادام بت أم قجة واردة وصادرة بالمسدار
شن جابرني على الحش والملود الحار

وأم قجة هي الناقة.

(١) النيل عبدالقادر أبوقرون، ودشاوراني، ص (٥١)

(٢) عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية في السودان، ص (٣٤٣)

(٣) سيد حامد حريز، من مسابير الشكرية، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم،
ص (٥)

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها

واستخدمت الكلمة أيضاً في المدائح النبوية في قول حاج الماحي شاعر الشايقية في قصيدة (شوقك شوى الضمير) :

الشمس في العصير رداها وجات العير

يا إخواني بي التشمير شيلو لى المسادير

وقد جاء في لسان العرب (سدر الرجل في البلاد وسدر إذا ذهب فلم يثنه شيء وسدر يدور وسدر البعير يسدر سدرأ تحير من شدة الحر) (١) .

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري سدر بصره واسمدر إذا تحير فلم يحسن الإدراك ، وفي بصره سدر وسمادير وعينه سدره وإنه لسادر في الحي تائه ، وتكلم سادرا غير مثبت في كلامه . وقد جاءت مادة (سدر) ملازمة للضلال كما في قول هند بنت الخس الأيادية: (٢)

تخوضُ بجهلٍ سادرا في فكاهاةٍ وتدخلُ في غيٍ الغواةٍ وتشر

وقول طرفة بن العبد البكري : (٣)

سادراً أحسب الغي رشداً فتناهيت وقد صابت بقر

ثم اقترنت الكلمة بضلال الشعر في قول ابن الرومي : (٤)

فما هو إلا نسجك الشعر سادرا وما الشعر إلا ضلة من ضلالكا

ومن هذا الأصل الفصيح جاءت كلمة (مسدار) لأن الشعر عندهم إنما يكون بالخيال البعيد وينسبه بعضهم إلى الضلال كما عند ابن الرومي ، ولأن أكثر المسادير تقال في الرحلات والتطواف في البلاد ، فيتعب البعير وهذا أصله من المعنى المعجمي السابق لمادة (سدر) فجعلوا الكلمة معنى للشعر الذي يقال في الترحال على ظهور الإبل مثل (مسدار القصارف) (مسدار سيتيت) ثم أطلقوا المسدار توسعا على شعر الرحلات .

(١) ابن منظور، لسان العرب ، الجزء الرابع، ص (٣٥٥)

(٢) جار الله أبي القاسم ، محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دارصادر، بيروت، ص (٢٩٠)

(٣) ديوان طرفة بن العبد البكري، ص (٦٧)

(٤) ديوان ابن الرومي ، المجلد الخامس ، ص (٢٠)

عناصر المسدار :

العنصر الأول: ذكر الأماكن

١- يقول عبدالله أحمد بك أبو سن في مسدار سيتت : (١)
مِنْ سَيِّتِ نَوَيْتِ عَابِي لِي خَنْزَرُهُ
فَوْقَ ضَهْرِ الْبُشَارِي * الدُّومَتُو * تَتَرَى

ويقول أيضاً : (٢)

تَرَى أَمْ دَالَالَاتُ قَطْعُهَا النَّيْسُ وَغَرَبَ
تَقُولُ دِيكَ هَضْلَمًا بِالْخِيلِ مَسْرَبَ

٢- يقول الصادق حمد الحلال (المعروف بود آمنة) في مسدار قوز رجب (٣)
شَدَّيْتُو وَرَكِبْتُ مِنْ قَوْزِ رَجَبٍ بَاكْرِيَّةَ
نَفِي شَنْشُونُو وَاتْلَحَّضْ بِلَا الْغَايَةِ

ويقول أيضاً :

اجْقَلْ بَعْدَ وَخَرِ حَلِيلَةَ الْقَوْزِ
قِفَاكَ الْحَرْتَةَ وَالْمَجْمُوعَ رَمَاهُنْ جَوْزَ

٣- يقول العاقب ود موسى في مسدار الضكير :- (٤)
عُقِبَ الْعُقْدَةُ سَحَّارُ الْغُرُوبِ الْكَافِرُ
نَاطِحُ الْمَا بِقَوْلِ جَيِّبُو لِي وَلَا بَعَاقِرُ
٤- يقول أحمد عوض الكريم أبو سن في مسدار القصارف : (٥)
شَافَ ضَهْرَ أُمِّ سَرِيَّةَ * وَسَوَى قُودَ * وَرَحِيحَ
دَهْمَانِيَّتُو جَاهَا مُطَبَّقَ الْمُرِيحَ *

(١) سيد حامد حريز، فن المسدار (١١٣)

*البشارى : الجمل الذي يضرب به المثل في الأصالة، *الدومتو : مؤخرة الرأس للإبل

(٢) المرجع السابق، ص (١١٤)

*ام دالات : اسم مكان

(٣) المرجع السابق، ص (١٢٥)

*شنشون : ماتبقى من الشعر بعد الجز، *الغازية : امرأة سيئة السمعة *حليلة القوز : اسم مكان،

(٤) المرجع السابق، ص (١٣٨)

(٥) المرجع السابق، ص (٩٦)

*ام سريية : اسم مكان، *القود والريح، من انواع المشى عند الإبل، *دهمانيه : اسم مكان

يسمى المسدار عادة باسم المنطقة التي تبدأ منها الرحلة ويقوم الشاعر برصد الأماكن التي مر بها في رحلته وتسجيلها والتي غالبا ما تكون إلى ديار المحبوبة وتسمى هذه الرحلة (الشويم) ، تقول النساء في غناء السيرة :

يا عَدِيلَةَ يا بِيضًا يَامَلَانِكَةَ سِيرِي مَعَا
الليلة (شويم) بى قُدرة الله

وتقول أيضا :

الليلة سَار ياعشايا عديلة لي
(شويم) شال الجداية ياعديله لي

الشاهد هنا (الشويم) هو الرحلة لديار المحبوبة . وقد ورد ذكر (الشويم) في الشعر العربي في جذر الكلمة (ش، ي، م) في قول النظار الفقعسي: (١)
يا صاحبي أعيناني بطرفكما أنى تشيمان برق العارض الساري
يعني ترقبا اتجاه البرق والمعنى فيه تقارب ، لأن الرحلة عندما تبدأ فهي تأخذ اتجاهاً محدداً. وجاء في لسان العرب: (وشام السحاب والبرق شيماً نظر إليه أين يقصد وقيل هو النظر إليهما من بعيد وشيئت مخايل الشيء إذا تطلعت إليه من بعيد ببصرك منتظراً له). (٢)

ويذكر الشاعر المنطقة التي بدأت منها رحلته ثم يعرج إلى وصف ناقته أو جملة وهذا الرصد للأماكن قام به الشعراء العرب قديما

١- فهذا لبيد يذكر هذه الأماكن في معلقته: (٣)

عَقَتْ الدِيَارُ محلَّهَا فمَقَامَهَا
فمدافع الرِّيان عُرِّي رَسْمُهَا
بمَنْى تَأَبَّدَ عَوْلُهَا فرجَامُهَا
خَلَقًا كَمَا ضَمَّنَ الوُحْيَ سِلَامُهَا

٢- وقول عمرو بن كلثوم: (٤)

فأَعْرَضْتُ اليمامةُ واشْمَخَرَتْ
وَأَنْزَلْنَا البُيُوتَ بذِي طُلُوحٍ
كأَسْيَافٍ بآيَدِي مُصْلَتِينَا
إِلَى الشَّامَاتِ تَنْفِي المُوَعِدِينَا

٣- قول الحارث بن حلزة إلى شكرى: (٥)

بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِبَرْقَةٍ شَمَاءَ
فَالْمَحْيَا فَالصَّفَاحُ فَأَعْنَاقُ
فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخَلَصَاءُ
ذِي فَتَاقٍ فَعَازِبٌ فَالْوَفَاءُ
فَرِيَاضُ القَطَا فَأَوْدِيَّةُ
الشَّرِيبِ فَالشَّعْبَتَانِ فَالْأَيْلَاءُ

(١) أبو هلال العسكري ،ديوان المعاني،الجزء الثاني،ص(٧)

(٢) ابن منظور، لسان العرب،الجزء ١٢، ص (٣٣٠)

(٣) ابن الأنباري ،المعلقات السبع الطوال،معلقة لبيد بن ربيعة العامري ،ص(٥١٧)

(٤) المرجع السابق ،معلقة عمرو بن كلثوم،ص(٣٨٣)

(٥) المرجع السابق معلقة الحارث بن حلزة ،ص(٤٣٤)

٤- وقول زهير بن أبي سلمى: (١)
أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دَمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمَتَلِّمْ
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَجَعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ

ذكر كل هؤلاء الأقدمين الأماكن ذكراً سريعاً دون الوقوف عندها ودون تفصيل بينما وقف شعراء المسادير في الأماكن قليلاً وفصلوا حال الإبل ثم أنتقلوا إلى المكان الذي يليه .

العنصر الثاني :

وصف الإبل :

قلنا إن الراحلة الأساسية في الرحلة هي الإبل لذا فالشاعر كثيراً ما يصف جملة ويبدأ بوصف :

أ/ السرعة

تشبيه الإبل بالنعامة في السرعة

يقول أحمد عوض الكريم في مسدار القصارف: (٢)

سوسيو النعام* الزعزعنو شراتي*

قال لي ضميري رقاً وحرتن دوماتي

والحارث بن حلزة أيضاً شبه ناقته بالنعامة قائلاً: (٣)

بزفوف كأنها هقلة أم رنل دوية سقفاء

أنست نباءة وافزعها القناص عصراً وقد دنا الإمساء

صورة النعامة الفزعة دلالة على سرعتها في الجري، نعامة عوض الكريم أفزعها صوت الطبول بينما نعامة الحارث أفزعها الصياد ولكن في الحالتين الفزع عامل مشترك .

(١) ابن الأنباري، المعلقة السبع الطوال، معلقة زهير بن أبي سلمى، ص (٢٣٦)

(٢) سيد حامد حريز، فن المسدار، ص (١٠٦)

*سوسيو النعام: يقصد به الجمل، *شراتي: طبول، *حرتن: تدفق منها الحروت وهو صبغة سوداء

(٣) ابن الأنباري، المعلقة السبع الطوال، معلقة الحارث بن حلزة، ص (٤٤١)

أما قوله في مسدار الصباغ : (١)
ثَرَسَ وَدَّ أَحْمَدُ الْبَقِيَّتِ وَطَاتُو مَغَارِبُهُ

جيتو تحاكي في لبّعي النّعام الهاربة

أو قول العاقب ود موسى مسدار ودكوة : (٢)

مَصَعٌ وَاتشَابَى خَشَا نَتِيلَةَ السَّوْرِيْبِ

كفهُ اللَّيْلَةُ حَاكِي نَعَامَةٍ أَب رَوْرِيْبِ

شبهه الجمل بالنعام فالجمل يشبه النعام كثيرا في بناءه الجسمي

وقد قال المرقش الأصغر : (٣)

رَمَتْكَ ابْنَةُ الْبَكْرِي عَنْ فَرْعِ ضَالَةٍ* وَهَنْ بَنَا خُوصٌ يُخَلْنَ نَعَائِمًا*

وقول الحارث بن حلزة أيضا : (٤)

وَإِذَا اللَّقَاحُ تُرَوِّحَتْ بَعْشِيَّةٍ رَتَّكَ النَّعَامُ* إِلَى كَنِيْفٍ* الْعَرْفَجِ*

أيضاً شبهوا الجمل بالنعام. أي أن الإبل التي شبهها بالنعام تسرع بصغارها إلى الحظيرة خوفاً عليها من البرد والرياح .

(ب) حركة سير الجمل

العاقب ود موسى في مسدار الضكير : (٥)

عَجَلٌ وَخَرَّ الْعَطْشَانُ وَتَرَّ فَنَّاكَ

فَجَّ وَاجُوجِي يَا أَب حَبْرًا سَرَفَ بِي جَرَانِكَ

(١) سيد حامد حريز، فن المسدار، ص (٧٠)

(٢) سيد حامد حريز، من مسابير الشكرية، ص (٨٠)

(٣) المفضليات، ص (٢٢٤)

(٤) المرجع السابق، ص (٢٥٦)

*الضالة: أعلى الجبل الذي لا يشرب الماء، *نعائم: جمع نعامة، *العرفج: نوع من الشجر
*كنيف: حظيرة من شجر تعمل للإبل من الشجر، *رتك: تسرع الخطو

(٥) سيد حامد حريز، فن المسدار، ص (١٣٥)

*الجران: رقبة الجمل

وهذه الصورة استخدمها امرؤ القيس في وصف حركة فرسه في قوله : (١)

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ تَقَلَّبُ كَفَيَّْةٍ بِخَيْطٍ مُوَصَّلٍ

والخذروف لعبة كان يستخدمها الصبيان وربما لا يزالون وهي عبارة عن شكل دائري يخترقه الخيط من وسطه وهي تصدر صوتا عن اللعب بها في سرعة شديدة وشبه بها حركة سير الإبل .

وشبهوا سير الإبل بالمرأة الحائكة :

قول ود الفراش : (٢)

تقولب ايديك تقول مكنه مخيِّط

بلاست ريدي ما اظنك تبيِّت

وقول المسيب بن علس : (٣)

فِعْلَ السَّرِيعَةِ بَادَرْتُ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهَمُّ بِالْإِسْرَاعِ

والسريعة هي المرأة الحائكة وشبه حركة أقدام الإبل في تتابعها بحركة الخياطة في الخروج والدخول.

(ج) وصف جسم الإبل :

ود شاوراني يصف جملة في مسدار له : (٤)

انكسر العزيز ود المهوراة القاصع

أقنف وليهو فطسة وسدرو جاير وواسع

ويقول ود سميري أحد شعراء الفادنية : (٥)

ادر دم قفاك لحاج ضميرك رقا

ماسك لك عتاميراً بعاد ومشقا

(١) ديوان امرؤ القيس، ص (٢١)

(٢) ديوان ود الفراش، ص (٧٤)

(٣) المفضليات، ص (٦٢)

(٤) النيل أبوقرون، ود شاوراني، ص (١٥)

(٥) شعراء الفادنية، ص (٧٦)

وهذا طرفة بن العبد يصف ناقته : (١)

كَقَطْرَةِ الرُّومِي أَقْسَمَ رَبُّهَا
لَتُكْتَنِفَنَّ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدٍ

لَهَا فَخْذَانِ أَكْمَلَ النُّحْضُ فِيهِمَا
كَأَنَّهَا بَابُ مَنِيْفٍ مَمْرَدٍ

٥- قال ابن لجاء التيمي : (٢)

أُنْعَتَهَا إِنِّي مِنْ نُعَاتِهَا
مَكْفُوفَةٌ * الْأَخْفَافُ مُجْمَرَاتِهَا *
مُنْدَحَّةُ السَّرَانِ وَادِقَاتِهَا *
سَابِغَةُ الْأَذْنَابِ ذِيَالَاتِهَا *

٦- وقول ود شاوراني : (٣)

لِي وَدُ الْبِيَاخِذِ الْمَحْفَلِ الْحَيِّ شَوْقُو
حَرِّ عَنَافِي * مَوْهَ مَرِينٍ بِغَلْبِ سَوْقُو
جَمَلًا بِقَلْعِ الرِّكَابِ وَسَرْجُو الْفَوْقُو

وقد استخدم امرؤ القيس هذه الصورة في وصف قوة فرسه في قوله: (٤)

يُطِيرُ الْغَلَامَ الْخُفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ وَيُلَوِّى بِأَثْوَابِ الْعَنِيْفِ الْمُثْقَلِ

(د) وصف عرق الإبل

العاقب ود موسى : (٥)

يَاتِيْسُ الْخَلَا الْمَنْ الرُّوَيْنَهُ * مَفْرَطُ

شَدِيرٍ قَرْفُوجِهِ دَانَتْوَ أَيْدِكَ الْبِتْسَرَقِ

هَجِيمِ النَّدِيمِ الْعَرَضُو مَوْ مَتَشَرَطِ

خَلَى (هَتِيفٍ قِمَاقِمَكَ) فَوْقَ قَفَاكَ مَتَحَرَقِ

(١) ابن الأنباري، المعلقات السبع الطوال، معلقة طرفة بن العبد، ص (١٦٤)

(٢) الأصمعيات، ص (٣٤)

* ابن لجاء شاعر إسلامي، راجز

* مكفوفة: مجموعة، * مجمراتها: شديدة صلابة، * ذياتها: طويلة الذيل، * وادقاتها: ممثلة شحما ولحما

(٣) النيل عبد القادر أبوقرون، ود شاوراني، ص (١٤)

* عنافي: صفة تدل على اصالة الجمل

(٤) ديوان امرؤ القيس، ص (٢٠)

(٥) سيد حامد حريز، فن المسدار، ص (١٣٥)

* تيس الخلا: يقصد به الجمل، * الروينة: جماعة الغزلان، * قرقوجة: اسم مكان، * هتيف القماقم: سيلان العرق وعرق الإبل يكون أصفر في البداية وعندما يجف يصبح أسود اللون.

وقد جاء في معلقة عنتره وصف للعرق في قوله : (١)

وكان رباً أو كحياً معقداً حش الوقود به جوانب قمقم

ينباع من ذفرى غضوب جبيرة زيافة مثل العتيق المكم

(ع) الحديث إلى الجمل

يقول عبد الله أحمد بك أبو سن في مسدارسيتيت: (٢)

خبك مو وشيك الليلة مالك

تتقل في اليمين وتجر شمالك

بنيتا لي شيوما بشني حالك

رقادا دونا قط لا تسيهو ببالك

قول ربيعة بن مقروم : (٣)

لما تشكت إلى الأين* قلت لها لا تستريحين ما لم ألف مسعودا

هذان الشاعران يخبران راحليتهما أنهما لن تستريحا ما لم يصلا إلى غايتهما .

وأيضاً قول المثقب العبدى : (٤)

إذا ماقت أرحلها* بليل تأوه آه الرجل الحزين

تقول إذا درأت* لها وضيني* أهذا دينه* أبداً وديني

أكل الدهر حلّ وارتحالّ أما يبقي على وما يقيني

(١) ابن الأنباري، المعلقات السبع الطوال، معلقة، عنتره بن شداد، ص (٣٣١)

(٢) سيد حامد حريز، فن المسدار، ص (١١٥)

(٣) المفضليات، ص (٢١٤)

* ربيعة بن مقروم، أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والإسلام، أسلم وحسن إسلامه، شهد القادسية
* الأين: التعب

(٤) المرجع السابق، ص (٢٩١)

* المثقب، بكسر القاف، اسمه عائذ، شاعر فحل قديم كان في زمن عمرو بن هند

* أرحلها: أضع عليها الرحل، * درأته: مددته وشددت به الرحل، * الوضين: الحزام، * الدين: العادة

وقول ود الفراش : (١)

كربت يا جمل لا تجدع إيدك
على دغس العيون كارب شديدك
وكت الليل برد قليت غميدك
أرح يا البار قدم ستك تريدك

ويمكن القول إن الشاعر إنما يتحدث إلى الإبل متسلية نسبة لبعد الرحلة إذ ربما كان يسافر وحده دون رفيق . لذا فهو يشعر بالملل ويستوحش الطريق وربما تخيل أن الجمل يرد عليه كما في شعر عمر ود دكين الذي تخيل أن الجمل قد رد عليه قائلاً:
(٢)

أنا عارفك فصيح وعلى النيز متخيل
أكان انضم معاك تاريني مثلك عيل
الفرقة البتقسي على القفارو مسيل
أنا بقطعها وزينة مسورها منيل

وهذا عنتره بن شداد بتخيل أن الأدهم وهو فرسه قد اشتكى إليه قائلاً(٣)

فأدور من وقع القنا بلبانه
وشكى إلى بعبرة وتحمّم
لوكان يدري ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلّمي

وقول المتنبي : (٤)

يقولُ بشعب بوان حصاني
أعن هذا يسارُ إلى الطعان
أبوكم آدم سنّ المعاصي
وعلمكم مفارقة الجنان

(١)ديوان ود الفراش،ص(٣٢)

(٢)حسان أبو عاقلة،من عيون الشعر القومي في البطانة،ص(٢٢)

(٣)ابن الأنباري،المعلقات السبع الطوال،معلقة عنتره بن شداد،ص(٣٦١)

(٤)ديوان المتنبي،المجلد الرابع،ص(٣٨٩)

تعليق:

على أننا ينبغي أن نذكر أن القدماء كثيرا ما كانوا يسمون رواحهم وقد كان اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم القصواء . وسمى عنتر بن شداد حصانه بالادهم . كما ان شعراءنا الشعبيين قد أكثروا من تسمية إبلهم فود شاوراني حسب ما أورد عنه النيل عبد القادر أبو قرون هناك ستة أسماء لجماله وهي (الشرد) الهضيلم أبو شكال ، السكران ، الطربان ، الضير ، الهرع) والهضيلم ربما تكون تحريفا لكلمة (ظليم) وتعني ذكر النعام . وقد سمي ود الفراش جماله (باحارحار)، البانقير ، البارقدم .

المبحث الثالث

المجارة

المجارة حوار شعري يدور بين شاعرين ينظمان في الموضوع نفسه وربما يكون ذلك ارتجالاً ويكون الحوار بين طرفين أو أكثر وتتناول المجاراة أو (المجادعة) موضوعات متفرقة منها الغزل والفخر والحماسة .

وكان هذا الشكل الشعري موجوداً في العصر الجاهلي ولكنه برز في صدر الإسلام

وذلك من خلال المساجلات التي تمت بين الشعراء المسلمين والمشركون في غزوتي بدر واحد ودرات رحي حرب كلامية بين حسان بن ثابت ممثلاً للمسلمين وعبد الله بن الزبير ممثلاً للمشركون وغيرهم الكثير من الشعراء .

كما مثلت نقائض جرير والفرزدق هذا النوع في العصر الأموي ودارت أيضاً حوارات شعرية في العصر العباسي فيما يعرف بالإخوانيات في الشعر العباسي ..

وفي شعرنا الشعبي الكثير منه ومثلها الحارثي من ناحية وأخوه عبد الله وآخرون من ناحية أخرى في مسدار المطيرق . وكانت (المجادعات) بين الصادق حمد الحلال (ود آمنة) وعبد الله حمد شاوراني في الغزل كثيرة .

وهناك نوع من المجارة يقوم فيه الشاعر بمجارة قصيدة قالها شاعر قبل وقت طويل ويكون فيه التقليد في الوزن والقافية والموضوع ومن أكثر القصائد التي تمت مجاراتها قصيدة (بانة سعاد) لكعب بن زهير حيث لا يزال الشعراء يقومون بمجاراتها وهمزية البوصيري والبردة أيضاً لا يزال الكثير من الشعراء يكتبون على نهجها .

وفي جانب الشعر الشعبي تمثل هذا النوع الكثير من أغنيات الحقيبة التي جاري بعضهم بعضاً في موضوعها ووزنها وقافيتها وقد لا ينتبه الكثيرون إلى أن هناك أغنيتين بالحن نفسه والوزن وربما اعتقدوا أنها الأغنية ذاتها .

أغراض المجازاة:

أولاً : المدح والحماسة

دارت أحداث هذه القصة الشعرية في سهل البطانة حيث قامت قبيلة بمهاجمة قبيلة الشكرية واخذوا نساءها سبايا وكان زعيمهم (يوسف سنينات) غائباً عن القبيلة وكان الغزاة قد اخذوا زوجته فيمن أخذوا وعندما عاد إلى الديار بادره خادمه القدال قائلاً (١):

يا الماصع البطبق الهَجْمَة في طول عامو

يا باسط النِّعم من فيضك إت وإنعامو

يا بحر المُحيط الما انقطع في عامو

بني جرار وراك ما ساقو آمنه وقامو

فقال سنينات في مرارة:

شوف قَدَال ولدنا الليلة مشني كلامو

جلب خبراً شني قُبَال يتم لي سلامو

بقيت فاقد الصبر والضي بقي لي ضلامو

كيف ساقوها والشكرية كالأعلامو

فرد موضحاً :

الشكرية في فزَع آمنه ما بنلامو

بذلوا الجهد بالسيف ورموا الأسهامو

جاهم موسى رافع راسو زي الهامو

خلاهم حفايا وبالطريق يتهامو

(١) النيل عبد القادر أبو قرون، ودشاوراني، ص(٦)

فقال سنينات امرأ في غضب :

قوم شد لي فوق البعضى لجامو
وكم فرتقت جموعن العرب والأعجامو
أنا يوسف أنا سنينات أسد الخلا الهجامو
الغرباوي سواها وعليا لجامو

ويقول الحارث بن همام الشيباني في الإطار ذاته (الحماس)

أيا ابن زِيَّابة إن تَلَقَّنِي لا تَلَقَّنِي في النِّعَمِ العازِبِ
وتلقني يشد بي أجرد مُسْتَقْدَمُ البركة كالرَّاکِبِ

فاجابه ابن زيابة :

يالهدف زِيَّابة للحارث الصابح فالغانم فالآنب
والله لو لاقيته خالياً لآب سيفانا مع الغالب
أنا ابنُ زِيَّابة إن تَدْعُنِي آتِكِ والظَّنُّ على الكاذبِ

ثانياً : التهديد والوعيد :

دارت أحداث هذه القصة في سهل البطانة حيث قامت عصابة بسرقة قطعان من الإبل من قبيلة الشكرية فقال شاعر من الشكرية يسمى ود الضباح مهدداً زعيم العصابة ويسمى عثمان ود نائل قائلاً:

عثمان البان لي رباحك
وسم وسوق لمراحك
جنياتك لا تتضاحك
نجيك ونشني صباحك

(١) أبو تمام ،ديوان الحماسة،ص(٤٧-٤٨)
(٢) الطيب محمد الطيب ،تراث البطاحين الشعبي،ص(٢١)

فرد عليه عثمان ودنايل:

شَنَاتِ اليَوْمِ مَا بِالْيَدِ
دَاكَ قَدْرًا مِّنَ السَّيِّدِ
أَجِيبْ جَنِيَاتِي حَدِيدَ
وَاسَوْقِنِ مَالَ تَجْرِيدِ

وهذا عبد الله بن الزبعرى يقول في غزوة احد : (١)

يَا غَرَابَ الْبَيْنِ أَسَمَعْتَ فُؤْلُ
إِنَّمَا تَنْطَقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ
إِنَ لِلْخَيْرِ وَلِلْشَّرِّ مَدَى
وَكَلَا ذَلِكَ وَجْهَ وَقَبْلِ
إِبْلَغِنِ حَسَانَ عَنِي آيَةً
فَقَرِيضُ الشَّعْرِ يَشْفِي ذَا الْعَلْلِ
لَا أَلُومُ النَّفْسَ إِلَّا أَنَّنَا
لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعْلَ
فاجابه حسان قائلاً :

ذَهَبْتَ يَا ابْنَ الزَّبَعْرِى وَقَعَةً
كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلَ
وَلَقَدْ نَلْتُمُ وَنَلْنَا مِنْكُمْ
وَكَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دَوْلَ
إِذْ تَوَلَّوْنَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
هَرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرُّسُلِ
إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةً وَاحِدَةً
فَاجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ

وقول إبراهيم العبادي عي لسان شيخ العرب في مسرحية الملك نمر: (٢)

الزَّوْلُ فِي الرُّقَادِ شَقِوُ الْبَرِيحُو بِخَبَرُوا
وَالزَّوْلُ الْبَلِيدُ بَايَدُو بِحَفَرِ قَبَرُوا
عَادَ بِنَسْوِي عَوْسَنَا وَطَهَ يَلْزَمُ صَبَرُوا

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية، الجزء الثالث، ص(١٣٧)

(٢) إبراهيم العبادي، مسرحية الملك نمر، ص(٤٨)

فاجابه طه قائلاً: (١)

سوي الدايرو وكُتر الكلام خليهو
والشَّر القصدتو معاي ابقى عليهو
طير أصل السَّما حتى القمر دليهو
يوم نتلاقى كُلّ زول بعرف الليهو

يهدد شيخ العرب طه في البدء تهديدا مبطنا ولكنه لا يلبث أن يخلع قناعه في قوله (بنسوي عوسنا وطه يلزم صبروا) ولكن طه لم يخف بل طلب منه أن يفعل كل ما في وسعه . وعند الاصطدام سيتضح من هو الفارس .

ومن التهديد والوعيد ما نظم امرؤ القيس مهدداً

وذلك لما قتلت بنو أسد اباه حجر فقال متوعداً : (٢)

والله لا يذهب شيخي باطلاً حتى ابير مالكا وكاهلاً
القاتلين الملك الحلا حلاً خير معد حسبا ونائلاً
يالهدف هند إذا خطئن كاهلاً نحن جلبنا القرع القوافلا

فرد عليه عبيد بن الأبرص قائلاً :

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحيناً
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا
هلا على حجر ابن أم قطام تبكى لا علينا

يهدد امرؤ القيس بأن دم أبيه لن يذهب هدرًا وينتقل إلى تعداد محاسن أبيه ويفخر بقومه ويمدحهم . ولكن عبيد بن الأبرص قطع عليه استرساله في الفخر بقوله إنه كاذب فيما زعمه ويقول إن عليه أن يبكي على أبيه لا علينا . بمعنى أن يأخذ ثأر أبيه دون ضجة .

(١) إبراهيم العبادي، مسرحية المك نمر، ص(٤٨)
(٢) أحمد الشايب ، تأريخ النقائض في الشعر العربي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٦، ص(٤٨)

ثالثاً المعاييرة بالهروب :

يقول إبراهيم العبادي على لسان شيخ العرب في مسرحية الملك نمر :
شيخ العرب : (١)

البلقى القبائل مايسوي سواتك
خربت قذلتك يا طه وين دعواتك
تاني (بعد جريك) البشهادنيو اخواتك
فارقك الثبات فارق درب أبواتك

فاجابه طه: (٢)

هسع تشوفو إن كان صح وإن كان تهديد
هسع وصلتا الميس دحين حديد يلاقي حديد
ينبرش الطرور ويثبت الصنديد
خليهو المضى لاقى البجيك جديد

وقول حسان بن ثابت : " في غزوة بدر " : (٣)

إبك بكت عيناك ثم تبادرت
ماذا بكيت به الذين تتابعوا
إن كنت كاذبه الذي حدثني
(ترك الأحبة) أن يقاتل دونهم
بدم تعل غروبها سجام
هلا ذكرت مكارم الأقوام
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ونجا برأس طمرة ولجام

فأجابه الحارث بن هشام :

الله أعلم ماتركت قتالهم حتى
وعرفت إنني أن اقاتل واحداً
حبوا مهري بأشقر مذبد
أقتل ولا ينكي عدوي مشهدي
فصدت عنهم والأحبة فيهم
طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وكان هذا اعتذار صريح من الحارث بن هشام عن هروبه مبرراً ذلك بأنه هرب ليستعد
ليوم آخر .

(١) إبراهيم العبادي، مسرحية الملك نمر، ص (٥٩)

(٢) المرجع السابق، ص (٦٠)

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية، الجزء الثالث ، ص (١٥)

رابعاً الفخر :

كان الشاعر ود الفراش بعتباي فطمع فيما عنده أحد رجالها وقال الرجل : (١)

عتباي دارك

فراش ورط فيها اندرك

اتحزّم امسك خنجرك

خليها قدلة بندرك

فاجابه ود الفراش قائلاً :

إياني ماسك خنجري

وسيفي السنين الدكري

ما بخلي قولة بندري

عند الكتال أنا عسكري

من قمت ما بعرف الجري

وانا اخو أم لهيجاً سكري

ويأخذ الفخر عند العرب في هذه المقابلات الشعرية الطابع القبلي ونلاحظ أن الشعر الشعبي اتخذ الفخر الشخصي شكلاً له .

يقول حسان بن ثابت مفتخراً بقومه الخزرج : (٢)

ويثربُ تعلم أنا بها إذا التبس الامرُ ميزانها

ويثربُ تعلم أنا بها إذا قحط القطرُ نوانها

ويثربُ تعلم أنا بها إذا خافت الأوسَ جيرانها

متى ترنا الأوس في بيضنا تهزُّ القنا تخبُّ نيرانها

(١) ديوان ود الفراش، ص (١٥)

(١) أحمد الشايب، تأريخ النقائض العربية، ص (٨٦)

ويرد عليه قيس بن الخطيم : (١)

ونحنُ الفوارس يومَ الربيع قد علموا كيف فُرساتها
جنبنا الحراب وراء الصريح حتى تقصف مُرائها
ولولا كراهة سفك الدماء لعاد ليثرب أديائها
يهون على الأوس أثمانهم إذا راح يخطر نَشْوانها

خامساً : في الغزل

قال الصادق ود آمنة : (٢)

ود شاوراني عينيَّ السَّهر قَبَّحَا
ولسنت الشَّمت بي يا نديم متَحَا
على عانس متو الأبى يتلي مني وجعها
سولت وانكلب جملي أب جريدا وحَا

فأجابه ود شاوراني :

سمحة الشَّوفا روقة الغمدة مني مَنَحَا
انا يا أب آمنة ما خلت لي توبة وصحة
ذوقا غريزة الحب في فؤادي زرحَا
هجام دورها تر مجلو وخبيرتو رَقَحَا

يشكو الصادق ود آمنة لود شاوراني . وكان صديقه على ما يبدو . يشكو قبح عينيه من قلة النوم كما أن الشامتين قد وجدوا فرصتهم لتناوله بالحديث وذلك كله بسبب فتاة جميلة ويبادله ودشاوراني الشكوى في الحب ويصف صاحبتة بانها ذات ذوق رفيع يعشقه وأنه مرض من كثرة السهر جراء مايعانيه في حبها.

(١) أحمد الشايب ،تأريخ النقائض العربية،ص (٨٦)

(٢)النيل عبد القادر أبو قرون،ودشاوراني ،ص(٣١)

يقول حسان بن ثابت مشيبا بليلي بنت الخطيم : (١)
لقد هاج نفسك أشجائها
وعاودها اليوم أديانها

تذكرت ليلي وأنى بها إذا قطعت منك أقرانها

ويرد قيس بن الخطيم مشيبا بزواج حسان قائلاً :

اجد بعمره غنيائها فتهجر أم شائنا شائنا

وإن تمس شطت بها دارها وباح لك اليوم هجرائها

هذا حوار أو نقیضة تمت بین حسان بن ثابت وهو يشيب بإحدى النساء فيرد أخوها مشيبا بزوجه حسان في أسلوب فيه الرد (العين بالعين والسن بالسن). ولكن المجازاة بين الحار دلو و ود أحموده اتخذت منحا آخر في:

يقول ود أحموده : (٢)

عيوني ملجلجات مايبات يغمدن

مصنقر يامن النيران يهمدن

وين ما عين الطنبور يمدن

على اجدد الراقدبو كمدن

فرد الحار دلو :

بع ليهن شبابي كان يحمدن

ترك ليهن فرض والسنة عمدن

كلاب شرع القتيص بي دريبهن رمضان

عيون القلب من البصلحن رمدن

يشكو ود أحمودة من قلة نومه وسهره جراء الهوى ويرد عليه الحار دلو أن حاله أسوأ من حال ود أحمودة فهو قد باع شبابه لهن عسى أن يرضيهن كما أنه ترك الفرض والسنة . ويقول إن قلبه قد عمي عن رؤية ما يصلحه .

(١) أحمد الشايب، تأريخ النقائض العربية، ص (٨٥-٨٦)

(٢) الطاهر عبد الكريم، من أشعار الحار دلو، ص (٢٦)

الفرزدق : (١)

يا أليت زوراء المدينة أصبحت
وكم نام عني بالمدينة لم يبُل
ولست بمأخوذ بلغوي تقوله
بأحفار فلج أو بسيف الكواظم
إلى أطلع النفس دون الحيازم
إذا لم تعد عاقدات العزائم

جرير :

بنا كالجوى ممّا يُخاف وقد نرى
أعرك مني أنما قاذني الهوى
شفاء القلوب الصاديّات الحوائم
إليك وما عهد لك بدائم

هذان المقطعان مطلعان لنقيضتين من نقائض جرير والفرزدق وقد بدأ كل واحد منهما نقيضته بالنسيب لذا نلاحظ أنه ليس هناك ارتباط بين المقطعين .

أنموذج لمجارة بين شاعرين شعبيين : (المجادعة)

مسدار المطيرق :

والمطيرق تصغير لكلمة مطرق وتعني العصا

عدلان ود علي : (٢)

جيب قاف المطيرق خلنا نتسلى
نتجادعبو في مجلس أخوك عبد الله
أضحك وانبسط خلى فاطراك الينحلى
مي مسروقة أصلها عن برنجي الحله

الحارذلو :

طول بالعسين قانص بدور كلبى
مالقيت مستحق نمى ونوادر قلبى

(١) أحمد الشايب، تأريخ النقائض العربية، ص (٣٣٤)
(٢) حسان أبو عاقلة، من عيون الشعر القومي في البطانة، ص (٨٣)

دحين يا رضية كان فد يوم معاي تنسلي
هاك يا السمحة زي ما تدوري مني أطلبي

عبدالله: (١)

مطيرق الحار* عليها الليلة جينا مقالا

هي بقت سبب والمعنى لي من شالا

ستات الببق والفاطر البتلالا

بت السره فيهن جاز حسن* في هلالا

نجد في هذا المسدار انسيابا في الحوار وهدوءاً ، ثلاثتهم ينظمون في الموضوع نفسه بروح واحدة كأنهم يتحدثون شعراً وللمطيرق قصة طريفة مفادها أن الحار دلو واعدته إحدى النساء ليلاً ولكنه غفا وهو في انتظارها ولما حضرت ووجدته على تلك الحال أخذت المطيرق وذهبت حتى تثبت أنها حضرت فيما يشبه (حضرنا ولم نجدكم) .. وكانت الحادثة مثار تندر بين الحار دلو وأصدقائه .

أنموذج لنقيضتين بين جرير والفرزدق :

يقول الفرزدق : (٢)

بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ

حكمُ السَّماءِ فانه لا يُنْتَقَلُ

وتخالنا جنّاً إذا ما نجهلُ

ثهلان ذا الهضبات هل يتحللُ

إن الذي سَمَكَ السَّماءِ بنى لنا

بيتاً بناه لنا المليكُ وما بنى

أحلامنا تزُنُ الجبالَ رَزَانةَ

فادفع بكفك إن اردت بناءنا

فقال له جرير :

وبنى بناءك في الحضيضِ الأسفلِ

دِناً مقاعدهُ خبيث المدخلِ

أخزى الذي سَمَكَ السماء مجاشعاً

بيتاً يَحْمَمُ قينكم بفنائه

(١) حسان أبو عاقلة ، من عيون الشعر القومي في البطانة ، ص (٨٣)
*الحار: اختصار للحار دلو ، *جاز حسن : الجاز امرأة من بنى هلاله كان لها عاشق يسمى حسن فنسبت إليه
(٢) أحمد الشايب ، تأريخ النقائض العربية ، ص (٤٢٤)
(٣) المرجع السابق ، ص (٤٢٧)

وَيُعَدُّ شِعْرَ مُرْقَشٍ وَمُهْلَهْلٍ
فَسَقِيتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ

حَسَبُ الْفَرَزْدَقِ أَنْ تَسْبُجَ مَجَاشِعُ
أَعْدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا

نلتمس الروح المستفزة من الفرزدق في فخره بآبائه وقد كان الفرزدق دائم الافتخار بنسبه على جرير ويعيب على جرير ضعه نسبه . والمطلع على النقائض بين الشعارين يجد أن الفرزدق كثير الفخر بينما جرير هجاء ذا لسانٍ فاحش ولاذع ربما هذا الأسلوب هو الوحيد الذي استطاع به إفحام الفرزدق .

تعليق:

والجدير بالذكر أن المجازاة في الشعر الشعبي تختلف عن النقائض العربية . فالمجازاة (أو المجادة)

تأخذ شكل الحوار الهادئ الذي يتم بين شاعرين أو أكثر ويكون فيها الأخذ والرد بشكل سلس ، وفي اتجاه واحد بحيث يمكن أن يُعتقد أن القائل شخص واحد لما فيها من انسجام بين المقاطع الشعرية، والمجادات أيضاً تأخذ الطابع القصصي وقد تأخذ أحياناً طابعا فيه عنف وشدة.

بينما النقائض والواضح من اسمها ان الشاعر ينقض كلام الشاعر الآخر وغالبا ما تأخذ شكل فيه عنف وتحدي ويصل أحيانا إلى حد التشاتم بأقبح الألفاظ كما في نقائض جرير والفرزدق والأخطل .

ويتفق الشكلا في أنهما يشتركا أكثر من شاعر في نظمهما وأنهما يتفقان في الوزن والقافية والموضوع . وإن اختلفا في طريقة تناول الموضوع .

المبحث الرابع

الشعر الغنائي

الغناء شيء مألوف عند جميع الشعوب مهما بعدت المسافة وانقطعت الصلات بينهم، ومهما كان نصيبهم من الحضارة أو البداوة، وأيا كانت حالتهم الاقتصادية والاجتماعية، ولا يعرف على وجه الأرض شعب يجهل الغناء ومن هنا يمكن القول أن الغناء ظاهرة فطرية في الإنسان.

على مر العصور كانت هناك صورتان متقابلتان للشعر منذ العصر الجاهلي . صورة تقليدية تعتمد على رسوم وتقاليد كثيرة وصورة أغاني خالصة تعتمد على العزف والضرب على الآلات الموسيقية .

ونقصد بالصورة الأولى، صورة معقدة تمثلها مطولات الشعر العربي المتمثلة في المعلقات وهذه صورة تقابلها المسابير في شعرنا الشعبي ونجد أن الشعراء يبالغون في صنع نماذجهم مبالغة كبيرة حتى يضمنوا جودتها . (١)

وكان يقابل هذه الصورة صورة أخرى أقل تعقيداً وأكثر سهولة وهي تشبه المقطوعات ولم تكن تدور حول المديح أو الهجاء وإنما كانت تدور غالباً حول الغزل ووقائعه وهي تصاحب بالعزف والضرب على الآلات الموسيقية ، وقد شهدت صورة الشعر الغنائي تطوراً كبيراً بحكم اتصالها بالغناء والموسيقا ولغة الناس الشعبية والأغاني غالباً ما يتخذ شعراؤها كلماتها من لغة الناس المألوفة لأنهم يرغبون في أن يكونوا قريبين منهم (والعصر الجاهلي قد شهد نوعاً من الغناء كانت تؤديه القيان في أماكن محددة والقيان هن الجواري . ووظيفتهن الأولى الغناء . وربما كانت بدايات الغناء أبعد من ذلك وهي متمثلة في غناء الحداة لإبْلَهُمْ كصورة مبدئية تم تطور إلى أن أصبح يصاحب بالمعازف والآلات الموسيقية) (٢)

كما أن الغناء الشعبي قد بدأ في الماضي بواسطة الطنبارة الذين كانوا يؤدون الأغاني بمصاحبة أصواتهم والتصفيق بواسطة أيديهم فقط ثم أدخلوا الآلات الموسيقية البسيطة وبعدها أصبح الغناء بشكله الحالي (٣)

فيما يتعلق بالشعر الغنائي لا يوجد فرق بينه وبين الشعر التقليدي إلا ما كان من تخفيف الأوزان وبساطة الكلمات والتي يفهمها كل من يسمعها دون الحاجة إلى شرح لمعاني المفردات .

(١) راجع الدكتور شوقي ضيف، الشعر والغناء في مكة والمدينة لعصر بني أمية، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ص (٥)

(٢) راجع ناصر الدين الأسد، الغناء والقيان في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ص (٩٥)

(٣) على محمود الترنزي، قبسات من شعر الحقيبة، ص (١٩)

أولاً : غناء المناسبة :

لا شك أن الغناء ارتبط بالمناسبات السعيدة كالزواج مثلاً ونجد الناس يعبرون عن فرحهم بواسطة الغناء وهناك أغانٍ خاصة بالسيرة وهي مسير العريس إلى منزل العروس لإكمال مراسم الزواج ونجد النساء يرددن في هذه المناسبة أغاني جماعية مثلاً قولهن . (١)

أم العروس جينا ليكي
وجينا العريس باركنا هو ليكي

او قولهن :

يا نسيبتو شن بتقولي
جبنا ليك عقيد اللولي
جبنا ليك الغالي علينا
جبنا ليك عجب عينينا

وهي كلمات تحمل البشري بالخير كما أنها تمدح العريس أو الزوج المرتقب. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار وأحاديث تتعلق بموضوعنا منها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلاً من الأنصار فكنت في من أهداها إلى زوجها فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا عائشة إن الأنصار أناس فيهم غزل فما قلت ؟ قالت دعونا بالبركة قال أفلا قلت

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ
فَحَيَّوْنَا نُحْيِيكُمْ
وَلَوْلَا الدَّهَبُ الْأَحْمَرُ مَا حَلَّتْ بَوَادِيكُمْ
وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّمَرَاءُ لَمْ تَسْمَنْ عَذَارِيكُمْ

ولعل في قوله (صلى الله عليه وسلم) ان الأنصار أناس فيهم غزل ، ما يشير إلى استئراء هذا الفن بينهم وتمكنه فيهم . (٢)

وإذا تحدثنا عن استقبال القادم نجد أن هناك غناء يستقبل به القادم كقول أهل العروس عند استقبال العريس .

(١) الطيب محمد الطيب ،دوباي ،ص (٨٨)
(٢) أخرجه ابن ماجة في السنن، حديث رقم (١٩٠٠)

قولهم : (١)

الليلة شرفت يا و ذالعزاز أنت
خشمك ما بقول قتّ الليلة شرفت

ونساء المدينة وجواريتها هن اللاتي خرجن يستقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمعازف والدفوف وهن يتغنين : (٢)

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحباً ياخير داع

ثانياً : أغاني الهددة (المهد) :

ارتبط هذا النوع من الغناء بالمرأة والأم على وجه الخصوص فهي تغني لطفلها وتهزه
حتى ينام وربما كان الكلام من تأليفها او ربما كان كلاماً شائع الاستعمال وهي تردده
بصوت هادئ ورتيب مما يجعل الطفل يشعر بالاسترخاء ويذهب في النوم وغالبا ما
تحتوى هذه الأغاني على أمنيات المرأة لطفلها ويمكن أن يكون الغناء للطفل لترقيصه
واللعب معه.

قول فرج الصادق* في ترديده لولاي وهددة الحبوبة لصغيرها : (٣)

برية اللؤل برية اللؤل برية اللؤل برية اللؤل
فوقو الرسول برية اللؤل زوج أم حجول برية اللؤل
ماجيب القول برية اللؤل

وقولهن في ترقيص الأبناء: (٤)

الليل الليل السمح ولدي الليل الليل السمح ولدي
التقيل ولدي سن الفيل ولدي

(١) من الأدب الشفاهي

(٢) ناصر الدين الأسد، الغناء والقيان في العصر الجاهلي، ص(٤٨)

(٣) محمد الفاتح أبو عاقلة ، من خصائص الشعر الشعبي السوداني، ص(٥٠)

*شاعر ومغني ربابة من منطقة تمبول العيساب في العقد الخامس من العمر

(٤) من الأدب الشفاهي

والتنغيم في أغاني الأطفال يتوخى البحور الخفيفة التي تتناغم مع الأطفال الصغار .
والعبدلابية تغني لأخيها الصغير قائلة : (١)

متين يا علي تكبر تشيل حملي

ما ياك على خلاك أبوي دخري

وهذه أخرى تهدد أخاها : (٢)

يا بقوي أخوي ماني خاتاك في بالي

ختاك في الجهل يا كنزنا الغالي

ويقال إن بقوي هذا قد حمل السيف وهو لا يزال يرتدي ملابس الختان .

ويزعمون أن عبدالمطلب قد اخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) عند مولده فدخل به
الكعبة ، فقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه ثم خرج به إلى أمه والتمس له المراضع

وقد ارتجز قائلاً : (٣)

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأرداني

قد ساد في المهدي على الغلمان أعينه بالبيت ذي الأركان

وقد ذكر البرقوقي في شرح ديوان المتنبي أن بعض نساء العرب كانت تُرقص ابنا لها
وهي تقول : (٤)

قم قائماً قم قائماً لقيت عبداً نائماً

وعشراء رائماً وأمة مُراعماً

والعشراء هي الناقة الحبلى و تتمنى هذه المرأة لطفلها أن يصبح غنياً يمتلك الإماء
والعبيد والإبل.

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، تأريخ العبدلاب، ص(١٤٤)

(٢) المرجع السابق، ص (١٢٥)

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، الجزء الأول، ص(١٦٠)

(٤) هامش ديوان المتنبي، المجلد الأول، ص(٨)

وهذه واحدة من النساء ترقص ابناً لها وهي تقول : (١)

بكرة تكبر ليا يا الحبيب جيت ليا

تبقى لي كبير وتبقى لي سفير

تبقى لي دكتور لما أجيك أزور يقولوا في المرور

وقد روي أن امرأة من العرب ترقص ابناً لها وهي تقول : (٢)

يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد

أهكذا كل ولد أم لم يلد مثلي أحد

وروي أن الزبير بن العوام كان يرقص ولده ويقول: (٣)

أزهر من آل بني عتيق

مبارك من ولد الصديق

الذه كما الذ ريق

قلنا أن هذا النوع من الغناء ارتبط بالنساء ربما كان هذا الارتباط في أدبنا الشعبي ولكن الملاحظ من خلال الشواهد أنفة الذكر أن الآباء العرب كان لهم نصيب في الغناء لأبنائهم ويتضح ذلك في أرجوزة عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وسلم وفي ترقيص الزبير بن العوام لأبنه.

(١) من الأدب الشفاهي

(٢) شهاب الدين محمد بن أحمد الأبيشي، المستطرف من كل فن مستظرف ، الجزء الثاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخير ١٩٥٢ ، ص (١١)

ثالثاً : أغاني العمل (الشاشاي)

نشأ هذا الغناء عفويًا ولا يمكن تحديد زمن معين لنشأته وقد أورد ودضيف الله في طبقاته هذا النوع من الغناء وإن لم يطلق عليه اسم شاشاي .

وهناك أشعار وردت في عهد الفونج وهي متواترة الرواية ومنها الأزوجة المعروفة : (١)

نحن قبيل شن قلنا

قلنا الطير بياكلنا

ومن الأمثلة المتحدرة منذ ذلك الوقت أيضاً أغنية ذائعة ورائجة ويستعملها الجنود اليوم في جلالاتهم : (٢)

راكبين الكلس يا الليلة

جالبين الكرسي يا الليلة

حربا مافي دس يا الليلة

طعنا كلو رص يا الليلة

وهي مما يستنهض به الجنود ساعة زحفهم إلى القتال .

ويضاف إليها الجلالات التي يهزج بها الجنود وغيرهم : (٣)

لا اله إلا الله

الفقراء عبيد الله

لا اله إلا الله

نحن نموت والحي الله

(١) الطيب محمد الطيب ،دوباي ،ص (٦٤)

(٢) المرجع السابق ،ص(٦٥)

*الكرسي:الحربة

(٣) المرجع السابق نفس الص

وقد ارتجز المسلمون اثناء بناء المسجد النبوي: (١)

لا عيش إلا عيش الآخرة

اللهم أرحم الأنصار والمهاجرة

وقول على بن أبي طالب :

لا يستوي من يعمر المساجدا

يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وقولهم في مسيرهم إلى خيبر: (٢)

والله لولا الله ما أهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا القوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

فانزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وأغنية الشاشاي نشأت لحاجة الإنسان للتسلية والترويح فصحبت العمل منذ ميلادها ثم صحبت كل حركة يقوم بها الإنسان . كذلك من أغراضها أن الناس ينشدونها وهم يقطعون المسافات البعيدة وأغنية الشاشاي هي أغنية العمل والحركة ولا ريب فهي أسرع وأخف من كل الأغاني المعروفة ويتغنى بها أهل البوادي عند نشل المياه من الآبار والعدود ويؤديها الرعاة في دروب الرعي .

وهناك غناء المزارعين عند الحصاد فهم يغنون: (٣)

دقوا العيش بالقمرة

ناس أم زين نارهم حمرا

(١) ابن هشام السيرة النبوية، الجزء الثالث، ص (٤٦٩)

(٢) المرجع السابق، ص (٢١١)

(٣) من الأدب الشفاهي

رابعاً : أغاني الغزل .

١- السياحة ووصف الرحلات في الغناء الغزلي

ويذكر فيها الشاعر رحلة قام بها ربما إلى المحبوب أو معه ويرصد فيها الأماكن التي مر بها ولعل أوضح مثال لهذه الرحلة .

أغنيه (من الأسكلا وحلا) وفيها يصف رحلة بالباخرة من الأسكلا وهي مرسى السفن قديماً في الخرطوم إلى جوبا في جنوب السودان.

يقول محمد ود الرضي : (١)

من الأسكلا وحلا قام من البلد ولا دمعي للثياب بلا

(جبل اولياء) حبيبي غشا وحصل في (القطينة) عشا

ياقلبي الطفش وفشا لما ليتو ينكفشا

حل زي الصقر خوا يا البدر (الدويم) ضوا

عاد لا حول لا قوة حبيبي الليلة في (الكوة)

في وداعة الله يا أم تفلين أهني البيها محتفلين

سيد الحسن رب اللين شرف (كوستي) و (الجبليين)

هننا حان وقت زهاك (الرنك) احتفل ببهاك

عاد يا الليلة يا النشهاك ياريت كنت في (جلهاك)

إلى قوله أن يصل لقوله :

صب يا دمعي لا تكون جاف ويا قلبي البقيت رجاف

البدر الخفا لا نجاف اليوم شرف (الرجاف)

والمدن التي ذكرها هي جبل اولياء، القطينة ، الدويم ، الكوة ، كوستي ، الجبليين ، الرنك ، جلهاك. ونلاحظ أن الشاعر قد قلب كلمة ينكشفا لتصبح ينكفشا وذلك للضرورة الشعرية. ونلاحظ أنه استخدم الجنس في قوله رجاف ويعني كثير الارتجاف والرجاف وهو الجبل المعروف في جنوب السودان.

(١) ديوان ود الرضي ، الجزء الأول ، ص (٣٤)

وقد ذكر حسان بن ثابت رحلة شبيهه للأماكن التي مرَّ بها : (١)

لمن الدارُ أقفرتُ بمعانٍ	بين شاطئِ اليرموكِ فالصَّمانِ
والقريات من بلاس فدارياً	فسكاء فالقصور الدواني
فقفا جاسمٍ فأودية الصُّفر	مَغْنَى قبائلٍ وهجانِ
قد دنا الفصحُ فالولاند ينظمن	قُعوداً اكَلَّةَ المرجانِ
ذاك مَغْنَى من آلِ جَفْنَةَ في	الدَّهرِ وحقُّ تعاقبُ الأزمانِ

والأماكن التي ذكرها اثناء مروره هي شاطئ اليرموك ، الصمان ، القريات ، داريا ، سكاء ، القصور الدواني ، قفا جاسم ، أودية الصفر .

وكان شعر حسان بن ثابت في الجاهلية شعر غنائياً في أغلب الأحيان ونجد أن معظم الغناء الذي تغنت به القيان في الجاهلية من شعر حسان أو شعر الأعشى

(١)ناصر الدين الأسد ،القيان والغناء في العصر الجاهلي ،ص

٢- الوصف في الشعر الغنائي

نأخذ أنموذجاً لأغنية (وصف الخنثيلة) للشاعر صالح عبد السيد (أبو صلاح):

وهو يصف فتاة ترقص في حفل وكانت تؤدي (رقصة الرقبة)

والخنثيلة تعني الفتاة الناعمة اللدنة وفيها يقول: (١)

وصف الخنثيلة جمال تاجوج المافي مثيلة

هاك يا زميل

رويحتي قتيلة قليبى يشابي حسب ترتيلا

صدير هزاز ضميرا فتيلة وليها عيون أريل في نتيلة

كتيفا نزل طاوع ترسيلا من الأرداف ما لاقى وسيلة

خديرا كحيلة ضميرا رنع غالباه الحيلة

ضميرا الهيف صفاتو نحيلة صديرا يرُج وأردافا وحيله

عقولنا هزيلة قلوبنا عليك كتر زلزيلة

الروبة ظليلة طائلة معتمة لاخمة دليلة

وليها نفيلة تعوم واكتافا يلازمو كفيله

وليها طباع الصيد جفيلة عليها القافية وجب تقفيلة

ويقول صلاح الدين المليك في تحليل هذه الأغنية:

(يلاحظ ان الأغنية كلها اطراء للجمال الحسي ، وإعجاب بمشاهده الكثيرة المختلفة الرائعة التي انفردت بها تلك الفتاة والمراد بالجمال الحسي طبعاً جمال الجسم . تبين جمال هذه الفتاة للشاعر اثناء رقصها ، والواقع أن الرقصة السودانية المعروفة برقصة الرقبة ، أو رقصة الحمامة كما تسمى في بعض الدوائر ، عرض لجمال الجسم ، فيها وأثناءها تبرز المفاتن المختلفة التي أشاد بها الشعراء في مختلف العصور ، وأطنبوا في وصفها وأسهبوا في بيان أثرها في مشاعرهم وتفكيرهم ...)

(١) صلاح الدين المليك ، صور من الأدب العربي ، ص (١٨٤)

ونجد أن ابن الرومي أيضاً وصف مغنية اسمها وحيد كانت تغني في أحد المجالس
يقول ابن الرومي : (١)

فَفَوَّادِي بِهَا مُعْنَى عَمِيدُ	يَا خَلِيلِي تَيَمَّمْتَنِي وَحِيدُ
قُلْتُ أَمْرَانِ هَيِّنٌ وَشَدِيدُ	وَعَرِيرٌ بِحُسْنِهَا قَالَ صِفْهَا
الْأَشْيَاءُ طَرّاً وَيَصْعَبُ التَّحْدِيدُ	يَسْهُلُ الْقَوْلُ إِنَّهَا أَحْسَنُ
مَنْ سَكُونِ الْأَوْصَالِ وَهِيَ تُجِيدُ	تَتَغَنَّى كَأَنَّهَا لَا تُغْنِي
كَأَنْفَاسِ عَاشِقِيهَا مَدِيدُ	مُدٌّ مِنْ شَأْوٍ صَوْتُهَا نَفْسٌ كَافٍ
وَبِرَاهُ الشَّجَى فَكَادَ يَبِيدُ	وَأَرْقَ الدَّلَالُ وَالْغِنَجُ مِنْهُ
مَصُوغٌ يَخْتَالُ فِيهِ الْقَصِيدُ	فِيهِ وَشْيٌ وَفِيهِ حَلْيٌ مِنَ النَّعْمِ
كَرَّهُ الطَّرْفُ مُبْدِيءٌ وَمُعِيدُ	لَيْتَ شَعْرِي إِذَا أَدَامَ إِلَيْهَا
أَمْ لَهَا كُلُّ سَاعَةٍ تَجْدِيدُ	أَهِيَ شَيْءٌ لَا تَسَامُ الْعَيْنُ مِنْهُ

كان ابن الرومي يتذوق الجمال بمقدار ما كان ينفر من القبح وهو يحاول أن يكشف
سر الجمال وأن يصور اللذة التي يحدثها في النفس وقد عرض بعض من خصائصه
التي يصف بها المغنية وحيد .

وكان عصر ابن الرومي عصراً لطفت فيه الأذواق وازدهرت فيه فنون الرقص
والغناء وأصبحت هذه الفنون غرضاً من أغراض الشعر .

٣- بعض ما ورد من معانٍ وتشبيهات في الشعر الغنائي:

التغزل في الأشجار كناية عن المرأة

١- قول عمر محمد عمر البنا : (٢)

يا فرع البان المايل في خميلك
من قامة حبي متعلم ميلك

(١) ديوان ابن الرومي ، المجلد الثاني ، ص (٢٦٥)
(٢) على محمود التترزي ، قيسات من شعر الحقيية ، ص (٦٨)

يا الغُصنُ في نهوركُ
ويا البدرُ في خدوركُ

فهل أنا إن عللت نفسي بسرحة
من السرح مسدود على الطريق

أيا نخلةً من ذاتِ عرقٍ
سألتُ الناسَ عنكِ فخبروني
عليك ورحمةُ اللهِ السَّلام
وليس بما أحلَّ اللهُ بأسُ
هنا من ذاك يكرهه الكرام
إذا هو لم يُخالطه حرام

قول عبید عبدالرحمن: (٤)

وقول عمر بن أبي ربيعة : (٥)

كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي	كَتَابَ مَوْلَاهُ كَمَدٍ
كُتِيبٌ وَاكِفُ الْعَيْنَيْنِ	بِالْحَسَرَاتِ مُنْفَرِدِ
يُورِقُهُ لَهيبُ الشُّوقِ	بَيْنَ السَّحَرِ وَالْكَبَدِ
فِيَسْمُكُ قَلْبَهُ بِيَدِ	وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدِ

(٥) د. شوقي ضيف، الشعر والغناء في مكة والمدينة، ص (٢٥٤)

٥- تذكير المحب بالخوف من الله :
قول إسماعيل حسن: (١)

خاف من الله على قلبي
ومن غرامك ... خاف

قول عبد الله بن قيس الرقيات: (٢)

خافي إلهك في ابن عمك قد زودته سُقماً على سُقْمِ
وتركته يمشي وليس له عقلٌ يعيش به مع الحزمِ

٦- الطهر والعفاف في لقاءات المحبين :

قول محمد بشير عتيق : (٣)

طاهرين عفاف يا حبيبي خالين من قذر
في هوانا لا عادل ولا مراقب حذر

قول عمر بن أبي ربيعة : (٤)

ما نلتُ منها مُحَرَّماً غير أننا كلانا من الثوبِ المورِدِ لابسُ

٧- تشبيهه المحبوب بالقمر :

قول سيد عبد العزيز : (٥)

حاول يخفي نفسه وغير اتجاهو
سطع النور في أفقو كُلِّ إنسان رآهو
وهل يخفى القمر في سماهو
طبعاً لا شفقناه شفقناه

(١) المجموعة الكاملة لشعر إسماعيل حسن، الدار السودانية للكتب، ص (٤٢٩)

(٢) د. شوقي ضيف، الشعر والغناء في مكة والمدينة، ص (٣٠٠)

(٣) ديوان محمد بشير عتيق، ص (٤٥)

(٤) د. شوقي ضيف، الشعر والغناء مكة والمدينة، ص (٢٥٥)

(٥) علي محمود الترنزي، قبسات من شعر الحقيقة، ص (١١٨)

وقول عمر بن أبي ربيعة : (١)
قالت الكبرى أتعرفن الفتى
قالت الصغرى وقد تيمّتها
٨- المشيه : (٢)
قول سيد عبد العزيز:

أنا هائم بيك يا الفريد والنائم
تتنى إن جيت قائم في المشية راسي وعائم
كلمة (عائم) كلمة مستخدمة في العامية وهي المشي ببطء وثقة دون عجلة .
وقول الأعشى : (٣)

كَأَنَّ مَشْيَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَارِيثٌ وَلَا عَجَلُ
وهي ذات المشية التي ذكرها شاعرنا .
٩- اللين والركة :
قول أحمد محمد الشيخ (الجاغريو) : (٤)
شكت الألم من لمسان حجولا
ليه بي بعادا الأيام عجوله

وقول (الرضي) رضى الله عنه : (٥)
وَمُعْتَادَةٌ لِلطَّيِّبِ لَيْسَتْ تُغْبِهَ مُنْعَمَةٌ الْأَطْرَافِ تَدْمَى مِنَ اللَّمْسِ
١٠- الخضاب في الغناء :

وقول ود الرضي : (٦)
بوج جيدو وأبصر واقل ظن مراقب صدق العاقل
قلب المخضوب فوق القافل تلى اليمنى ومشى متاقل

(١) د. شوقي ضيف، الشعر والغناء في مكة والمدينة، ص (٢٦٢)
(٢) على محمود الترنزي، قبسات من شعر الحقيية، ص (٨٩)
(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص (١٠٧)
(٤) على محمود الترنزي نقبسات من شعر الحقيية، ص (١١٨)
(٥) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٨٨٦)
(٦) ديوان ود الرضي، ص (١٣)

قول عبد الرحمن الريح : (١)

يا الحنين في نفسك قول لي وينو حنانك
شلت قلبي ودمي خضبت بيهو بنانك

وقول النابغة الذبياني : (٢)

سَقَطَ النَصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ فُتِنَّاوَلْتُهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ
بِمُخَضَّبِ رُخْصٍ كَانَ بَنَانُهُ عَمَّ يَكَادُ مِنَ اللِّطَافَةِ يُعْقَدُ

او قول أبي الفرج الدمشقي :

نالتْ على يديها مالم تنله يد (نقشاً على معصمٍ) أوهت به جلدَي
ظواهر في لغة الشعر الغنائي :

١ / ظاهرة التلاعب بالحروف :

يقول يوسف القسم الشوبلي شاعر الشكرية : (٤)

شَرَفَن شَاشَا لِيَهْنُ قَبْلَن رَبَشَنُو
كشكيش قشهن في الكوشة كشَن منو
حدمن وقرجمن ود حينتن نشنو
عشَن ود حشاهن وبالعسين نشنو

وقول الأعشى : (٥)

ولقد دخلتُ إلى الحانوتِ يتبعني شاوٍ مُشلٍ شلولٍ شلشلٍ شولٍ
قد عاب النقاد على الأعشى هذا التكرار لحرف الشين والذي لا معنى له ولكن ربما
كان قد انشأ هذا الشعر لغرض الغناء فقط لذا جاء الكلام على هذا النحو

(١) الروائع الحبيبة في أغاني الحقيبة ، ص (٤٢)

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، ص (٣٤)

(٣) ابن الشجري ، الحماسة الشجرية ، ص (٨٩٠)

* وتروي ليزيد بن عبد الملك

(٤) محمد الفاتح أبو عاقلة ، من خصائص الشعر الشعبي السوداني ، ص (٧٢)

* يوسف القسم الشوبلي ، من قبيلة الشكرية من قرية أم رغوّة باكر بمحلية أم القرى بولاية الجزيرة

(٥) ناصر الدين الأسد ، الغناء والقيان في العصر الجاهلي ، ص (٢٣٣)

٢/ ظاهرة التأثر بالمستجدات العصرية:

تأثر الشعراء عندنا بالمستجدات العصرية مثل القطار في الشعر الغنائي
أ/ قول عبد القادر تلودي في حديثه عن القطار : (١)

من بف نفسك يا القطار

ورزیز صدرك قلبي طار

وينو الحبيب زي ما شلتو جيبو يا القطار

أيه سبب لي الكدر غير عجلاتك يا القطر

وقول محمد عوض الكريم القرشي : (٢)

القطار المرا فيهو مرة حبيبي

ليه على ما مره ونلت مقصودي

ب/ الطائرة في الشعر الغنائي الشعبي :

قول عبيد عبدالرحمن في الطائرة التي دخلت للحياة السودانية : (٣)

يا حبيبي قلبي حاب

رحلة بين طيات السحاب

وحدنا إنت وأنا

أنا خائف وإنت شايف

طوينا الجو طي الحجاب

ويقوا لينا الأنجم قراب

٣/ التأثر بالثقافات العربية :

قول مصطفى بطران مظهراً معرفته بالشعراء العرب : (٤)

ليت لي يا عازة جناح أحاكي الطير

كنت أقصد حيك ولي رباك أطيّر

ويا بدائع (طرفة) ويا معاني (زهير)

طرفة هو طرفة بن العبد وزهير هو زهير بن أبي سلمى.

وقول علي محمود التتقاري* مبدئاً معرفته بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

ليهن جبرة اشبه بملوك الحيرة

من العين حوى الآمنبو بحيرة

ويقصد الراهب بحيرة الذي ورد ذكره في السيرة النبوية.

(١) من الأدب الشفاهي

(٢) نادر أحمد الشريف الحبيب، الشاغل الافكار، عثمان الشفيق، ص (٤٧)

(٣) مبارك المغربي، رواد الأغنية السودانية، ص (٢٢٨)

(٤) صلاح الدين المليك، فصول في الأدب والنقد، ص (١٥)

(٥) فاطمة مدني، لمحات من الأدب الغنائي الشعبي، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، ص (١٢٧)

* التتقاري ولد بحي ود ارو بمدينة أم درمان في عام ١٩١٧م نظم الشعر ولم يتجاوز التاسعة عشر من أشهر قصائده رائعة عثمان حسين :كيف لا اعشق جمالك ما رأيت عينايا مثالك

وقول صلاح عبد السيد (أبو صلاح) مظهراً معرفته بقصص الحب العذري (١)

في دجاك يا ليل الطيب هبالي

دا الجنن (قيس وكثير) قبالي

ويبدو أن الشاعر يعلم عن قصص العذريين قيس بن الملوح وكثير عزة.

قول عبيد عبدالرحمن مبيناً معرفته بالتأريخ العباسي: (٢)

جاهل وديع مغرور

في أحلام صباه نايم خلى ومسرور

ما عرف الهوى

آية جمال مبصور

أخلاق الرضيع في هيبة (المنصور)

والمنصور هو أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي.

قول محمد علي الأمل في الإطار ذاته: (٣)

يا النادية في فصل الخريف والصيف

يا نجلة (المأمون) رجل القلم والسيف

والخليفة المأمون هو الذي أنشأ مكتبة بيت الحكمة ببغداد لذا ربط اسمه بالقلم.

٤/التأثر بالقرآن الكريم

قول إبراهيم العبادي مقتبساً من أي الذكر الحكيم: (٤)

جلت قدرتو ما أكفر الإنسان

كم ينسى الجميل كم يجحد الإحسان

في إشارة إلى قوله تعالى: (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (٥)

(١) مبارك المغربي، رواد الأغنية السودانية، ص (٣٥)

(٢) صلاح الدين المليك، صور من الأدب العربي، ص (١٩٩)

(٣) عز الدين إسماعيل، الشعر القومي في السودان، ص (٣٤٢)

(٤) صلاح الدين المليك، صور من الأدب العربي، ص (١٥٦)

(٥) الآية (١٧) سورة عبس

وقول سيد عبد العزيز ضارباً المثل بجمال سيدنا يوسف عليه السلام: (١)

هي في الجمال زي (يوسف) والغريبة كمان

تمتاز بديسا طائل وبى نهيد رمان

وقول صالح عبد السيد (أبو صلاح): في اشارة لقصة عاد قوم سيدنا هود عليه السلام: (٢)

يا المحجب في الغرف ذات العماد

الشجر أقلام جميع والنيل مداد

لو كتب أشواقي ليك ما عددا

في اشارة إلى قوله تعالى: (إِمرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) (٣)

وقوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جَنًّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (٤)

الواضح ان هؤلاء الشعراء قد اتصلوا بالثقافة العربية وعرفوا أبا جعفر المنصور والخليفة العباسي المأمون كما أنهم تأثروا بالقصص القرآنية وعرفوا قصة سيدنا يوسف عليه السلام. وترجع هذه المعرفة إلى بداية التعليم المنتظم في الفترة التي ازدهر فيها ما يعرف بشعر الحقيبة.

هـ/ أثر الثقافات الأجنبية :

ويبدو أثر اتصال هؤلاء الشعراء بالثقافة الغربية في قول سيد عبدالعزيز: (٥)

تتمنى البدور تقبيل يديك بامتثال

(آلهه الجمال) اعترفوا ليك ما ليك مثال

آلهه الجمال ثقافة قديمة كانت منتشرة في الحضارات القديمة كاليونانية والهندية والاسبانية والبابلية والآشورية كان لديهم آلهة للحب ،والخصب ،الشر ،الخير حتى بلغ عدد الآلهة مبلغا كبيرا

(١) عز الدين إسماعيل ،الشعر القومي في السودان ،ص (٣٤٢)

(٢) روائع حقيية الفن ،صن(٣٠)

(٣) الايه ٧-٨ سورة الفجر

(٤) الايه ١٠٩ سورة الكهف

(٥) عز الدين إسماعيل ،الشعر القومي في السودان(٣٤٧)

وفي قول عبيد عبدالرحمن: (١)

سيدة وجمالاً فريد خلقوها زي (ماتريد)

وفي خديدا وضعوا الريد

وما تريد قد يكون المقصود هنا ما تريد هي أو ما تريد أنت والمحتمل أنه يقصد
مدريد آلهة الجمال عند الأسبان.

هذا وقد سبق للشعراء العرب أن تأثروا بالثقافات الوافدة وقد ظهر ذلك في قول
البحثري: (٢)

وقد نبّه النيروز في غلس الدجى اوائل ورد كُنّ بالأمس نُوما

وقول ابن الرومي: (٣)

عيدان :أضحى ونيروز كأنهما يوما فعالك من بؤس وإنعام

يبدو أثر الثقافة الفارسية واضحا في ذكر عيد النيروز وهي من الثقافات الوافدة
على العرب بعد الفتوحات الإسلامية هذا يؤكد أن الشاعر يتفاعل ويتأثر
بالمستجدات التي تطرأ على عصره ينسجم معها بل ويتعامل معها في شعره.

وقول ابن الرومي: (٤)

يا حبذا ليلُ ايلول إذ بردت فيه مضاجعنا والريحُ سجواءُ

ايلول من الشهور السريانية التي استخدمها العرب بعد اتصالهم بالبلاد المفتوحة
عقب الفتوحات الإسلامية .

وفي قول أبي تمام: (٥)

من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد شابت نواصي الليالي وهي لم تشب

وهو يعني الإسكندر المقدوني الفاتح المعروف الذي طبقت شهرته الآفاق

(١) صلاح الدين المليك، فصول في الأدب والنقد، ص(١٦)

(٢) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص (٧٥٧)

(٣) المرجع السابق، ص (٨٩٥)

(٤) ديوان ابن الرومي، المجلد الأول، ص(٢٩)

(٥) ديوان أبي تمام، ص (٤٨)

الخاتمة والنتائج

ختاماً يمكن ان نخلص إلى أن الأدب الشعبي بصفة عامة من الوسائل التي ساهمت في انتشار اللغة العربية في السودان كما أنه المرأة التي تعكس بصدق ما يحدث في اللغة والمجتمع من تغيرات وهو الأدب الذي يعبر عن الناس بلغتهم وقد خلصت الباحثة في نهاية هذا البحث إلى نتائج يمكن إجمالها في الآتي :

- ١- شعراء البطانة يشبهون شعراء العصر الجاهلي في كثير من حالاتهم وربما يعود ذلك إلى التشابه في البيئة، حيث أن منطقة البطانة تشبه في جغرافيتها بعض مناطق شبه الجزيرة العربية كما أن سكان سهل البطانة هم في الغالب رعاة.
- ٢- يشبه شعراء أم درمان ومناطق ضفاف النيل شعراء العصور التي تلت صدر الإسلام من أمثال أبي تمام وأبي نواس وغيرهما من الذين سكنوا في المدن الكبرى كدمشق وبغداد والبصرة ويظهر أثر الحضارة والاستقرار في شعرهم والتمثل في الصور والأخيلة والمعاني والأغراض.
- ٣- يميل الشعراء الرباطاب إلى النظم في البحور الخفيفة والغنائية القصيرة الشطرات.
- وربما يعود ذلك إلى طبيعة عملهم بالزراعة فالمزارع لا يتوفر له الوقت الكافي لنظم الشعر فهو في حالة عمل دؤوب بينما يعمل سكان البطانة بالرعي بمعنى أن لديهم الكثير من الوقت لقول الشعر وتجويده لذا ينظمون الشعر في البحور الطويلة.
- ٤- يتميز شعر العبدلاب والجعليين بالطابع الحماسي القوي حتى في مرثيهم و في مدحهم وربما يعود ذلك لكثرة الحروب التي خاضوها مما أثر في تكوينهم النفسي.
- ٥- يغلب الحنين والغزل على شعر الشايقية وربما يعود ذلك لكثرة اغترابهم وبعدهم عن أوطانهم في رحلتهم للبحث عن الأفضل لحياتهم .
- ٦- استقى كل شاعر صوره وأخيلته ومعانيه من بيئته، فشعراء البطانة مثلاً يغلب على تشبيهاتهم للفتيات بالغزلان، يشبهون عذوبة الريق بلبن الناقة بينما يشبه شعراء الشمال عذوبة الريق بعجوة المحس .
- ٧- يمثل الشعر الشعبي مصدراً خصباً لدراسة الشخصية السودانية .

٨- يدعو الشعر الشعبي لإعلاء قيم الكرم والشجاعة على الرغم من أنه قليلاً ما يدعو لإعلاء قيم العمل، وإعمال الفكر، ويبدو أن العقل الجمعي الشعبي قد اختزل الشخصية السودانية في قول الحار دلو :

كاتال في الخلا وعقبان كريم في البيت

- ٩- يؤدي الشعر الشعبي دوراً كبيراً في التعريف بتاريخ السودان وجغرافيته.
- ١٠- يكثر السكون في قوافيه، ويحتاج إلى الكتابة بواسطة رموز خاصة.
- ١١- يتمتع الشعر الشعبي بقدر كبير من المرونة تمكّنه من استيعاب المفردات الجديدة والتعامل معها وإدخالها في معانيه.

من هنا يمكن القول إن هناك تشابهاً بين الشعر العربي الفصيح والشعر الشعبي السوداني. جاء هذا التشابه من وحدة اللغة العربية، فالأخيلة والمعاني والصور كلها واحدة ولا يعدو أن يكون الأمر أن الشعر العربي والشعر الشعبي السوداني وجهان لعملة واحدة.

التوصيات

يمكن أن نجمل التوصيات فى الآتى :

أولاً:

الاهتمام بدراسة التراث الشعبي وفق مناهج علمية، فالتراث الشعبي للأمة يمثل الأساس الذي تدرس من خلاله المكونات لشخصية أفراد أمة ما ومعرفة هويتها .

ثانياً :

ربط الأجيال بالتراث السوداني لمواجهة الذين يعملون على طمس الهويات العربية والمسلمة وذلك بخلق تواصل بين الأجيال والتراث عبر إدخال مادة التراث في المناهج الدراسية للمراحل التعليمية المختلفة.

ثالثاً :

توثيق التراث السوداني باستخدام الوسائط الحديثة مثل شبكة الإنترنت وإنشاء مواقع الكترونية لنشر ثقافة إحياء التراث، تمهيدا لبلوغه مرحلة العالمية، فروايات الطيب صالح بلغت العالمية وترجمت للانجليزية وما ذلك إلا لأنه اوغل فى المحلية فى حديثه عن الحياة فى القرية السودانية.

من الأمثلة الأخرى ،اهتمام الشعب الإيطالي بالأطعمة المحلية كالبيتزا والمكرونة أوصلها إلى العالمية .

رابعاً:

القيام بطباعة كتب التراث السوداني التي لم تطبع، وإعادة طبع ما نفذت نسخه من زمان طويل.

الفهارس الفنية

- ❖ فهرست الآيات الكريمة
- ❖ فهرست الأحاديث النبوية
- ❖ فهرست الشعراء
- ❖ قائمة المصادر والمراجع
- ❖ فهرست المحتويات

فهرست الآيات الكريمة

الآية	السورة	مرقم الصفحة
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ)	المائدة	١٢٩
(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)	النحل	المقدمة
(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)	الكهف	٣٧٢
(اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ)	النور	٦٦
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)	الروم	٢٠٦
(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)	الاحزاب	١٥٦
(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا)	الاحقاف	١٩٩
(كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)	فصلت	الاستهلال
(أُوتُوا وَيُؤْثَرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)	الحشر	٦٥
(قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)	عبس	٢٧٢
(إِمرَ ذاتِ العِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)	الفجر	٢٧٣

فهرست الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث
١٥٧	(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)
٤٣	(تخيروا لنطفكم ولتتظروا أين تضعونها)
٢٠٦	(تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم)
الشكر	(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)
١٦٧	(لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)
١٩٩	(من أحق الناس بحسن صحابتي....)
٢٠٦	(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله من نعمة....)
٢٠٦	(نعم متاع الحياة الزوجة الصالحة....)
المقدمة	(يا أيها الناس إن الرب رب واحد.....)
٢٥٧	(يا عائشة إن الأنصار أناس فيهم غزل....)

فهرست الشعراء

حرف الألف

- ١- إبراهيم الفرائش ٣١، ٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٥٠،
- ٢- إبراهيم أحمد نواي ٦١٧٢
- ٣- إبراهيم ود علي سليمان المرغومابي: ١٨٤
- ٤- إبراهيم العبادي: ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٦٨، ١٨٩، ١٨٥، ١٥٩، ١٢١، ١١٧، ١٩٧، ٢٧٢، ٢٤٩، ٢٤٧
- ٥- الأعشى: ٤٣، ٤٤، ٢٧٠، ١٦٩، ١٦٨
- ٦- أعشى باهلة: ٥٤
- ٧- الأخنس بن شهاب ٦٧
- ٨- امرؤ القيس: ٩٦
- ١١٠، ١١٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥،
٢٤٨، ٢٤٠، ٢٣٩، ١٨٤، ١٨٣، ١٧٠، ١٦٢، ١٤١، j.
- ٩- اميمة بنت عبد المطلب: ٧٢
- ١٠- امية بن الصلت: ٨٢
- ١١- الأشتر النخعي: ٩٥
- ١٢- ابن الأعرابي: ١٢٠، ١١٦، ١١٣، ١١٢
- ١٣- أحمد عبد الرحيم: ١٦٠
- ١٤- أحمد أبو عاقلة أبو سن: ١٦٥
- ١٥- أحمد الفرجوني: ١٨٦
- ١٦- أحمد محمد الشيخ الجاغريو: ٢٦٩، ١٦٠
- ١٧- أحمد عوض الكريم أبو سن: ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٥، ١٦٢
- ١٨- أحمد أب تلة: ١٦٣
- ١٩- أحمد حسين العمرابي: ٤٨، ٥٠، ٥٢
- ٢٠- إسماعيل حسن: ٦٤، ٢٠٠، ١٢٠، ٢٦س٨

حرف الباء

- ٢١- البرعي الكردفاني: ١٩، ٣٧
- ٢٢- البرعي اليماني: ١٨، ٢٠، ٢١
- ٢٣- البوصيري: ١٩، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٥، ٣٦، ٣٨
- ٢٤- بشير فرح: ٤١، ٥٩
- ٢٥- بشرى البطانة: ١٨٩، ١٦٥
- ٢٦- بخيطة بت حسن: ٩٣
- ٢٧- البحري: ٤٢، ٤٧، ٤٨، ١٨٥، ١٦٥، ١٤٢، ١٠٣

- ٢٨- بنونة بت المك : ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠١
 ٢٩- بت مكوي : ١٠٦
 ٣٠- بلتنا بت اللحوية : ٩٤، ٩٥، ١٠٧، ١٠٤
 ٣١- بشر بن أبي خازم: ١٢٤، ١٢٢
 ٣٢- برة بنت عبد المطلب: ٧١
 ٣٣- بشار بن برد: ١٠١

حرف التاء

- ٣٤- أبو تمام: ٤٥، ٦٦، ٨٠، ١٢٥
 ٣٥- تأبط شراً: ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٢
 ٣٦- التيجاني حاج موسى: ٢٠٥

حرف الجيم

- ٣٧- جرير بن عطية: ١٦٤، ١٩٢، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٠٨
 ٣٨- جهنم بن خلف: ١٨٨
 ٣٩- جميل بن معمر: ١٩٦
 ٤٠- أبو جعفر المهلب: ١٨٧
 ٤١- الجزولي ود سبوبة البوادي: ١٤٤

حرف الحاء

- ٤٢- الحارث بن عمار: ٥١، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩
 ٤٣- حسن خلف الله: ٢١٥
 ٤٤- حاتم حسن الدابي: ١٢٣
 ٤٥- حسان بن ثابت الأنصاري: ٦٩، ٢٦٤، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٧، ١٠٢
 ٤٦- حميد بن ثور الهلالي: ١٥٧، ٢٦٧
 ٤٧- حجر بن خالد: ٤٧
 ٤٨- الحسين بن الضحاك: ١٩٤
 ٤٩- الحصين بن الحمام المري، ١٠٠
 ٥٠- الحارث بن حلزة اليشكري: ٦٣، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٦، ١٠٢
 ٥١- الحارث بن هشام: ٢٤٩
 ٥٢- الحارث بن هشام المخزومي: ٢٠٨
 ٥٣- الحارث بن همام الشيباني: ٢٤٦
 ٥٤- الحطيئة: ٤٦، ١٥١
 ٥٥- الحسن ود سالم الفادني: ١٨٨، ١٨٣، ١٢٥، ١١٩، ١١٠، ١٩٦

حرف الخاء

- ٥٦- الخنساء ٧٨، ١٩٦
- ٥٧- خالد بن سعدان
- ٥٨- خفاف بن ندبة، ١٤٤، ١١١
- ٥٩- أبو خراش الهذلي: ٢٢٩

حرف الدال

- ٦٠- دعل الخزاعي: ٧٦
- ٦١- ابن أبي دبال الخزاعي: ١٩٢
- ٦٢- ديك الجن الحمصي: ٨٠

حرف الذال

- ٦٤- ذو الرمة: ١٦٧، ١٢٥
- ٦٥- أبو ذؤيب الهذلي: ١١٥

حرف الراء

- ٦٦- ابن الرومي: ٢٦٦، ٢٣٤، ١٨٦، ١١٩
- ٦٧- ربيعة بن مقروم: ٢٤١
- ٦٨- رقية بت الأمين ود مسمار: ٤٧، ١٠٢
- ٦٩- رقية بت حبوبة (شقيقة عبد القادر ود حبوبة) ٨٢
- ٧٠- الرباب بنت امرئ القيس ٨٣

حرف الزاي

- ٧١- زهير بن أبي سلمى: ٨١، ٢٣٧
- ٧٢- زينب بت عبد المجيد: ٨٥
- ٧٣- الزبير بن العوام: ٢٦٠

حرف السين

- ٧٤- السليك بن السلكة: ٢٢٨، ٢١٨
- ٧٥- السفاح بن بكر اليربوعي: ٥٠
- ٧٦- السري الرفاء: ١١٧
- ٧٧- سلامة بن جندل: ١٦٥
- ٧٨- سعيد بن العاص: ١٠٧
- ٧٩- سويد بن أبي كاهل: ١٦١
- ٨٠- سهم بن حنظلة: ١٤٧
- ٨١- السر عثمان الطيب: ٢٠٢
- ٨٢- سيد عبد العزيز: ١٢٧، ١٩٢، ٢٧٣، ٢٦٨
- ٨٣- سعد ود النصيح: ١٤٨

- ٨٤- ست النفر : ٤٢
٨٥- السيد الحميري: ٨٤
٨٦- سليمان ود دوقه: ١٩٥

حرف الشين

- ٨٧- الشهاب محمود أحمد ٣٤
٨٨- الشريف الرضي: ١٢٤، ٢٠٤
٨٩- ابو الشغب العبسي : ٨٦
٩٠- الشنفرى الأزدي: ١٥٦، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣١
٩١- شعبة المرغومابيه: ١١٢، ١١١، ١٠٥
٩٢- شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي: ١٨
٩٣- الشيخ أحمد حاج مصطفى: ٢٤
٩٤- أب شقل الفادني: ١٩٣

حرف الصاد

- ٩٥- الصرصري: ٣٤، ١٩
٩٦- الصمة القشيري: ١٨٧، ١٩٠
٩٧- أم الصريح الكندية: ١٩٩
٩٨- الصادق حمد الحلال (ودأمنة): ١٤٣، ١٩١، ١٩٣، ٢٥١، ٢٣٥
٩٩- الصديق محمد العوض: ١٤٧
١٠٠- صالح عبد السيد (أبو صلاح): ١٨٥، ١٩٤، ٢٧٢، ٢٦٥
١٠١- صديق عباس: ١٦٧، ١٥٩، ١٥٨
١٠٢- صلاح أحمد إبراهيم: ١١٨
١٠٣- صالح الأمين: ١٨

حرف الطاء

- ١٠٤- الطيب ود مصطفى المسلمي: ٢١٤، ١٢٤، ١٢٣
١٠٥- الطيب ود ضحوية: ٢٣٣، ٢٣٠، ٢٢٦، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢١٩، ٢١٧
١٠٦- طه الضرير: ٢٢٨
١٠٧- طه عبيد الله البطحاني: ١١٩
١٠٨- طه ود الشلهمة: ٧١، ١٢٠، ١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤
١٠٩- طرفة بن العبد: ٥٩، ٢٤٠، ٢٣٤، ١٦٠، ١٠٤

حرف العين

- ١١٠- عبد الحفيظ محمد احمد: ١٤٢، ١٦٣
١١١- عبد الرحمن الريح: ١٨٥، ١٨٥، ١٦١، ١٢٦، ١٩٨، ٢٧٠
١١٢- عوض الأمين يونس الركابي: ٤١، ١٩٢، ١٩٦
١١٣- عبد القادر أبو كساوي: ٢٨

- ١١٤- العاقب (حاج العاقب): ١٧، ٢٠، ٢٧، ٣٣
- ١١٥- العاقب ود موسى: ٢٤٠، ٢٣٨، ٢٣٥، ١٥٧
- ١١٦- أبو العتاهيه: ١٦٧
- ١١٧- أبو عبد الله محمد العطار: ١٩
- ١١٨- العباس بن الأحنف: ١٩٢
- ١١٩- عنتر بن شداد: ٥٠، ٦٠، ٦٦، ٦٨، ١٠٥، ٢٤٢، ٢٤١، ١٨٥
- ١٢٠- عمرو بن معديكرب: ٦٩
- ١٢١- عمرو بن كلثوم: ٦٢، ٢٣٦، ١٠٥، ١٠٢، ١٠١، ٩١
- ١٢٢- عمرو بن قميئة: ١٨٦
- ١٢٣- عمر البنا: ٩٢، ٢٦٦، ١٤٦، ١٤٥، ١٠٤
- ١٢٤- عمر بن أبي ربيعة: ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٧
- ١٢٥- عمر ود دكين: ٢٤٢
- ١٢٦- علقمة بن عبده: ١٦٠
- ١٢٧- عروة بن الورد: ٢٢٧، ٢٢٥، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨
- ١٢٨- عدي بن الرقاع العاملي: ١٦٤، ١٦٣
- ١٢٩- عبد الله أحمد بك أبو سن: ٢٤١، ٢٣٥، ٢٣٣
- ١٣٠- عبد الله بن الزبعرى: ٢٤٧
- ١٣١- عبد الله بن قيس الرقيات: ٢٦٨
- ١٣٢- عبد الله بن المعتز: ٧٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٣، ١١٨
- ١٣٣- عبد الله بن عنمة: ٩٧
- ١٣٤- علي ود محلق: ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣
- ١٣٥- علي المساح: ١٨٨، ١٨٧، ١٨٤، ١٩٠
- ١٣٦- علي بن الجهم: ٥٥، ١٦٣، ١١١، ١٩٣
- ١٣٧- علي محمود التنقاري: ٢٧١
- ١٣٨- علي ود سعد النافعابي: ١٠٧
- ١٣٩- علي بن جبلة: ٤٣
- ١٤٠- عبد القادر تلودي: ٢٧١
- ١٤١- عبيد بن الأبرص: ٢٤٨
- ١٤٢- عبيد عبد الرحمن: ١٢٧، ١٩٤، ٢٧٢، ٢٦٧
- ١٤٣- عبد المطلب بن هاشم: ٢٥٩
- ١٤٤- عبد القيس بن خفاف: ١٤٨
- ١٤٥- عبد الله محمد حسب الله الشريقاوي: ١١٦، ١١٥، ١٠٣، ١٠٢
- ١٤٦- عثمان ود نائل: ٢٤٧
- ١٤٧- عثمان ود جماع البطحاني: ١٧٠، ١٦٤، ١١٩، ١١٨، ١١٤

١٤٨- عبد المنان أبو ناجمة: ٢٢٨

١٤٩- عاتكة بنت عبد المطلب: ٧١

حرف الفاء

١٥٠- الفرزدق: ٤٨، ٥٢، ٢٥٤، ٢٥٣

١٥١- أبو فراس الحمداني: ١١٨، ١٩٣، ٢٠١

١٥٢- فرج الصادق: ٢٩٨

حرف القاف

١٥٣- قيس بن الملوح: ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ١٢٠، ١٩٥

١٥٤- قيس بن الذريح: ١٨٨، ١٨٢، ١٩٤

١٥٥- قريط بن أنيف: ٩٢

١٥٦- قيس بن الخطيم: ٢٥٢، ٢٥١

١٥٧- قطري بن الفجاءة: ٨١

حرف الكاف

١٥٨- كثير عزة: ١٦٦

١٥٩- كعب بن سعد الغنوي: ١٤٦، ١٢٦

١٦٠- كعب بن زهير: ٨٠، ١٥٠، ١٠٠

حرف الـام

١٦١- لبيد بن ربيعة العامري: ٤٦: ٤١، ٥٢، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٢٣٦، ١١٦

١٦٢- ابن لجاء التيمي: ٢٤٠

حرف الميم

١٦٣- مسلم بن الوليد: ٢١٠، ١٦١، ١٠٣

١٦٤- مزرد بن ضرار الذبياني: ٩٦

١٦٥- متمم بن نويرة: ٤٥

١٦٦- مازن بن الغضوبة: ٣٤

١٦٧- مسكين الدارمي: ١٩٥

١٦٨- مزاحم العقيلي: ١٩٦

١٦٩- محمد بن عبد الله الفقعسي: ١٩٢

١٧٠- محمد زين علي الكرار: ٦٣

١٧١- محمد علي أبو قطاطي: ٥٨، ٩١، ١٠٠

١٧٢- محمد علي أبو دقينة الشكري: ١٠١

١٧٣- محمد عوض الكريم ود عدلان: ١٠٣

١٧٤- محمد بشير عتيق: ٢٦٨، ٢٠٧، ١٦٠، ١٢١

١٧٥- محمد ود الرضي: ١٤٧، ١٤٥، ١٩٧، ٢٦٩، ٢٦٣، ٢٠٩

١٧٦- محمد صالح الشفيع ود تروة: ١٥٦، ١٩٥

- ١٧٧- محمد علي عبد الله الأمي: ٢٧٢، ١٦٤
 ١٧٨- محمد زين اللحي: ١٨٢، ١٨١، ١٦٦
 ١٧٩- محمد علي عثمان بدري: ١٨٤
 ١٨٠- محمد سعيد دفع الله: ١٨٦
 ١٨١- محمد عوض الكريم القرشي: ٢٧١
 ١٨٢- مصطفى بطران: ١٩٢، ٢٧١
 ١٨٣- مهيرة بت عبود: ٩٧، ٩٨
 ١٨٤- المدني الكردوسي: ١٩٨، ١٦٦
 ١٨٥- المسيب بن علس: ٤٩، ٥١، ٢٣٩
 ١٨٦- المتلمس: ٢٠٥
 ١٨٧- المثقب العبدى: ٢٤١
 ١٨٨- المتنبي: ٤١، ٩٤، ١٨٩، ١٥٩، ١٥٣، ١٢٣، ١٠٣، ١٩١، ٢٤٢
 ١٨٩- المرقش الأكبر: ١٦٦
 ١٩٠- المرقش الأصغر: ٢٣٨، ١١٠
 ١٩١- المنخل اليشكري: ٩٢، ١٧١
 ١٩٢- المرار بن منقذ: ٩٣، ١٦٢، ١٤٤
 ١٩٣- الماحي(حاج الماحي) ٢٦، ٣٦
 ١٩٤- معروف الرصافي: ١٠٨
 ١٩٥- المشتهى الدمشقي: ٩٦
 ١٩٦- موسى علي منصور الدلكاوي: ١٦١

حرف النون

- ١٩٧- أبو نواس: ١٦٤، ١٢٤، ١٩٦، ١٩٧
 ١٩٨- النابغة الذبياني ٢٧٠، ١٨٤، ١٦١
 ١٩٩- النظار الفقعسي: ١٠٢
 ٢٠٠- نصيب: ١٨٧
 ٢٠١- ابن نفطويه: ١١٤، ١١٣

حرف الهاء

- ٢٠٢- هند بنت عتبة: ٩٨، ٩٩
 ٢٠٣- هند بنت الخس الإيادية: ٢٣٤
 ٢٠٤- أبو هلال العسكري: ١٤٣، ١٢٧، ١٢١

حرف الواو

- ٢٠٥- ود أب شوارب: ٥٣، ٥٤
 ٢٠٦- ود أحمودة: ٢٥٢
 ٢٠٧- ودشاوراني: ٧٥، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٣، ٢٣٢، ١٦٨، ١٥٦، ١٤٤، ١٢٦، ١٢٤، ١٢٢،

i. ٢٥١

٢٠٨- ود سعد: ٢٠، ٣٨، ٢٩، ٣٣

٢٠٩- ود حليب: ١٨، ٢٢، ٢٤، ٣٣

٢١٠- ودحسوب الطرقي: ٤٨

٢١١- ود السميري: ١١١، ٢٣٩، ١٦٥، ١١٣، ١١٢

٢١٢- ود الفنجري: ٨٠، ٨١

٢١٣- ود تميم: ١٩، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٥

٢١٤- ود الضباح: ٢٥٢

حرف الياء

٢١٥- يوسف القسم الشوبلي: ٢٧٠

٢١٦- يوسف سنينات: ٢٤٦، ٢٤٥

قائمة المصادر والمراجع :

- ١- الأغاني : علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني ،تحقيق عبد السلام هارون ،مطبعة دار الكتب المصرية ،سنة ١٩٢٩
- ٢- الأصمعيات :ابو سعيد عبد الملك بن قريب الله الأصمعي،تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ،الطبعة الثامنة دار المعارف مصر ،١٩٦٤
- ٣- أدب الرباطاب الشعبي: علي إبراهيم وأحمد عبد الرحيم نصر ،شعبة أبحاث السودان ،كلية الآداب جامعة الخرطوم١٩٦٨
- ٤- أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري،دار صادر،بيروت
- ٥- الأدب الشعبي: أحمد رشدي صالح،الطبعة الثانية،القاهرة ،طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية.
- ٦- إسماعيل حسن القيثارة الخالدة:عبد الحميد محمد أحمد ،دار عزة للنشر والتوزيع
- ٧- بين أميرين شاعرين امرئ القيس والحارث:قصة التشابه المذهل د.إبراهيم القرشي،الطبعة الأولى ٢٠٠٤م
- ٨- تاريخ السودان الحديث وجغرافيته:نعوم بك شقير،تقديم د.فدوى عبد الرحمن مختار،دار عزة للنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٧
- ٩- تاريخ الثقافة العربية في السودان:عبد المجيد عابدين،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة ٥٣
- ١٠- تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية:أحمد عبد الرحيم نصر ،شعبة أبحاث السودان ،،كلية الآداب ،جامعة الخرطوم ١٩٦٩.
- ١١- تاريخ الشعر السياسي:أحمد الشايب ،القاهرة ،١٩٤٥.
- ١٢- تاريخ النقائض في الشعر العربي:أحمد الشايب،مكتبة النهضة المصريةسنة ١٩٦٦.
- ١٣- تراث البطاحين الشعبي:الطيب محمد الطيب ،شعبة أبحاث السودان ،كلية الآداب جامعة الخرطوم.
- ١٤- تراث الحمران الشعبي:الطيب محمد الطيب ،شعبة أبحاث السودان،كلية الآداب ،جامعة الخرطوم.
- ١٥- التشبيهات في أشعار أهل الأندلس:ابن الكتاني ،تحقيق د.إحسان عباس،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان.

- ١٦- جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، تحقيق وضبط محمد علي البجاوي، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة دار النهضة ، الفجالة، ١٩٦٧
- ١٧- الحماسة: أبو تمام حبيب بن أوس، الخطيب التبريزي، برواية الجواليقي، شرح أحمد حسن، بيروت دار الكتب العلمية، سنة ١٩٨٨
- ١٨- الحماسة: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم العسيلان مكتبة جامعة الخرطوم، ١٩٨١
- ١٩- الحماسة الشجرية: هبة الله بن حمزة العلوي، تحقيق عبد المعين الملوحى وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
- ١٩- الحارثي شاعر البطانة: عبد المجيد عابدين والمبارك إبراهيم، الطبعة الثانية، سنة ١٩٥٨
- ٢٠- خنساوات السودان: عبد الحميد محمد أحمد، دار عزة للنشر والتوزيع
- ٢١- خواطر وذكريات أهل الفن بشمبات: د. كامل ادريس، دار عزة للنشر والتوزيع
- ٢٢- ديوان المعاني: أبو هلال العسكري، مكتبة القدس، القاهرة سنة ١٣٥٢ هجرية
- ٢٣- دراسات في الأدب الشعبي: عبد القادر عوض الكريم، مكتبة دار الوثائق القومية المركزية
- ٢٤- دوباوي: الطيب محمد الطيب، جامعة أم درمان الأهلية، مطبعة التيسير، ٢٠٠٢-
- ٢٥- رواد الأغنية السودانية: مبارك المغربي، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢
- ٢٦- الروائع الحبيبة في أغاني الحقيبة: مركز عبد الكريم مير غني الثقافي، مطبعة الأشقاء
- ٢٧- زاد المعاد في هدى خير العباد: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية الجزء الأول، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
- ٢٨- السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي
- ٢٩- الشعر القومي في السودان: عز الدين إسماعيل، دار العودة بيروت، بدون تاريخ
- ٣٠- شاعرات مقاتلات: قرشي محمد حسن، سلسلة الشباب الشهرية، وزارة الثقافة والإعلام، بدون تاريخ

- ٣١- الشعر الشعبي عند الرباطاب: د. الطيب أبو سن، مكتبة الفلاح، جامعة أم درمان الأهلية
- ٣٢- شعراء الفادنية: جمع وإعداد الشيخ عبد الله عبد القادر، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم
- ٣٣- الشمائل المحمدية: الإمام أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي، دار الحديث القاهرة
- ٣٤- الشعر الشعبي العربي: حسين نصار
- ٣٥- الشعر الغنائي في مكة والمدينة لعصر بني أمية: د. شوقي ضيف، دار المعارف مصر
- ٣٦- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: د. يوسف خليف، الطبعة الثانية، دار المعارف مصر،
- ٣٧- الشاغل الأفكار عثمان الشفيق: نادر أحمد الشريف
- ٣٨- صور من الأدب العربي: صلاح الدين المليك، ١٩٧٠
- ٣٩- صور من أدب الجعليين الشعبي: علي أحمد الصديق، مطبعة وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم ١٩٧٦
- ٤٠- طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية دار المعارف مصر،
- ٤١- الطنبور و أغاني الشايقية: إخلاص محمد عثمان، دار عزة للنشر والتوزيع
- ٤٢- الغناء والقيان في العصر الجاهلي: ناصر الدين الأسد، دار المعارف مصر،
- ٤٣- فصول في الأدب والنقد: صلاح الدين المليك، ١٩٦٧
- ٤٤- فن المسدات: سيد حامد حريز، دار الجيل، بيروت، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم
- ٤٥- قاموس اللهجة العامية في السودان: عون الشريف قاسم، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٨٥
- ٤٦- قبسات من شعر الحقيبة: علي محمود الترزي، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي

- ٤٧- القصص الحبيبة في أغاني الحقيبة: محمد حسن الجقر، دار عزة للنشر والتوزيع
- ٤٨- لمحات من الأدب الغنائي: فاطمة مدني، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية
- ٤٩- لسان العرب: الإمام محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦
- ٥٠- اللهجة العامية في الحديث والأثر: د. أبشر عوض محمد أدريس، مطبعة دبي، ٢٠٠٨
- ٥١- المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثامنة، دار المعارف
- ٥٢- شرح المعلقات السبع الطوال، محمد بن أبي بكر الأنباري، القاهرة دار المعارف
- ٥٣- شرح المعلقات السبع الطوال وأخبار شعرائها: الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ٢٠١٠
- ٥٤- المستطرف من كل فن مستظرف: شهاب الدين أحمد أبي الفتح الأبهسي، الطبعة الأخيرة ١٩٥٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي
- ٥٥- مع شعراء المدائح النبوية: قرشي محمد حسن، الدار السودانية للكتب، ١٩٧٨
- ٥٦- من خصائص الشعر الشعبي السوداني: محمد الفاتح أبو عاقلة، جامعة السودان المفتوحة، ٢٠٠٨
- ٥٧- من مسابير الشكرية: سيد حامد حريز، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم
- ٥٨- من أشعار الحارث: الطاهر عبد الكريم، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم سنة ١٩٧٠
- ٥٩- مع الدوبيت دراسة فنية أكاديمية ومسابير مختارة: د. سعد عبد القادر العاقب، دار عزة للنشر والتوزيع
- ٦٠- مسابير البطانة ود شاوراني: إبراهيم سالم البطحاني
- ٦١- من عيون الشعر القومي في البطانة: حسان أبو عاقلة أبو سن، الشركة العالمية للنشر والتوزيع

٦٢- مسرحية الملك نمر: إبراهيم أحمد بابكر العبادي، الطبعة الأولى ، الخرطوم ابريل وزارة الشؤون الاجتماعية ١٩٦٩

٦٣- محاضرات في العامية السودانية : عون الشريف قاسم، معهد الدراسات الإضافية جامعة الخرطوم ١٩٧٤

٦٤- مختارات من روائع الحقيقة : بدون مؤلف ،دار الأشقاء للطباعة والنشر

٦٥- مختارات لسبعة من شعراء البطانة:حسن سليمان ود دوقة،مؤسسة ترتيل للطباعة والنشر،القضارف

٦٦-نفثات اليراع في الأدب والاجتماع : محمد عبد الرحيم أفندي،شركة الخرطوم للطبع والنشر ١٩٣٦م

٦٧- المجموعة النبهانية في مدح خير البرية :أبو يوسف إسماعيل النبهاني،دار المعرفة،بيروت

٦٨- الهمبة في السودان : شرف الدين الأمين عبد السلام،معهد الدراسات أصولها ودوافعها وشعره الأفريقية والآسيوية ١٩٨٣

٦٩-الوافي :المعلم بطرس البستاني،الناشر مكتبة لبنان ،ساحة رياض الصلح،بيروت ١٨٧٠

٧٠-وقفات مع شعراء البطانة:عبد القادر عوض الكريم وعمر كبوش،مطبعة دار البلد ١٩٩٩

٧١-ود شاوراني :النيل عبد القادر أبو قرون ،سلسلة جوائز السلمابي،شعبة أبحاث السودان ،كلية الآداب ،جامعة الخرطوم

دواوين الشعر:

٧٢- ديوان الأعشى الكبير،شرح وتعليق د.محمد محمد حسين،دار النهضة العربية للطباعة والنشر

٧٣- ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت

٧٤- ديوان امرئ القيس ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف ،الطبعة الخامسة

٧٥-ديوان إبراهيم الفراش،جمع وتحقيق محمد علي الفراش،معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية والدار السودانية للكتب

- ٧٦-ديوان إسماعيل حسن ،ريحة التراب،
- ٧٧-ديوان إسماعيل حسن ،حد الزين ،مطبعة إشراقة
- ٧٨-إسماعيل حسن المجموعة الكاملة،دار عزة للنشر والتوزيع
- ٧٩-ديوان البرعي الكردفاني،مصر المؤمنة ،جمع وتحقيق عبد الرحيم حاج أحمد
- ٨٠-ديوان البرعي الكردفاني،نور الدجنة ورياض الجنة ،مطبعة جامعة الخرطوم
- ٨١-ديوان البحتري،تحقيق حنا الفاخوري،دار الجيل ،بيروت
- ٨٢-ديوان بشار بن برد،،شرح حسين الحموي،المجلد الأول ،دار الجيل بيروت
- ٨٣-ديوان التيجاني حاج موسى ،تباريح الهوى
- ٨٤-ديوان ابي تمام،شرح الخطيب التبريزي،تحقيق محمد عبده عزام
- ٨٥-ديوان أبي تمام،الناشر دارالمعارف،القاهرة سنة ١٩٦٤
- ٨٦-ديوان جرير،بشرح محمد بن حبيب ،تحقيق د.نعمان محمد طه،دار المعارف مصر
- ٨٧-ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،تحقيق سيد حنفي،القاهرة الهيئة المصرية العالمية للكتاب ١٩٧٤
- ٨٨-ديوان الحسين بن الضحاك،تحقيق عبد الستار أحمد فراج،دار الثقافة ،بيروت
- ٨٩-ديوان حميد بن أبي ثور الهلالي،تحقيق عبد العزيز الميمني،دار الكتب المصرية
- ٩٠-ديوان الحارثي،تحقيق بروفيسر إبراهيم الحارثي،مكتبة معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية والدار السودانية للكتب
- ٩١-ديوان دعلج الخزاعي،شرح مجيد الطراد ،دار اجيل ،بيروت
- ٩٢-ديوان ذي الرمة ،شرح الإمام ابي نصر الباهلي،تقديم وتحقيق د.واضح عبد الصمد
- ٩٣-ديوان ابن الرومي،تحقيق عبد الأمير مهنا ،دار الهلال
- ٩٤-ديوان الشريف الرضي،شرح محمد محيي الدين عبد الحميد،دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٩

- ٩٥-ديوان طرفة بن العبد،تحقيق محمد مهدي ناصر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٨٠
- ٩٦-ديوان عثمان ود جماع البطحاني،جمع وإعداد فرح عيسى محمد ،شعبة أبحاث السودان ،كلية الآداب،جامعة الخرطوم
- ٩٧-ديوان عنتر بن شداد العبسي،مكتبة خليل خوري ١٩٦٠
- ٩٨-ديوان عروة بن الورد،دار صادر للطباعة والنشر ،ودار بيروت ١٩٦٤
- ٩٩-ديوان العذريين ،د.يوسف عيد،دار الجيل بيروت
- ١٠٠-ديوان علي بن الجهم،تحقيق خليل مردم بك،دار صادر ،بيروت
- ١٠١-ديوان الفرزدق،شرح د.علي مهدي زيتون،دار الجيل بيروت
- ١٠٢-ديوان أبي فراس الحمداني،رواية أحمد بن خالويه،دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت
- ١٠٣-ديوان كعب بن زهير ،شرح الحسن بن الحسين الحموي ،مطبعة دار الكتب المصرية ،سنة ١٩٥٠
- ١٠٤-ديوان لبيد بن ربيعة العامري،تحقيق د.إحسان عباس،منشورات وزارة الثقافة الكويتية ١٩٦٠م
- ١٠٥-ديوان المتنبي ، أبو الطيب أحمد بن الحسين ،وضع عبد الرحمن البرقوقي،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ١٩٨٠
- ١٠٦-ديوان محمد ود الرضي،جمع وتحقيق الطيب الرضي
- ١٠٧-ديوان محمد بشير عتيق
- ١٠٨- ديوان محمد بشير عتيق،تقديم البروفسير علي المك ،دار عزة للنشر والتوزيع
- ١٠٩-ديوان محمد علي أبو قطاطي،الفينا مشهودة،إصدار سلسلة أروقة ،الخرطوم عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٥
- ١١٠-ديوان أبي نواس،تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي،القاهرة ١٦٥٣
- ١١١-ديوان أبي نواس ،دار صادر ،بيروت

١١٢-ديوان النابغة الذبياني،تحقيق كرم البستاني ،دار صادر ،بيروت

الرسائل الجامعية:

١١٣-رسالة ماجستير بعنوان الأدب الشعبي عند الشايقية، مصطفى إبراهيم طه،جامعة الخرطوم ،كلية الآداب سنة١٩٦٧

١١٤-رسالة دكتوراة بعنوان الشعر الشعبي عند الشايقية،نصر الدين سليمان علي فضل ،جامعة النيلين كلية التجارة والدراسات الإقتصادية والإجتماعية سنة ٢٠٠٣م

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	محتوى الصفحة
ب	الاستهلال
ج	الإهداء
د	شكر و عرفان
و	المقدمة
١	دخول العرب السودان
٣	بين العامية والفصحى
١١	(توطئة) تعريف الأدب الشعبي
	هيكل البحث
	الفصل الأول
	المدح
١٤	المبحث الأول: المدائح النبوية
٤٠	المبحث الثاني: المدح العام
٥٨	المبحث الثالث: الفخر
٧٠	المبحث الرابع: الرثاء
	الفصل الثاني
	الوصف
٩٠	المبحث الأول: وصف البطولة الحربية (الحماسة)
١٠٩	المبحث الثاني: وصف الطبيعة
١٢٩	المبحث الثالث: وصف الصيد
١٤٢	المبحث الرابع: أغراض أخرى
	الفصل الثالث
	الشعر الفصيح والشعر العامي حول المرأة
١٥٥	المبحث الأول : الغزل
١٧٢	المبحث الثاني : الغزل العذري

١٨٣	المبحث الثالث:النسيب
١٩٩	المبحث الرابع:الشعر حول المحارم من النساء (الأم والزوجة)
	الفصل الرابع من أشكال الشعر الشعبي
٢١٣	المبحث الأول :الدوبيت
٢٣٢	المبحث الثاني:المسدار
٢٤٤	المبحث الثالث:المجaraة(المجادعة)
٢٥٦	المبحث الرابع:الشعر الغنائي
٢٧٥	الخاتمة والنتائج
٢٧٧	التوصيات
	الفهارس الفنية
٢٧٨	فهرست الآيات الكريمة
٢٧٩	فهرست الأحاديث النبوية
٢٨٠	فهرست الشعراء
٢٨٨	قائمة المصادر والمراجع
٢٩٦	فهرست المحتويات